الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

الصحيح

من سيرة الإمام علي عليه السلام

(المرتضى من سيرة المرتضى)

العلامة المحقق
السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الحادي والثلاثون

مركز نشر وترجمة مؤلفات العلامة المحقق
آية الله السيد جعفر مرتضى العاملي

عاملي، جعفر مرتضى ١٩٤٤م.
الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام (المرتضى من سيرة المرتضى) /**السيد جعفر مرتضى العاملي**. قم: أيام، ١٤٣٢ ق.= ٢٠١٢م. = ١٣٨٩.
٥١٢ ص.
ISBN: ٩٧٨ ـ ٩٦٤ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩ ـ ٧ ٦٠٠،٠٠٠ ريال
فهرست نويسى بر اساس اطلاعات فيپا.
كتابنامه:
١. علي بن أبي طالب (ع)، إمام اول، ٢٣ قبل الهجرت ـ ٤٠ ق سر گذشت نامه. ٢ . إسلام ـ تاريخ از آغاز تا ٤١ ق. ألف. عنوان ب. عنوان: المرتضى من سيرة المرتضى.
٣ ص ٤٢ع BP ٣٧/٣٥ ٢٩٧/٩٥١
١٣٨٩

اسم الكتاب:	**الصحيح من سيرة الإمام علي عليه السلام**
اسم المؤلف:	**السيد جعفر مرتضى العاملي**
الناشر:	**نشر أيام**
الطبعة:	**الأولى ١٤٣٢ هـ.ق = ١٣٨٩ هـ.ش =٢٠١٢ م**
عدد المطبوع:	**٢٠٠٠ نسخة**
سعر الدورة: ٣١ ـ ٤٥	**٦٠٠٠٠ توماناً**
ردمك ج٣١:	**٥ ـ ٣ ـ ٩١٠٦٣ ـ ٩٦٤ ـ ٩٧٨**

العنوان: ايران ـ قم ـ ٤٥ متري صدوق ـ صدوقي ٦ پلاك ٢٠ تلفن: ٠٩١٢٦٥١٨٨١٤ ـ ٠٩١٢١٥١٧٦٧٧

اين اثر با حمايت معاونت محترم فرهنگي وزارت فرهنگ وارشاد اسلامى طبع شده است

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل الثالث:

وقفات مع الفصل السابق..

بداية:

تضمن الفصل السابق أموراً عديدة تحتاج إلى بعض الإيضاح، فلاحظ ما يلي:

الثقة بالقائد أساس القيادة:

لا ريب في أن الثقة بالقائد تعطي قوة إجرائية للأوامر، والنواهي التي تصدر عنه، وتمنح المقاتل حرصاً على تنفيذ تلك الأوامر، كما أنها من موجبات الربط على القلوب، وإشاعة السكينة والطمأنينة الروحية التي يكون المقاتل بأمس الحاجة إليها، لأنها تمنحه درجة من الثبات والصمود، والتركيز على الواجبات والوظائف، التي يطلب منه انجازها.

كما أن لهذه الثقة أثراً كبيراً في تكريس حالة الإنضباط، فلا يحدث نفسه بتجاوزها، بل لا يرى أن ثمة امكانية لذلك، لأن النتيجة ستكون هي تعريض النفس والغير للمزالق والمهالك..

وقد أشار «عليه السلام» إلى ذلك في بعض خطبه، فقال متلهفاً

على الذين استشهدوا من خيار أصحابه في صفين:

«أوه على إخواني الذين تلوا القرآن فأحكموه، وتدبروا الفرض فأقاموه. أحيوا السنة، وأماموا البدعة. دُعُوا للجهاد فأجابوا، ووثقوا بالقائد فاتبعوه»(1).

فكيف إذاكان الناس قد جربوا على قائدهم عدم الاهتمام بسلامتهم، وتبين لهم انه إنما يريدهم ليكونوا له ردءاً، ووسيلة إلى مآربه. بل ربما سعى لالحاق الضرر بهم، إذا توهم أنهم لا يوافقونه على ما يريد، أو أنهم يرصدون حركته، ولا يرضون بكثير من انحرافاته، وممارساته التي قد لا يقرها شرع، ولا يرضاها وجدان.

وربما أحس بهذه النظرة، وهذا التعامل فيما يرتبط بشخصه هو أيضاً.. وربما أدرك ذلك من خلال قياس الأمر على نفسه، حيث يلاحظ: أنه لا يملك مشاعر إنسانية حية تجاه غيره، فيدرك أن هذا هو حال أولئك الآخرين بالنسبة إليه أيضاً..

وهذا بالذات هو حال عمرو بن العاص مع معاوية، ومع الآخرين..

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج2 ص109 خطبة رقم182، وبحار الأنوار ج34 ص127 وموسوعة أحاديث أهل البيت للنجفي ج2 ص405 وج5 ص203 والدرجات الرفيعة ص323 ومستدركات علم رجال الحديث ج6 ص330 وينابيع المودة ج2 ص29 والكنى والألقاب ج1 ص184 والدرجات الرفيعة ص323.

وفي جميع الأحوال نقول:

إن هذا الذي جرى ما هو إلا مثال حي لحال القائد مع من هم تحت امرته، حين لا يتوفر عنصر الثقة بالقائد لدى الأتباع.. وظهر من كلمة أمير المؤمنين «عليه السلام» المتقدمة ضرورة توفر هذه الثقة.. فقد تضمنت كلمته المباركة الإشارة إلى عنصرين تكون لهما نتيجة واحدة.

أولهما: عنصر الثقة المشار إليه.

الثاني: أن هذا العنصر يجب أن يتوفر لدى الأتباع بقائدهم..

أما النتيجة، فهي حسن اتباعهم له..

وذلك يعطي: أن الإتباع مرهون بهذه الثقة، ودائر مدارها.. حدوثاً وبقاءً، فإذا اختلت، فلا بد من استبدال القائد بغيره، ممن يتوفر فيه هذا الشرط..

وتبين بذلك: أن الطاعة لا يمكن أن تفرض على الآخرين، لأنها يجب أن تكون اختياراً وقراراً طوعياً منهم..

وتبين أيضاً: أن صناعة القائد، وتكريس القيادة له، وفيه، يحتاج إلى عمل يتجاوز مجرد إعداده شخصياً، وتأهيله عملياً من خلال دورات التعليم والتدريب، بل يحتاج إلى صياغة علاقة عملية، وتعاملية، وعلمية ذات مغزى مع الذين يراد منه أن يتحمل مسؤولية قيادتهم.. ويطلب منهم طاعته واتباعه.

كما أن هذا التوجيه يفرض اعتماد آلية قادرة على تحديد مدى ثقة

الأتباع بقائدهم بصورة متتالية ورتيبة، لكي يصار إلى اتخاذ القرار في ابقائه، أو في اقصائه، لأن ابقاء من لا يثق به أتباعه قد يأتي بالكارثة في ميدان القتال والتحدي، كما هو ظاهر.

لكن هذا الذي قلناه لا يشمل القيادة المعصومة، والمنصوص عليها من قبل الله ورسوله، لأن عدم ثقة الناس بهذا القائد كارثة من نوع آخر، لأن عدم الثقة بالمعصوم المنصوب من قبل الله ورسوله تمرد وردٌّ على الله وعلى الرسول، وتكذيب له، واتباع للهوى، وخروج عن دائرة الإستقامة. فأمير المؤمنين «عليه السلام» يثني على أصحابه بهذا الثناء، ليدلنا على عمق إيمانهم، وتميزهم على غيرهم: بأنهم أطاعوا الله ورسوله في هذا الأمر. ويجب على الأمة أن تحذوا حذوهم في هذا الأمر. أما قيادة غير المعصوم فهي تحتاج إلى ما ذكرناه.

لا دفاع في الحرب:

ثم إن استقراء سيرة النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم سيرة أمير المؤمنين «عليه السلام» في مختلف الحروب تختصر في مرحلتين، بل في خطين متوازيين..

المرحلة الأولى: هي التي تبذل الجهود فيها لدفع الحرب، وتلافيها. وذلك بالإحتجاجات المختلفة، والوساطات المتتالية، والسعي لاقناع الطرف الآخر بالتخلي عن قرار الدخول فيها.. مع إظهار مزيد من الرفق، وبذل الكثير من الجهد، وربما احتاج الأمر إلى التنازل

عن بعض الأمور التي يجيز الشرع التنازل عنها، مما لا يوجب تضييع الحق، والقبول بطمسه، وإثارة الشبهات حوله، وتكريس الباطل، والقبول بالانحراف..

بل إن باب التراجع عن الحرب، والقبول بالحق، يبقى مفتوحاً من قبله «عليه السلام»، ولا يوصد أبداً في وجه الضالين والمنحرفين.. حتى بعد الدخول في الحرب معهم، واستعار نارها. لأن الذي فرض الحرب هو الطرف الآخر، فإذا تراجع عنها وأناب إلى الحق، فقد تحقق المطلوب.. وانتفى المبرر لها.

وهذا هو المراد من أن حروب الإسلام كانت دفاعية. وغير مرغوب فيها على الإطلاق.

ولكن إذا أصر أهل الباطل على الحرب، سعياً منهم لحفظ باطلهم. ومواصلة ظلمهم، وكانوا هم الذين بدأوها.. ولم تنفع معهم جميع وسائل الإقناع والإحتجاج، وفشلت جميع المساعي، وظهر بغيهم، ولم يعد هناك أي سبيل سوى الدفاع عن النفس.. فإنهم بعد اطلاقهم شرارتها الأولى يصبحون هدفاً مشروعاً لسيوف أهل الحق، ويجب على أهل الحق أن يتحولوا من موقع الدفاع إلى الهجوم. ولا يجوز لهم التواني والتراخي في ذلك، لأن ذلك سيمكن العدو من تسديد ضرباته المهلكة، وسيجرئه، ويجرئ غيره على هتك حرمات أهل الإسلام كلما راق لهم ذلك..

ولا بد أن يحتفظ أهل الحق بهذه الحالة، أعني حالة الهجوم

المتواصل، فلا يمكّنون العدو من شن أي هجوم عليهم، بل لا يسمحون له بالتفكير في أي تدبير في هذا الإتجاه في هذا الإتجاه إلى أن تضع الحرب أوزارها..

ولذلك نلاحظ: أنه بمجرد أن تقدم عمرو بن العاص باللواء نحو أصحاب أمير المؤمنين بادر «عليه السلام» فأرسل إلى أهل الكوفة: أن احملوا. وكذلك إلى أهل البصرة، وحمل علي «عليه السلام» في أهل الحجاز، فحمل الناس من كل جانب، فكانت هذه المعركة من أقسى المعارك على أهل الشام حسب وصف المنقري، وابن أعثم لها..

بل سيأتي في أول الفصل التالي، تحت عنوان: «تقدموا، قبل أن يتقدموا»: أن أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» قالوا: «إنَّا إن تقدمنا اليوم، فقد تقدمنا أمس، فما تقول يا أمير المؤمنيين»؟!

قال «عليه السلام»: «تقدموا في موضع التقدم، وتأخروا في موضع التأخر.. تقدموا من قبل أن يتقدموا إليكم»[1].

وسيأتي بعض الحديث عن هذه الكلمة في الفصل التالي إن شاء الله تعالى..

اللجاج المقيت:

وقد أظهر ذلك الشامي الذي قطعت رجله، ثم يده لجاجة

---

(1) صفين للمنقري ص406 وبحار الأنوار ج32 ص511.

وإصراراً حين رمى بسيفه بيده اليسرى إلى أهل الشام ليقاتلوا به عدوهم..

وعدوهم هو أخو الرسول، بل هو نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة، فهل يريد هذا الشامي وجه الله تعالى بحربه لنفس رسول الله ووصيه، وأخيه وناصره وحبيبه؟! أم أنه يطلب بذلك المجد والفخر؟! وماذا ينفعه فخره هذا بعد أن يقتله سيف الإسلام، ويكون مصيره إلى النار، ويبوء بغضب العزيز الجبار؟!

أم أنه قد انقاد لعصبيته، وأعمى حقده بصره وبصيرته، لأنه زاغ عن الحق، فأزاغ الله قلبه، وقتله لجاجه المقيت، وأودى به خبث باطنه المقيت؟!

وقد بز هذا الرجل فرعون في لجاجه وعناده، فإن فرعون حين أدركه الغرق قال: إني تبت الآن. وهذا حين أدركه الموت قال: إني مصر على محاربة الحق وأهله.

سيف بعشرة آلاف:

ومن مظاهر إمعان معاوية في العناد واللجاج، والانقياد إلى العصبية والهوى، وسعيه لتزيين الباطل للناس، ودفعهم إلى الحرص عليه، وتكريسه نهجاً، والتزاماً وسلوكاً، وتوارثه كتاريخ عتيد، وموقف مجيد, أنه عمد إلى شراء سيف ذلك المخدوع البائس، الذي حارب به الحق وأهله، ونصر به الباطل وأهله ـ شراءه ـ من ذويه بعشرة آلاف.. لمجرد أنه حين قطعت يده، ألقاه بيده الأخرى إلى أهل

الشام، ليستعينوا به على قتال أهل الحق.

فكان معاوية بشرائه لهذا السيف مصداقاً لقوله تعالى: **(يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)**(1).

يا عجباً.. لقد سمعت منكراً:

وتقدم: أن الرجز المنسوب إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» وأوله:

يا عجباً لقد سمعت منكراً   كذباً على الله يشيب الشعرا

قد قاله «عليه السلام» جواباً على رجز عمرو بن العاص، وأوله:

هل تعنين وردان عني قنبرا   إلخ..

ولكننا حين قارنا بين الرجزين.. لم نجد أي تناسب بينهما، لا سيما مع اختلاف المصادر في قوله «عليه السلام»: لا تحسبني يا بن عاص تارة [أو يا بن حرب] تارة أخرى.

كما أنه ليس في كلام عمرو ما يبرر أن يجيبه «عليه السلام» بهذه المضامين، فلم يتضمن رجز عمرو كذباً على الله يشيب الشعرا إلخ..

من أجل ذلك نرجح أن تكون هذه الأرجاز قد قيلت في قصة

---

(1) الآية 8 من سورة الصف.

أخرى تقدم أنها جرت بين عمرو وأحد الفتيان، وانتهى الأمر إلى لجوء ذلك الفتى إلى علي «عليه السلام».

وقد تقدمت القصة في بعض فصول هذا الكتاب.. فراجع. وراجع أيضاً كتاب صفين للمنقري ص43 و 44.

الوصي والأبتر، واللعين:

إنه «عليه السلام» في الرجز الذي قاله قد ذكّر الناس بأمور أرسلها إرسال المسلمات، وبنى عليها معادلة لا يمكن أن تستقيم، إلا إذا كانت المرتكزات التي استندت إليها يقينية، وغير قابلة للمس بها، فقد قرّر:

1 ـ أنه «عليه السلام» وصي النبي «صلى الله عليه وآله».. وهذا الأمر هو الأكثر إغاظة لمناوئيه. والتذكير به هو الأعظم ضرراً، والأشد خطراً على كل ما يجهدون للوصول إليه، والحصول عليه..

واللافت هنا: أن هذا الأمر قد تكرر على لسان أمير المؤمنين «عليه السلام» وعلى ألسنة أصحابه وأتباعه عشرات المرات، في مقام التحدي والإحتجاج.

ولم نجد أحداً من أعدائه المتضررين من تكريس هذه الحقيقة ينبس ببنت شفة في رده، أو يلوّح بأي ترديد، أو تشكيك، أو شبهة، أو تساؤل، أو تأويل، أو دفاع عن هذا الموضوع، بل تراهم يحاولون تجاهله، وإغماض النظر عنه، والإنسلال من ساحة المواجهة فيه.

ولو أمكنهم قتل شطر هذه الأمة في سبيل تكذيبه، وإبطاله، أو التشكيك فيه، لما توانوا عن ذلك.

2 ـ إنه «عليه السلام» قد تحدث عن الأبتر، وهو عمرو بن العاص. والأخزر، وهو معاوية كما تقدم في فصل سابق من هذا الكتاب، ولم نجد عمرواً، أو معاوية، أو أحداً من أنصارهما يحاول إثارة أية شبهة، أو ترديد حول كونهما المقصودين بهذين الوصفين، اللذين يعيدان للناس ذكريات نزول سورة الكوثر في مدح الرسول «صلى الله عليه وآله» وذم العاص وابنه عمرو حين وصفا الرسول «صلى الله عليه وآله» بالأبتر، فرد الله تعالى عليهما، بقوله: **(إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ)**(1).

هذا بالإضافة إلى ذكريات لعن النبي «صلى الله عليه وآله» للقائد، والسائق، والراكب، وهم معاوية وأبوه وأخوه.

ويذكر هنا: أنه بالرغم من كثرة الأمور المخزية التي كان «عليه السلام» وأصحابه يحتجون بها على معاوية، وعلى جميع القاسطين، والناكثين، والمارقين، فإنها جميعها لم تتعرض لأية خدشة، أو شبهة، أو تشكيك من قبل المعنيين بها..

ولكن أمير المؤمنين، وأهل بيته «عليهم السلام» كانوا يطالبون أعداءهم بالأدلة على صحة ما كانوا يحاولون رميهم به.. فلم يكونوا

(1) الآية 3 من سورة الكوثر.

يأتون بشيء سوى الإدعاء الباطل، والبهتان الوقح، والصريح.

ولهذا الأمر دلالاته الهامة التي لا تخفى.

3 - وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» قد تعمد في هذا المورد أن يجعل شخص النبي «صلى الله عليه وآله» حكماً وقاضياً في المعادلة التي أراد لفت نظر الناس إليها. ولذلك قال «عليه السلام»:

ما كان يرضى أحمد لو خيرا أن يقرنوا وصيه والأبترا

شاني الرسول واللعين الأخزرا إلخ..(1).

أهل الشام في دهش وهم:

تقدم: أن عمرو بن العاص قد باشر التحرك الهجومي على جيش أمير المؤمنين «عليه السلام»، فأمر مولاه وردان بتقديم الراية، ولكن المفاجأة كانت أن علياً «عليه السلام» قد باغتهم بهجومه الشامل الذي حيرهم، وأفقدهم القدرة على اتخاذ أي قرار، بالتقدم، أو بالتراجع. وأصبحت المبادرة بيد علي «عليه السلام» وأصحابه، بالرغم من أن اطلاق شرارة التحدي كان من قبل القاسطين أنفسهم كما قلنا.

وهذا يعطينا درساً في كيفية تلافي هجوم العدو، ثم معالجته بما يوجب انقلاب السحر على الساحر.. فإنه «عليه السلام» بسرعة استنهاضه لجميع قطاعات جيشه، ومبادرته إلى الهجوم الشامل قد

---

(1) صفين للمنقري ص43 والفتوح لابن أعثم ج3 ص135.

قلب الأمور رأساً على عقب، ولم يدع مجالاً لأي من كتائب جيش معاوية للتفكير بغير الدفاع، والعمل على صد الهجوم، وقد جعل زمام المبادرة والقرار في يد جيشه «عليه السلام» في كل المواقع، وأصبح هو الذي يتحكم في مسار المعركة..

وكانت معركة قاسية ومريرة، سقط فيها أكثر الفرسان المرموقين.. وكانت كفة أهل الحق هي الراجحة فيها. كما قاله الأشتر، أو الأشعث.

وهذه المفاجأة كانت هي السبب في اندهاش القاسطين، فقد «جعل أهل الشام ينظر بعضهم إلى بعض، ولا يقدرون على الكلام، لما هم فيه من الدهش والهموم» مع أن عددهم قد يكون أكثر من ضعف عدد جيش علي «عليه السلام»..

ومن المعلوم: أن هذه المفاجأة لم تكن لتتوفر له «عليه السلام»، لو لم تكن هناك قدرة على معرفة تحركات العدو ورصد نواياه بصورة مبكرة جداً، مع توفر جهوزية تامة، واستنفار، وقدرة حاضرة باستمرار على مباشرة جميع قطعات الجيش للقتال في كل لحظة، وفي جميع الجبهات.

وهذا وحده يكفي رادعاً للعدو عن التفكير المستقبلي بأي هجوم، لأنه أصبح يعلم: أنه سيجد الطرف الآخر بانتظاره، وهو في أقصى درجات التأهب والإستعداد..

وبذلك يصبح العدو في تهيب وخوف دائم، ويصير مضطراً

للإستنفار المتواصل الذي لن يكون قادراً على الإستمرار فيه إلى ما لا نهاية، لأنه سيرهقه روحياً ومادياً..

علي × ترك مركزه:

وتقدم: أن علياً «عليه السلام» لما تفرق أصحابه ـ والظاهر أن المراد بهم القادة الكبار ـ الذين تفرقوا ـ فيما يبدو ـ في مهمات قتالية، تحرك هو «عليه السلام» حتى صار إلى رايات ربيعة، فوقف معهم.

فلما أنجز أصحابه مهماتهم القتالية، أو كادوا، انصرفوا إليه لكي يبلغونه عن أحوال ساحة المعركة وتطوراتها. فلم يجدوه في موقعه، حسبما تقدم..

ويلاحظ ما يلي:

1 ـ يبدو أنه «عليه السلام» كان لا يقتصر على ما يأتيه به قادته وجنده من أخبار عن المعركة، بل يبادر هو للإطلاع على الأمور بنفسه، فإنه ما راءٍ كمن سمعا، لأن هناك أموراً وأحوالاً، وصوراً يحتاج القائد إلى معاينتها مباشرة، لأنها غير قابلة للنقل والإخبار عنها.. وما كان منها يقبل الحمل والنقل، ربما كان الناس لا يرون له قيمة، أو أهمية تذكر، ولا يلفت نظرهم..

بل قد تجد بعض الناس، وخصوصاً بعض القادة يحاولون التستر على بعض الأمور التي تجري لأسباب تخصهم، فيعمدون إلى إخفائها، أو إلى طمس معالمها، أو التكتم على أخبارها.. وربما.. وربما.. فيحتاج القائد الأعلى إلى جولات استطلاعية من فترة إلى

أخرى.. وربما اختار الأوقات التي لا يحتملون فيها تحركه من موقعه..

2 ـ قد يجد القائد ضرورة إلى اختبار القادة الميدانيين من خلال ابتعاده عنهم بصورة مفاجئة، وإيكال الأمور إليهم، ومراقبتهم في طبيعة ردات فعلهم، وفي إدارتهم للأمور، وغير ذلك..

3 ـ قد يحتاج القائد إلى أن يُفهِم من معه أن من غير الضروري تكريس الشعور بأنه «عليه السلام» مقيم في موضع بعينه، أو بين جماعة بخصوصها، أو يلتقي بأشخاص ذوي مواصفات، أو اختصاصات معينة، أكثر من سائر المواضع والفئات، والأشخاص..

4 ـ رأينا أن قادته «عليه السلام» كانوا يقدمون له «عليه السلام» خلاصات عن نظرتهم للأمور، وعن مسارها، ومآلها، بل إن بعضهم ـ كعدي بن حاتم ـ كان يقوِّم الأمور، ثم يعطي رأيه في كيفية التعامل معها..

فيلاحظ هنا: أن قول الأشتر ـ أو الأشعث بن قيس، أو هما معاً ـ «خيل كخيل، ورجال كرجال، والفضل لنا إلى ساعتنا هذه» قد اقتصر على تقويم ما جرى، وما عليه الحال في الميدان إلى تلك اللحظة.

وقال له عدي بن حاتم: «ما مشيت لك إلا على قتيل، وما أبقت هذه الوقعة لنا ولهم عميداً، فقاتل حتى يفتح الله عليك، فإن في القوم بقية بعد». فكلام عدي هذا يوافق قول الأشتر، أو الأشعث، ويزيد

عليه في أنه تحدث عن طبيعة الخسائر، وأعطى رأيه في مدى ما لدى العدو من قوة، ورأيه فيما ينبغي أن يعتمد من قرارات حربية في المرحلة اللاحقة..

أما بالنسبة لقول سعيد بن قيس: «إنا مشتغلون بأمرنا مع القوم، وفينا فضل، فإن أردت أن نمد أحداً أمددناه»، فقد قدم معلومات عن تلك اللحظة وحاجاتها، ولم ينظر للمستقبل، ولذا تحدث عن المحتاجين إلى المدد، وأن لديه قدرة على إمدادهم..

5 - لعلنا نستطيع أن نستفيد من هذا وغيره أن المعلومات الميدانية التي تبنى عليها القرارات الحربية، هي تلك التي يأتي بها كبار القادة، بالاستناد إلى مشاهداتهم المباشرة، ولا يوكل الأمر فيها إلى الأجهزة المولجة بجمع المعلومات، والتي قد لا يملك عناصرها من الخبرة بالحروب الشيء الكثير.

6 - قد يفهم من كلام المنقري: أن تفرق أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» عنه حين ذهب إلى ربيعة، قد كان بسبب ضغط أهل الشام عليهم آخر النهار، فاضطر «عليه السلام» إلى أن يأتي ربيعة ليلاً، فكان فيهم..

ولكن هذا الكلام غير دقيق، فهو يعني أنهم قد تركوه وحيداً في مواجهة أهل الشام الذين اجتاحوا الموقع..

فماذا صنع مع المهاجمين؟!

وهل حاربهم، أو هرب منهم..

أما الهرب فلا سبيل إلى احتماله في حقه «عليه السلام».. ولو حصل ذلك لطبق خبره الخافقين..

فإن كان قد حاربهم، فلماذا تفرق الناس عنه؟!

وكيف تركوه وحده؟!

وبعد تفرق الناس، هل انهزم أهل الشام عنه؟!

وكم قتل منهم «عليه السلام» حتى هزمهم..

ولماذا لم يسجل التاريخ له أنه تصدى بمفرده لتلك الكتائب حتى هزمها؟!

وأين كان «عليه السلام» قبل حلول الليل، بعد تفرق الناس عنه؟!

ولماذا لم يؤنب الناس الذين انهزموا عنه، ولم يشر إليهم بشيء؟!

وإذا كان أهل الشام قد اجتاحوا ذلك الموقع، فلماذا تركوه حتى عاد عدي بن حاتم إليه، فلم يجد علياً «عليه السلام» فيه؟!

وكيف عاد ذلك الموقع إلى أيدي اصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»؟!

أبيات الشني، وأبيات الأشتر:

إن أبيات الشني قد اقتصرت على تأكيد اعتزاز قومه بكونه «عليه السلام» قد أتاهم، وكان فيهم تلك المدة الوجيزة، واعتبر ذلك من أعظم مفاخرهم، ومن موجبات فضلهم، وتقدمهم على جميع الناس.

وقد اتخذ من قول علي «عليه السلام» لربيعة: «أنتم درعي ورمحي» سنداً لأثبات صحة أقواله هذه..

ولئن كانت اهتمامات الشني هذه قد اتخذت هذا المنحى، فإن أبيات الأشتر رحمه الله، قد اتخذت منحى آخر، كان أكثر غنى في مضمونه الواعي، وفي تعبيره عن صدق المشاعر، ورهافة الأحاسيس، التي ندت عنها تلك النفحات المفعمة بالحب والوفاء، الفياضة بمعاني صدق الإيمان وصفاء الولاء..

فقد تضمن الشعر الذي أنشده الأشتر رحمه الله في مدح الإمام «عليه السلام» صوراً إيمانية رائعة وبديعة. فهو يصرح بأنه «عليه السلام»:

الوصي..

وأن كل شيء سوى الإمام «عليه السلام» صغير..

وأنه «عليه السلام» نور في دجى الحنادس..

وسراج منير..

ومن رضي عنه «عليه السلام» دخل الجنة..

وذنبه مغفور..

وغير ذلك مما أشار إليه «رضوان الله تعالى عليه»..

وتلمس في هذا الشعر طهر الروح، وصفاء الحب، وبهاء الصدق، ونبل الإخلاص، وهو لا يشبه في شيء شعر المتزلفين،

وتصنّع الطامعين، والطامحين، ورشوات المتاجرين؛ لأنه عفو المشاعر، وخلجات القلب، وهيمنات الروح..

بل البغلة!! بل البغلة!!:

وتقدم أنه «عليه السلام» ركب فرسه أولاً، وهو الفرس المعروف «بالمرتجز» والذي كان لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبعد أن تقدم أمام الصفوف، قال:

«بل البغلة! بل البغلة!..».

فلماذا آثر البغلة.. على الفرس: المرتجز.. مع أن كليهما كان لرسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!.

ولماذا عدل عن رأيه بعد أن صار أمام الصفوف؟!

فهل يعقل أن يكون قد أخطأ، وهو الإمام المعصوم، بركوبه الفرس، ولم يلتفت إلى خطئه، أو غفل، ولم يستفق من غفلته إلى أن صار أمام الصفوف؟!.

وهل البغلة في الحرب أصلح من الفرس؟!

أم أنه «عليه السلام» يريد أن يفهم الناس أمراً، لا يتيسر إفهامهم إياه إلا بهذا النحو؟!

وهل يتسنى لنا معرفة هذا الأمر، أم أنه من الأمور الغيبية التي لا سبيل لها إلا بالتعريف والتوقيف؟!

إننا نجيب عن ذلك بما يلي:

لا شك في أن ركوب الفرس في الحرب أولى وأصلح من ركوب البغلة، لأن الفرس أسرع وأطوع في ميدان القتال.. وإن كانت البغلة أصبر، على تحمل المشاق، وأقدر على حمل الأثقال..

ولكن الظاهر: هو أن البغلة كانت معروفة عند الناس بما لها من لون واسم متميز، فهي البغلة الشهباء. فبمجرد رؤيتها يعرفون أنها بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

أما الفرس.. فلعل الذين يعرفون أنها فرس رسول الله «صلى الله عليه وآله» كانوا أفراداً قليلين..

بل إن هؤلاء الأفراد قد لا يميزون هذا الفرس عن غيره إلا بعد تحقيق النظر والتأمل فيه.. وربما لا يخطر على بالهم أن يكون «عليه السلام» قد اختار فرس رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليركبه في الحرب..

لأنهم يعرفون أنه كان ضنيناً به، مهتماً بحفظه، فلا يظنون أنه سوف يعرضه للأخطار، ويركبه في مثل هذه الأحوال.. مع علمه بأن عامة الناس، ولا سيما جيش معاوية، لا يعرفون هذا الفرس، ولا يميزونه عما سواه، فلا يتحرجون من إيصال الأذى إليه. وحتى لو عرفوه وقتلوه، فإن المجال سيبقى مفتوحاً للإعتذار للآخرين بادعاء الجهل بأنه فرس الرسول «صلى الله عليه وآله»..

أما لو ركب «عليه السلام» البغلة في تلك المعارك الطاحنة، فإن الأسئلة سوف تنهمر من كل حدب وصوب، ومن المؤالف والمخالف

مثل شآبيب المطر، لأن اختيار ركوب البغلة في مثل هذه الظروف، من قبل من هو مثل أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي لا يمكن أن يجهل بما تحتاج إليه الحروب من وسائل وأدوات، سيكون غريباً وعجيباً، وسيطلب الناس كلهم التفسير لهذا التصرف..

فإذا عرف السبب وبطل العجب، وظهر أن البغلة والفرس كليهما لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فسوف تتجسد أمام أعين الناس قداسة أمير المؤمنين «عليه السلام» وعظمته وموقعه في الإسلام، ومن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأنه صهره وأخوه، وابن عمه، ووصيه ووارثه، وحبيبه، وأبو سبطيه..

ولا بد أن يخشع كل قلب أمام قدسه، وأن ترتجف كل يد قبل أن تمتد إليه، وتحاول الإعتداء عليه.

وظهر أن من الأهمية بمكان أن يغير «عليه السلام» مركوبه أمام الصفوف، وحيث يراه الناس، لكي لا يظنوا أن ثمة غلطاً غير مقصود، قد وقع فيه «عليه السلام»، بصفته البشرية، كما ربما يراود أذهان بعض القاصرين.

عمامة الرسول ’ :

ثم أكد «عليه السلام» ذلك كله بأن تعصب بعمامة رسول الله «صلى الله عليه وآله». وهي العمامة السوداء.

وكان الناس يعرفون هذه العمامة أيضاً، وقد ركب البغلة وتعمم بالعمامة بين الصفين، وعلى مرأى من الجيشين، ليدل الناس كل

الناس من الأعداء والأولياء.. على أن الحرب التي يخوضها القاسطون إنما يخوضونها ضد رسول الله «صلى الله عليه وآله» في دينه ورسالته، ومنهجه، وكل ما جاء به..

وهذا الذي فعله «عليه السلام» يدلنا على الأهمية التي كان يوليها لموضوع الإعلام.. وعلى أنه «عليه السلام» لم يكن يكتفي بمجرد الأقوال، التي تحمل في طياتها حججاً قاطعة، وأدلة ساطعة تؤكد حقه وباطلهم، وعدله وظلمهم.. ولا كان يقتصر على المواعظ والتخويف من العقوبة الإلهية، ولا كان يقف عند تحذير الناس من عواقب ما يقدمون عليه، وما يعرِّضون أنفسهم إليه من كوارث ونكبات، ومصائب وبلاءات..

بل كان يتعدى ذلك إلى الإيحاء بالفكرة، بواسطة المفردات التي لها رمزية ظاهرة وعميقة التأثير في النفس، وبالغة الإثارة للمشاعر والأحاسيس، فهو يركب بغلة رسول الله «صلى الله عليه وآله» ويتعمم بنفس عمامته بعد أكثر من ربع قرن على استشهاده «صلى الله عليه وآله» ليدل على أنه هو دون سواه وارثه، وأقرب الناس إليه، والمخصوص بالوصية وبالكرامة الإلهية، ولا يستطيع معاوية، ولا غيره من هذه الأمة أن يدعي لنفسه شيئاً من ذلك..

تضييع الفرصة سفه ورعونة:

ثم هو يؤكد جميع هذه المعاني بالنداء الذي أطلقه للناس، من يشر نفسه لله يربح.

فهو «عليه السلام» لا يدعوهم لنصرته، ولا للكون في خدمته.. بل يدعوهم إلى بيع أنفسهم لله سبحانه.. فإن ما يسفر عنه هذا اليوم من نتائج سوف تظهر ثمرته في يوم آخر. فإن نال مقام الشهادة، فإن الله سبحانه هو الذي يكافئه، وإن حصل على النصر في هذا اليوم، فإنه سوف يصل إلى العز والكرامة في الدنيا، وسينال حسن ثواب الآخرة أيضاً.

وذلك كله يؤكد على أن اللجوء إلى أي خيار آخر في مثل هذه الحال، سيضع الإنسان المتوازن في موقع السفه والرعونة، لأن القرح قد مس الأعداء، كما مس الأولياء، فما معنى هدر الفرصة المتاحة وتضييع الدماء التي سفكت.

دبوا دبيب النمل:

وذكر النص المتقدم أن علياً «عليه السلام» يقود الهجوم على العدو، وهو راكب البغلة الشهباء، التي للرسول «صلى الله عليه وآله»، ويصرح النص المتقدم، بأنه «عليه السلام» كان متقدماً على الكتيبة التي حركها لمهاجمة العدو. بل كان سابقاً لها ومنقطعاً عنها. وهو ينشد أشعاراً تحريضية..

ونستفيد من هذه الحركة أموراً:

1 ـ أنه «عليه السلام» قد واصل مواجهة الأعداء بما يذكرهم ببغيهم، وبعدوانهم على الرسول «صلى الله عليه وآله» وعلى نهجه ودينه، وعلى أخيه ووارثه.. حيث بقي «عليه السلام» راكباً بغلة

الرسول «صلى الله عليه وآله» متقدماً بها على ذلك الجيش الزاحف للمواجهة..

ربما ليبقى هذا الإيحاء، وهذه المواجهة الروحية لهم مترافقة مع المواجهة العسكرية، لتجتمع على العدو حربان: الحرب النفسية. والحرب بالسلاح.

2 - إنه «عليه السلام» أشار في الرجز الذي حرض به أصحابه إلى أن عليهم أن يبيتوا, أو يصبحوا على حرب، فلا تفارقهم أهبتهم، ليشغلوا عدوهم بالدفاع المتواصل، وليرهقوه، ويسقطوا مقاومته بذلك..

3 ـ اعتبر «عليه السلام» التخلف عن تنفيذ هذا الأمر بحرفيته تخلفاً وعصياناً منهم له..

4 ـ لقد ألزمهم «عليه السلام» بتنفيذ هذه الأوامر استناداً إلى أنهم كانوا هم الذين طلبوا حضوره، وها هو قد حضر..

ومن المعلوم: أن طلب حضوره يستبطن الإلتزام منهم بإقرار عينه، وطاعة أوامره في ساحة الحرب..

5 - إنه «عليه السلام» قد بين لهم أنه ليس له، ولا لهم من الأمر شيء، ولا يملكون، ولا يملك هو أيضاً أي خيار، بل الأمور كلها بيد الله تعالى، ولا بد من تنفيذ ما يريده سبحانه..

معاوية يهم بالفرار:

وتقدم أنه حين أفضى الأمر إلى مضرب معاوية، وشارف علي «عليه السلام» على الوصول إليه، وهو يضرب أهل الشام بسيفه. همّ معاوية بالفرار، ووضع رجله في ركاب فرسه، ثم تراجع.. لأنه تذكر أبيات عمرو بن الاطنابة. كما ادعاه معاوية نفسه.

ونرى أن معاوية لم يكن صادقاً فيما ادعاه لنفسه هنا.. ويكفي للتدليل عل ما نقول:

أولاً: إن معاوية لم يكن من أهل الفروسية، ولا كان يجرؤ على لقاء الأبطال، ولا كان يحمل نفسه على المكاره، فما معنى قوله:

وإجشامي على المكروه نفسي وضربي هامة البطل المشيح

ثانياً: أنه لم يكن من أهل البلاء.. ولا كان معروفاً بالعفاف.. ولا ممن يحب اكتساب المحامد.. بل كان يحب التسلط، واستلاب حقوق الناس، والعدوان على أهل الحق.. فما معنى قوله:

أبت لي عفتى وأبى بلائي وأخذي الحمد بالثمن الربيح

ثالثاً: والأوضح من هذا وذاك، وأصرح أنه لم يكن له مآثر صالحات، ولا كان له عرض صحيح، ليحامي عنه بسيف ذي شُطَب.. بل كان يسعي لنيل مقاصده بجهد غيره.. ولذلك استصرخ بعك، والأشعريين، ليدفعوا الهجوم عنه، فوقفوا دونه، وجالدوا عنه، كما تقدم.

كما أنه كان من الذين يقرّون ويرضون بالمقام على القبائح، فلا معنى لتمثله ببقية أبيات عمرو بن الاطنابة..

رابعاً: لقد هرب معاوية مرات ومرات من وجه بعض فرسان علي «عليه السلام»، فهل يمكن أن يثبت، وهو يعاين زحف أمير المؤمنين «عليه السلام» نحوه؟!

ويكفيه قول النجاشي فيه، وهو يذكر فراره:

ونجى ابن حرب سابح ذو علالة أجش هزيم والرماح دواني
سليم الشظا عبل الشوى شنج النسا أقب الحشا مستطلع الرديان
إذا قلت أطراف العوالي ينلنه مرته به الساقان والقدمان
حسبتم طعان الأشعرين ومذحج وهمدان أكل الزبد بالصرفان
فما قتلت عك ولخم وحمير وعيلان إلا يوم حرب عوان
إلخ..(1).

وقد هرب معاوية في وقعة يوم الأربعاء حين هاجمه أحد أصحاب علي «عليه السلام» حتى دخل خباءه، فلحقه، فخرج معاوية من جانب الخباء الآخر هارباً.

وهرب معاوية أيضاً حين تمثل بأبيات قطري بن الفجاءة:

---

(1) صفين للمنقري ص 524 وراجع: كتاب الخيل لأبي عبيدة ص162 والغارات للثقفي ج2 ص538 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص89 وج5 ص24 وتاريخ مدينة دمشق ج68 ص47 .

أقـول لـهـا وقد طارت شعاعاً إلـــــــــــــخ..[1].

وفي بعض المواضع الصعبة أفلت معاوية، وهو سليب القلب، لم يملك عقله وقد خاطبه جريش السكوني، فقال:

معـــاوي مـــا أفلت إلا بجرعة من الموت رعباً تحسب الشمس كوكبـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

نجـوت فقد أدميت بالسوط بطنه أزوما على فأس اللجام مشذبا

فلا تـكـفــرنــه واعلمن أن مثلها إلـى مثلها غـالى بك الجري أو كبا[2]

وجاء في الشعر الذي قاله «عليه السلام» في راية حضين:

أذقنـــا ابــن حرب طعننا وضرابنا بأسـيافنا حتــى تـولى وأحجمـا

وفـــر ينـــادي الزبرقان وظالماً ونـــــادى كلاعـــاً والكـــريب وأنعمـــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

إلــــــــــــــخ..[3] .

(1) راجع: صفين للمنقري ص270 و 271 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص34 وغير ذلك.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص122 و 123 وصفين للمنقري ص401.

(3) صفين للمنقري ص289 والغارات للثقفي ج2 ص790 وبحار الأنوار ج32 ص478 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص26 والكامل في التاريخ ج3 ص299.

حديث زيد بن عدي:

وبعد.. فهناك تفاوت ظاهر بين النص الذي أورده المنقري لقضية زيد بن عدي بن حاتم، وبين النص الذي ذكره ابن أعثم، فمثلاً:

1 ـ ورد عند ابن أعثم: أن زيداً ضرب الحنظلي على أم رأسه، فقتله.

لكن المنقري، يقول: إنه طعنه، فقتله.

ويشهد لصحة هذه الرواية ما ورد في شعر زيد:

وذكــرني ثــــاري غداة رأيته فـــاوجــرته رمحي فخر على الفم

أما قوله:

تـــركــت أخـا بكر ينوء بصدره بصــفين مخضـوب الجبـين مـن الدم[1]

فلا يدل على أنه قد ضربه على أم رأسه، لأن الظاهر هو: أن كلمة الجبين قد صحِّفت عن كلمة «الجيوب»[2].

2 ـ إن الشعر الذي نقله ابن أعثم يدل على ندم زيد على ما فعل، لكن الأبيات التي ذكرها المنقري، تعطي: أنه لم يندم، ولم يتأثم، بل بقي سادراً في غيه، ممعناً في غوايته وعمايته..

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص244.

(2) راجع: صفين للمنقري ص523 والدرجات الرفيعة ص359.

وهو يثني فيه على خاله ثناءً عظيماً، بالرغم من أنه قتل مع القاسطين، وهو يحارب الله ورسوله «صلى الله عليه وآله»..

كما أنه يتباهى بقتل هذا المؤمن الصالح، الذي وصفه عدي بن حاتم: «من خير مرءٍ». وقد اغتم علي «عليه السلام» بقتله..

والذي يبدو لنا: أن ندم زيد على مفارقته علياً «عليه السلام» قد تأخر قليلاً، وأن الشعر الذي تباهى فيه بقتل قاتل خاله، قد قاله فور فراره إلى معاوية.. ولكنه بعد أن استقر به المقام، وذهبت السكرة، وجاءت الفكرة، أدرك أنه ارتكب خطأً جسيماً وعظيماً، فندم. ثم تمادى به الأمر حتى أصبح يسأل الرجعة، كما ذكره أمير المؤمنين «عليه السلام» في إحدى خطبه، التي قال فيها:

«وقد فارقكم مصقلة بن هبيرة فآثر الدنيا على الآخرة.. وفارقكم بسر بن أرطأة، ثقيل الظهر من الدماء، مفتضح [لعل الصحيح: منتفخ] البطن من المال. وفارقكم زيد بن عدي بن حاتم، فأصبح يسأل الرجعة»(1).

هذا.. وقد خرج زيد هذا مع الخوارج في النهروان، ويبدو أنه هو الذي قتل معهم، فقد قال البلاذري: «وخرج زيد بن عدي بن حاتم، فاتبعه أبوه عدي بن حاتم، ففاته، فلم يقدر عليه. فانصرف عدي إلى

(1) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص101 و (تحقيق الشيري) ج1 ص134.

علي «عليه السلام» بخبرهم.

وقوم يقولون: إن الذي خرج فاتبعه عدي إبنه طريف. وذلك باطل. فقد قتل طريف مع علي «عليه السلام» يوم الجمل. وفقئت فيه عين أبيه. وقتل طرفة مع علي «عليه السلام» يوم النهروان. والذي خرج مع الحرورية زيد بن عدي»(1).

وقال البلاذري في موضع آخر: «وقتل حابس بن سعد الطائي من أهل الشام، قتله الحمارس من أهل الكوفة، فشد عليه زيد بن عدي، فقتله ولحق بمعاوية.

ثم رجع بعد إلى الكوفة، فخرج في جماعة يصيب الطريق، فقتلته خيل للمغيرة بن شعبة. وهو عامل معاوية على الكوفة.

وقال بعضهم: قتل مع الخوارج بالنهروان»(2).

عدي سيد الناس مع علي ×:

وصرحت رواية المنقري: بأن عدياً «رحمه الله» سيد الناس مع علي «عليه السلام» في نصيحته وغنائه.

ونقول:

لعل الأصوب القول: إنه كان من سادات الناس، وإلا فإن الأشتر، والأشعث، وابن عباس كانوا من سادات الناس أيضاً.. فكيف إذا ذكر

____

(1) أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ. ق. بتحقيق المحمودي) ج2 ص271.
(2) أنساب الأشراف (ط سنة 1416 هـ. ق. بتحقيق المحمودي) ج2 ص215.

الحسنان «عليهما السلام»؟!

الإفك على عائشة:

وقد تضمنت رواية المنقري إشارة في كلام حجر بن عدي إلى الإفك في حديث الإفك، كان على عائشة معترفاً بأن عائشة خير منه. مصرحاً أيضاً بأن آيات الإفك قد نزلت في براءتها.

فقال مخاطباً علي «عليه السلام»: «وقد أنزل في عائشة وأهل الإفك. والنبي «صلى الله عليه وآله» خير منك، وعائشة يومئذٍ خير مني».

ونقول:

أولاً: لقد أثبتنا بما لا يقبل الشك أن الإفك كان على مارية القبطية، وليس على عائشة.

فراجع الجزء الثالث عشر من كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله».

وراجع أيضاً كتابنا: «حديث الإفك: تاريخ ودراسة».

إلا أن يكون مراد عدي أن عائشة قد شاركت في الإفك على مارية، وأن الآيات قد نزلت فيها بهذا المعنى.. ولكن هذا بعيد عن مساق كلام عدي..

ثانياً: إن عدياً قد شارك في حرب الجمل ضد عائشة. وكان قد عرف أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد حذرها من أن تكون هي

صاحبة الجمل الأدبب، التي تنبحها كلاب الحوأب.

كما أنه كان قد طرق سمع عدي ما جرى لرسول الله «صلى الله عليه وآله» معها ومع حفصة حتى نزلت سورة التحريم التي صرحت بتظاهرهما على رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد تضمنت هذه السورة المباركة أموراً شديدة جداً ضدهما، لعلها لا تقل في خطورتها، وفي قسوتها عن آيات الإفك، إن لم نقل إنها أصعب وأشد..

فكيف يقول عدي: إن عائشة كانت يومئذ خيراً منه؟!

ثالثاً: إن سياق الكلام المنسوب إلى عدي هنا يدل على أنه يخاطب أمير المؤمنين «عليه السلام» بنبرة لا تخلو من التحدي واللوم، وكأنه يتهم علياً «عليه السلام» بأنه هو الذي يثير الجو ضده..

رابعاً: لم نجد مبرراً لإطلاق عدي استفهامه التقريري لعلي «عليه السلام» عن عصمة الله تعالى رسوله بالوحي عن حديث النفس، وعن الوساوس، وأماني الشيطان..

فإنه حتى لو أجابه علي «عليه السلام» بتصديق قوله، ماذا سيستفيد، وأي شيء سيثبت له من خلال ذلك.. فإن علياً «عليه السلام» لم يكن ينكر ذلك، كما أنه لم يكن يتهم عدياً بشيء من أمر ولده. ولم يكن عدي يحتاج إلى اثبات براءته أمام علي «عليه السلام»..

كما أن كون النبي «صلى الله عليه وآله» خيراً من علي «عليه

السلام» لا يزيل التهمة والشك من قلب علي «عليه السلام» لو كان في قلبه شيء من ذلك.. وكون عائشة خير من عدي لا يبريء عدياً مما نسب إليه..

والحقيقة هي: أننا نظن أن هذه الفقرة قد أقحمت كلها في كلام عدي.. لأنها لا معنى لها..

ويلاحظ: أن هذه الفقرات لم ترد في النص الذي أورده ابن أعثم. بل اقتصر على قوله: وقد قربني زيد للظن، وعرضني للتهمة إلخ.. وهذا هو الأصح والأصوب..

جارية بن قدامة يصف علياً × :

وقد لفت نظرنا كلام جارية بن قدامة في حق علي «عليه السلام»، فقد وصفه بما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» خير راكع وساجد..

2 - إن حقه «عليه السلام» على الناس كحق الوالد على والده..

3 - إنه «عليه السلام» كاشف الأوابد..

والظاهر: أن كلام جارية هذا مقتبس من الأحاديث الواردة عن الرسول «صلى الله عليه وآله» في حق علي «عليه السلام».. كما أن أفضليته «عليه السلام» على جميع البشر من حيث أنه خير راكع

وساجد، هي التي جعلت الرسول يقول: أنا وعلي أبوا هذه الأمة[1]، فصار بذلك حقه على الأمة كحق الوالد على ولده[2].

وهذا يعطي: أنه «عليه السلام» هو الإمام والحاكم بعد الرسول «صلى الله عليه وآله».

ثم أكد جارية بن قدامة هذا المعنى حين وصفه «عليه السلام» بأنه كاشف الأوابد. وهي الأمور العظيمة، والدواهي الكبرى.

والظاهر: أنه مقتبس من كونه «عليه السلام» هو كاشف الكروب عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»[3].

---

(1) علل الشرائع ص127 وعيون أخبار الرضا ج2 ص85 ومعاني الاخبار ص52 وبحار الأنوار ج40 ص45 وج16 ص95 وتفسير البرهان ج1 ص369 عن مناقب آل أبي طالب، وعن الفائق للزمخشري، والميزان في تفسير القرآن ج4 ص357 عن العياشي. وراجع: لسان الميزان ج2 ص40.

(2) راجع: المناقب للخوارزمي ص219 و 230 ومناقب الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن المغازلي ص48 وغاية المرام ص544 وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن عساكر (تحقيق المحمودي) ج2 ص271 و 272 وفرائد السمطين ج1 ص397 ولسان الميزان ج4 ص399 وميزان الإعتدال ج3 ص316 والأمالي للطوسي ج2 ص277.

(3) راجع: إحقاق الحق (الملحقات) ج4 ص224 و 225 وج15 ص174 و 470 وج20 ص250 وج7 ص74 وراجع: ج8 ص240 عن مصادر

ابن خالد لا يفرق بين الخير والشر:

وقد لفت نظرنا قول عبد الرحمان بن خالد:

«احمل ما حملت من خير وشر»

فإنه سجل على نفسه بهذا اعترافاً بأنه مجرد آلة صماء، بكماء، عمياء، يحركها الآخرون، ولا يهمه إلا تنفيذ الأوامر خيراً كانت أو شراً، حسنة كانت، أو قبيحة..

وهذا يشير إلى أنه قد فقد القدرة على التمييز، أو أنه سلب الإيمان والخوف من الله تعالى، أو أنه تجرد من المشاعر، ومن الأخلاق الإنسانية، والقيم الإلهية.. حتى أصبح يتباهى ويفتخر بما هو خزي وعار، وذل وشنار..

أقحم يا بن سيف الله:

وقد دلتنا كلمة عمرو بن العاص لعبد الرحمان بن خالد: «أقحم يا بن سيف الله» على أن ابن العاص كان يستفيد من هذا التوصيف لإثارة حماس عبد الرحمان، موهماً إياه بأن هذا من الأوسمة الجليلة والجميلة، مع أنه وسام خزي وعار، وقد منحه أبو بكر لأبيه خالد حين قتل صحابياً جليلاً مسلماً، وزنى بامرأته في نفس ليلة قتله، وقد طلب عمر من أبي بكر أن يعاقب خالداً على فعله هذا، ولكن أبا بكر

كثيرة.

رفض ذلك، وقال: ما كنت لأشيم سيفاً سله الله على أعدائه(1).

ولا ندري كيف صار خالد سيفاً لله تعالى؟! وكيف سله الله على أعدائه؟!

مع أنه إنما ارتكب جريمته في حق مسلم مؤمن صالح، بعد أن غدر به، وزنى بامرأته المسلمة في نفس ليلة قتله، فكيف يكون الله قد اتخذه سيفاً، وهل هذا الصحابي المؤمن المسلم كان من أعداء الله، ليكون خالد سيفاً يسله الله عليه؟!

ولنفترض أن مالكاً كان عدواً لله. فكيف حل له الزنا بزوجته المسلمة في نفس ليلة قتله لزوجها؟!

الشاني، الأبتر:

وقد تكرر توصيف معاوية بالأخزر، وتوصيف عمرو بن العاص بالشانئ الأبتر في الأشعار وفي الخطب والكلمات في صفين،

---

(1) تقدمت هذه القضية بتفاصيلها في الجزء الحادي عشر من هذا الكتاب.
راجع: الغدير ج7 ص158 - 163 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص503 والكامل في التاريخ ج2 ص359 وأسد الغابة ج4 ص295 وتهذيب تاريخ دمشق ج5 ص105 والإصابة ج3 ص357 و (ط دار الكتب العلمية) ج5 ص561 وتاريخ الخميس ج2 ص209 و 233 وتاريخ أبي الفداء ج1 ص158 والعثمانية للجاحظ ص248 وتاريخ مدينة دمشق ج16 ص257 ووفيات الأعيان ج6 ص15 والكنى والألقاب ج1 ص42.

ومنها ما ورد في شعر النجاشي المتقدم؛ الأمر الذي يدل على أن نزول سورة الكوثر في عمرو بن العاص، وأبيه كان أمراً مسلماً، لا يكاد يشك فيه أحد في الأمة..

وقبول أهل الشام بالإنضواء تحت لواء رجل من هذا القبيل، وتعريض أنفسهم للقتل، ورهن مستقبلهم في الدنيا والآخرة بقراراته، وسياساته، وطاعته.. خصوصاً إذا كان يريد أن يقاتل بهم، صهر الرسول «عليه السلام»، وأخاه، ووصيه، ووارث علمه، ومن نزل القرآن في الثناء عليه.. وجعله الله تعالى نفس الرسول «صلى الله عليه وآله»..

ومعه كبار صحابة الرسول «صلى الله عليه وآله»، والعبَّاد الأخيار، والعلماء الأبرار.. الذين هم رهبان في الليل، وأسود في النهار..

إن هذا الأمر من أعجب العجب، ولا يكاد يصدقه عقل، أو يرضاه وجدان.. لولا أنها سنة عرفها الناس في الأمم المتعاقبة، التي لم تزل تناصر فجارها على أبرارها، وتقتل العلماء والأنبياء، والأوصياء إرضاء لشرار الخلق، وأراذل البشر، وحثالات الناس.. لما صدق الكثيرون هذا الأمر على أهل الشام، ولا على غيرهم..

عظمة الأشتر وأثره في أهل العراق:

1 ـ قد بينت النصوص المتقدمة جانباً من عظمة الأشتر، وأثره في أهل العراق..

فقد تقدم: أن الناس أقبلوا على الأشتر، فقالوا: يوم من أيامك الأول، وقد بلغ لواء معاوية حيث ترى..

فإن هذا يدل على أنه قد كانت للأشتر أيام عظيمة مشهودة يعرفها الناس له، ويذكرونه بها، ويطالبونه بأن يريهم نظيرها..

وقد فعل ذلك، وضارب القوم حتى ردهم على أعقابهم، وأجبر خيل عمرو على التراجع، بعد أن كان عمرو يبشر أصحابه بالظفر.

2 - الأهم من ذلك تأثير الأشتر في ضبط المجتمع العراقي، وفرض الإلتزام بالقيم، ومراعاة الأحكام الشرعية والقيم الأخلاقية، كما دل عليه قول النجاشي:

إذا الأشتر الخير خلى العراق فقد ذهب العرف والمنكر..

وهذا يدل على أن الأشتر لم يكن مجرد إنسان بارع في الحرب، يخشى الناس سطوته، ويرهبون جانبه، بل كان داعية قيم، وراعي نهج، ورجل صلاح وإصلاح، فإن كان للفروسية والشجاعة من أثر ودور في حياته، فإنما هو دور بناء، وصفاء، ونقاء.. فهو دور إيجابي، يوظف في صلاح الناس، وخيرهم وسعادتهم.. ولا يوظف في قهرهم، وابتزازهم، والاستطالة عليهم بالظلم والعدوان.

عدي ومعاوية:

وما دمنا في الحديث عن عدي بن حاتم الطائي، فقد تقدم أنه دخل على معاوية بعد استشهاد أمير المؤمنين «عليه السلام». وجرت

بينهما محاورة حملت لنا الكثير من الدلالات. وقبل أن نشير إلى شيء من ذلك.. نود الإلماح إلى أننا لم نعرف السبب في دخول عدي على معاوية.. هل هو طلب معاوية منه أن يفد إليه، ويدخل عليه، فقد كانت هذه هي عادة الملوك، كما هي عادة معاوية أيضاً. فمن لم يستجب لطلبه، فعليه أن يستعد لمواجهة الأذايا، والتضييقات، والبلايا..

فقد استقدم ابن عامر، واستقدم الإمام الحسن «عليه السلام» أيضاً إلى الشام، وكان يجمع الناس، ويحاول أن يدفع بالإمام الحسن «عليه السلام» إلى المنبر، رجاء أن يحصر وينقطع، ثم تنتهي الأمور بندم معاوية على ما كان منه(1).

ومن الجائز أن يكون عدي قد احتاج إلى الدخول على معاوية لمعالجة بعض المشكلات التي تعني قومه؟!

---

(1) راجع في استقدامه إلى الشام: إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص109 الرقم 176 و (ط مؤسسة آل البيت سنة 1404 هـ) ج1 ص325 والدرجات الرفيعة ص348 وبحار الأنوار ج44 ص61 وعوالم العلوم ص16 ص149 - 150 وراجع في سائر ما كان يدبره معاوية له حين يقدم عليه: مناقب آل أبي طالب ج3 ص178 والإحتجاج ج2 ص50 و (ط دار النعمان) ج1 ص418 وصحيفة الحسن ص207 - 210 والخرائج والجرائح ج1 ص236 و 327 وبحار الأنوار ج43 ص331 و 353 و 355 وج44 ص88 والأمالي للصدوق ص244 ومقاتل الطالبيين ص43 .

وفي جميع الأحوال نقول:

إن النص الذي بين أيدينا لم يستطع أن يفصح لنا عن السبب الحقيقي الذي حدا بعدي الذي كان من أشد المحاربين لمعاوية في صفين؛ لأن يدخل عليه.. فلا محيص لنا عن غض النظر عن هذا الأمر، والانصراف إلى البحث في شأن آخر..

حب عدي لأمير المؤمنين × :

لقد كانت حسرة عميقة في قلب معاوية لم يجد لها علاجاً أن يجد أحداً من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» القريبين منه، المطلعين على أحواله يعترف له بأنه قد سلا علياً «عليه السلام»، وذهب حبه من قلبه، ولو بعد عشرات السنين من استشهاده «عليه السلام»، أنه لم يجد إلا من يتلهف على فقده، ولا يصده شيء سوى الموت عن البوح بحبه، وشدة وجده.

وقد جمع المرحوم العلامة الأحمدي في كتابه: «مواقف الشيعة» مع خصومهم موارد كثيرة تحرش فيها معاوية بأصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» فلم يسمع منهم إلا الأجوبة النارية واللاذعة، التي تؤجج نار الحقد والحسد في صدره. وتزيده غيظاً وحنقاً، وحزناً وفرقاً.. وكان يسمع ذلك من النساء والرجال على حد سواء. وتقدمت بعض الأمثلة على ذلك..

وقصته مع عدي بن حاتم واحدة من هذه الصفعات الموجعة، ذات النتائج المفجعة، التي جناها معاوية على نفسه..

فها هو عدي يقول له عن علي «عليه السلام»:

وهل يتركني الدهر ألَّا أذكره..

ويقول: إن حب علي «عليه السلام» باق في قلبه، وإذا ذكر ازداد.

وحين قال له معاوية: إنه يريد إخلاق ذكر علي «عليه السلام». قال له عدي: إن قلوبنا ليست بيدك يا معاوية.

ويقول: إنه قد هُدَّ ركنه بقتل علي «عليه السلام». ولم يعد له من يصول به.

قلوبنا ليست بيدك يا معاوية:

وكم كانت حسرة معاوية كبيرة حين أعلن له عدي، بقوله: إن قلوبنا ليست بيدك يا معاوية.

أي أن عليك يا معاوية أن تيأس، وأن تعتبر نفسك فاشلاً، وعاجزاً عن إدراك ما تريد، لأن القلوب بيد الله سبحانه، وليست بيدك..

وأطلق معاوية ضحكة نتوقع أن تكون صفراء، إما لأنها تستبطن التصميم على العمل على إبطال إرادة الله ـ بزعمه ـ واقتلاع حب على «عليه السلام» من قلوب محبيه، بأساليب شيطانية ماكرة..

أو لأنها جاءت للتغطية على عجزه، ليمهد بها إلى لجوئه إلى الإيذاء الروحي لعدي بن حاتم باستخدام اسلوب التقريع والتعيير بما كان من قومه في الجاهلية.. حيث زعم أن قبيلة طيء كانت تسرق

الحاج في الجاهلية، ولا تعظم الحرم..

فتلقاها عدي بروح صافية، وبنظرة واقعية، لا تجحد ولا تكابر، بل تضع الأمور في نصابها، وترجع المسببات إلى أسبابها.. فجاءت النتائج أشد على معاوية من الضرب بالسياط.. حيث بيَّن له: أن سرقة قبيلة طي للحاج وعدم تعظيمهم الحرم إنما كان في الجاهلية، حين كانو لا يعرفون حلالاً، ولا ينكرون حراماً..

فلما جاء الله عز وجل بالإسلام، كانت طيء أسبق إلى العمل بأحكامه، والإلتزام بأوامره ونواهيه، وأشد تعظيماً للحرم من معاوية وقومه..

وهنا تدخَّل عمرو بن العاص، والرجل الآخر لإنقاذ موقف معاوية، بأسلوب ينضح بالإستهانة، والتشفي، حين قالوا: إن عدياً بعد صفين ذليل.. وصدقهم عدي «رحمه الله» في قولهم هذا، وخرج من المجلس، وأطلق موقفه في شعره الذي انشده بعد خروجه من ذلك المجلس.

وتبين لمعاوية أنه لم يحصد من محاولته التي بذلها مع عدي إلا المزيد من نشر الذكر الطيب لعلي «عليه السلام»، وزيادة تعلق الناس به، وظهور الفوارق الشاسعة بينه «عليه السلام» وبين مناوئيه، وعلى رأسهم معاوية وغيره من بني أمية..

فأين الثريا وأين الثرى؟! وأين معاوية من علي؟!

فرأى أن من مصلحته استرضاء عدي، وإخماد الفورة التي أثارها.. وهكذا كان..

الفصل الرابع:

أحداث لها مغزاها..

الأسير.. الشاعر:

روى نصر، عن عمر في إسناده قال:

وكان من أهل الشام بصفين رجل يقال له الأصبغ بن ضرار الأزدي، [خرج بالليل]، وكان يكون [حارساً, و] طليعة ومسلحة لمعاوية، فندب علي «عليه السلام» له الأشتر، [فاحتال عليه]، فأخذه أسيراً من غير أن يقاتل.

وكان علي «عليه السلام» ينهى عن قتل الأسير الكاف، فجاء به ليلاً، وشد وثاقه، وألقاه عند أصحابه ينتظر به الصباح.

[وأيقن الرجل بالقتل] وكان الأصبغ شاعراً مفوهاً، ونام أصحابه، فرفع صوته، فأسمع الأشتر فقال:

ألا ليت هذا الليل طبَّق سرمدا ... على الناس لا يأتيهم بنهار
يكون كذا حتى القيامة إنني ... أحاذر في الإصباح ضرمة نار
فيا ليل طبِّق إن في الليل راحة ... وفي الصبح قتلي أو فكاك

إســاري

ولو كنت تحت الأرض ستين[1] واديا   لمـا رد عنـى مـا أخـاف حـذاري

فيــا نـفس مهلا إن للموت غاية   فصـبرا علـى مـا نـاب يـا ابـن ضـــــــــــــــــــــرار

أأخشــى ولى في القـوم رحم قريبة   أبـــى الله أن أخشـــى والاشـــتر جـــــــــــــــــــاري

ولـــو أنـــه كـان الأسـير ببلدة   أطـاع بهـا شـمرت ذيـل إزاري

ولو كنت جـار الأشعث الخير فكنَّى   وقـلَّ مـن الأمـر المخـوف فـراري

وجـــار سـعيد أو عدي بن حاتم   وجار شـريح الخيـر قـر قـراري

وجـار الـمـرادى العظيم وهانئ   وزحـــر بـــن قـــيس مـــا كرهـــت نهـــــــــــــــــــاري

ولـــو أننى كنت الأسير لبعضهم   دعوت رئيس القوم عند عثاري

أولئـــك قومي لا عدمت حياتهم   وعفـوهم عنـى وسـتر عـواري

[ألا فـــابعثنِّي في الصباح بنعمة   يـفك بهـا عنـي فقبـري داريٍ] (2)

فغدا به الأشتر على علي «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين! هذا رجل من المسلحة لقيته بالأمس، فوالله لو علمت أن

(1) في الفتوح: تسعين. ورسم الخط المتقارب يوجب الإشتباه بين الستين، والسبعين، والتسعين.

(2) كذا في الفتوح.

قتله الحق قتلته. وقد بات عندنا الليلة وحركنا [بشعره]، فإن كان فيه القتل فاقتله وإن غضبنا فيه، وإن ساغ لك العفو عنه فهبه لنا.

قال: هو لك يا مالك، فإذا أصبت [منهم] أسيراً فلا تقتله، فإن أسير أهل القبلة لا يفادى ولا يقتل.

فرجع به الأشتر إلى منزله وقال: لك ما أخذنا منك، ليس لك عندنا غيره(1).

ونقول:

إيضاحات:

العوار: العيب.

المسلحة: موضع السلاح والمرقب، كالثغر الذي يراقب منه العدو، ويتواجد فيه حملة السلاح.

المفوَّه: المنطيق.

اقتله، وإن غضبنا فيه:

ما أروع كلمة الأشتر لأمير المؤمنين «عليه السلام»: «فإن كان

---

(1) صفين للمنقري ص466 و 467 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص116 و 117 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص101 و 102 ومستدرك الوسائل ج11 ص55 وبحار الأنوار ج32 ص522 وج97 ص38 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص131.

فيه القتل، فاقتله، وإن غضبنا فيه».

فإن الأشتر يعرف أن المطلوب هو: إجراء أوامر الله ونواهيه، غضب من غضب، ورضي من رضي.

ويعرف أن رضا الناس وغضبهم لا قيمة له ما دامت منطلقة من الرغبات والأهواء، والعصبيات.. وعلى الناس أن يطبقوا هم أهواءهم ورغباتهم على الشرع، وأن لا يطلبوا من الشرع أن يستجيب لأهوائهم ورغباتهم. لأن الله تعالى أنظر إلى الخلق من الخلق لأنفسهم..

وقد استفاد الأشتر من استسلامه للشرع الشريف قاعدة تحل له المشكلة، وتدفع عنه الشبهة، وهي أن أهل الأسير من أهل القبلة، لا يقتل ولا يفادى.

كما أنه وجد أن هواه قد جاء منسجماً مع حكم الشرع، وهذه هي سمات الأخيار، فإن هواهم ليس استجابة لشهوات شخصية، وإنما هو انسياق مع إدراك لمعاني الخير التي تسانخ طبائعهم، وتنجذب إليها نفوسهم، فتصبح لذتهم بالخير، وميلهم إليه دون سواه، ويكون هو هواهم وهو شهوتهم ولذتهم في الدنيا قبل الآخرة..

والذي حرَّك الأشتر إلى طلب العفو عن الأصبغ: أنه أدرك من شعره أن في داخل هذا الرجل نفحة خير وصلاح، فلماذا لا يستثمرها وينميها. فقد تضمن شعره معان إنسانية تأنس بها روح الأشتر، وينشرح لها قلبه..

وقد اثمرت هذه المعاني للأصبغ نجاة وحياة، لأن الله تعالى يقول: **(أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ..)**(1).

ويقول تعالى: **(فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ)**(2).

هو لك يا مالك!:

وحين طلب مالك من علي «عليه السلام» أن يهبه ذلك الأسير، قال «عليه السلام»: «هو لك يا مالك»، فدلت هذه الكلمة على أنه «عليه السلام» قد وهب ذلك الأسير لمالك، مما يعني أن قوله: «إذا أصبت منهم أسيراً، فلا تقتله» إنما هو على سبيل التفضل والتكرم منه «عليه السلام»، وإلا فإن حكم الأسير هو القتل، ولكنه «عليه السلام» قد استفاد من مقام الإمامة الذي يسمح له بتقرير حكم اقتضته العناوين الثانوية، مفاده: أن يقتل الأسير الذي قتل أحداً من المسلمين، ويعفى عن الأسير الذي لم يقتل أحداً. كما هو حال الأصبغ بن ضرار هنا.

فأنشأ «عليه السلام» هذا الحكم، وأبلغه الأشتر في هذه المناسبة، ليكون هو الحكم الثابت إلى أن يظهر الإمام الثاني عشر عجل الله تعالى فرجه الشريف، فيزول المقتضى للحكم الثانوي. وينتفي الحكم

---

(1) الآية 159 من سورة آل عمران.

(2) الآية 7 من سورة الزلزلة.

بانتفاء مقتضيه. وتعود الأحكام الأولية، لتصبح هي اللازمة الإجراء دون سواها..

هل جهل الأشتر حكم الأسير؟!:

ويبدو لنا: أن الأشتر كان يعرف أن حكم الأسير هو القتل، ولعل الأشتر قد فهم أن نهي علي «عليه السلام» في حرب الجمل عن قتل الأسرى، إنما هو لكي لا يتصرف الناس في هذا الأمر من عند أنفسهم، لكي يكون القرار بيد الإمام مباشرة.

وساعد على هذا الفهم: أنه رأى أنه «عليه السلام» قد قتل بعض الأسرى، كابن اليثربي، ولم يقتل بعضهم. حيث لم يظهر له أن علياً «عليه السلام» قد حكم وفق عنوان ثانوي باق إلى حين خروج الإمام «عليه السلام»، ربما لأنه اعتبر أنه «عليه السلام» إنما عفا عنهم لمصلحة آنية اقتضت ذلك.

ويؤكد لنا: أن الأشتر لم يكن عارفاً بحيثيات منع علي «عليه السلام» من قتل الأسرى: أن النص يصرح بأن علياً «عليه السلام» كان ينهى عن قتل الأسير الكافّ.

ثم يصرح بأن الأشتر قال لأمير المؤمنين «عليه السلام»: «لو علمت أن قتله الحق قتلته». إلى أن قال: «فإن كان فيه القتل، فاقتله، وإن غضبنا فيه، وإن ساغ لك العفو عنه، فهبه لنا».

وهذا درس عملي نتعلمه من الأشتر الذي لم يستسلم لمشاعره

التي يفترض أن تكون متوترة في ساحات القتال، بل هو يدقق ويتأمل، ويسأل عما يجوز، وما لا يجوز، ويقف عند الشبهة، ولا يمضي إلا على يقين.

المعجزات والكرامات جزء من حياتنا:

روي: أنه لما طال المقام بصفين، شكوا إليه «عليه السلام» نفاد الزاد والعلف، بحيث لم يجد أحد من أصحابه شيئاً يؤكل.

فقال «عليه السلام»: طيبوا نفساً، فإن غداً يصل إليكم ما يكفيكم.

فلما أصبحوا وتقاضوه، صعد «عليه السلام» على تل كان هناك، ودعا بدعاء وسأل الله أن يطعمهم، ويعلف دوابهم.

ثم نزل ورجع إلى مكانه، فما استقر إلا وقد أقبلت العير بعد العير عليها اللحمان، والتمر، والدقيق، والميرة، بحيث امتلأت بها البراري، وفرغ أصحاب الجمال جميع الأحمال من الأطعمة، وجميع ما معهم من علف الدواب، وغيرها من الثياب، وجلال الدواب، وجميع ما يحتاجون إليه، حتى الخيط والمخيط.

ثم انصرفوا ولم يدر أحد من أي البقاع وردوا، من الإنس، أم من الجن، وتعجب الناس من ذلك(1).

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص42 والخرايج والجرايح ج2 ص543 وإثبات الهداة ج4 ص548 والثاقب في المناقب ص157 ومدينة المعاجز ج1 ص484 وشجرة طوبى ج2 ص327.

ونقول:

قد يستغرب بعض الناس إيرادنا هذه الرواية وأمثالها.. وقد لا يروق له قراءتها، فيسارع إلى قلب الصفحة التي وردت فيها، ثم يتمادى به الأمر إلى حد أن يتحرج من أن يطلع عليها بعض الناس الذين يصفهم بالمثقفين، أو المتنورين. لأنهم سوف يستهزئون بالعقلية التي ترضى بامثال هذه الخرافات، على حد تعبيرهم..

غير أننا نقول لهذا الشخص، ولمن وراءه من الذين يعتبرهم طبقة مثقفة ومتنورة: إننا ليس فقط لا نخجل بأمثال هذه النصوص، بل نحن نتباهى ونعتز بها. ونشفق على العقليات المتحجرة والمتخلفة التي تعيش في ادغال الجهل، وفي أحشاء الظلمات، ومتاهات الأوهام..

وحسبنا هنا أن نطرح على أمثال هؤلاء سؤالاً واحداً فقط، ونود أن يجيبونا عليه بواقعية وموضوعية وصدق.. وهو سؤال ساذج وبسيط جداً. نستفيده من آية قرآنية تقول: (**سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ**)[1].

بالإضافة إلى قوله تعالى: (**أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ**

(1) الآية 53 من سورة فصلت.

خُلِقَتْ)(1).

فضلاً عن قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ)**(2).

والسؤال هو: إن أكثر ما نراه في أنفسنا، ونتداول به في حياتنا مخلوق من تراب، فليأخذ هؤلاء حفنةً من تراب، ونحن نطلب منهم أن يخضعوها لكل ما يملكونه من وسائل كشف واستكناه، وتحسس وتجسس، فهل يجدون في هذه الحفنة كل هذه الطعوم المختلفة من الحلاوة، والمرارة، والحموضة وغيرها.. وسائر طعوم الفاكهة والحبوب، والنباتات. وطعم اللحم، وغير ذلك من الطعوم اللذيذة، والخبيثة؟!

وهل يجدون فيها لحماً وعظماً، وخشباً وشجراً، وسائر مكونات أجساد الحيوانات والبشر، والحشرات، والزواحف، والنباتات والأشجار، وسائر مكونات ثمارها، وما فيها من شحم وعظم، ولحم، ومواد مختلفة، وأجهزة معقدة، وألياف، وأنسجة، وما لها من آثار وأدوار، وغير ذلك؟!

وهل يجدون فيها أثراً للألوان المختلفة التي نراها في الأجسام

---

(1) الآية 17 من سورة الغاشية.

(2) الآية 73 من سورة الحج.

المتكونة من هذه الحفنة الترابية؟!

وهل يجدون فيها هذه الروائح الطيبة والكريهة، التي نجدها في الثمار والنباتات، والزهور والعطور المستخرجة منها، وروائح الأجسام التي خرجت وتكونت وتتغذى منها، ثم تتفاعل معها، وما لهذه الروائح من آثار إيجابية، أو سلبية على الأحياء، وفي المحيط الذي تنتشر فيه؟!

وهل يستطيع أحدهم أن يعرفنا كيف، ولماذا يتولد من هذه الحفنة الترابية الأجسام اللينة والصلبة، والخشنة والمشعة، واللزجة واللاصقة، وخصائص الأدوية ذات الآثار المتباينة والمختلفة بما فيها السموم، والمخدر والمنعش، أو المقوي والمضعف؟!

وهل يجدون في هذا التراب دماً فيه كريات بيض وحمر؟!

وهل يخبروننا كيف يتكون من هذا التراب إنسان، ينمو ويكبر؟! ولماذا إذا تولد من إنسان يكون على شكل إنسان؟! ولماذا لا يختلف تكوينه؟! فلماذا لا يتكون في رحم الحمارة غير الحمار، وفي رحم الإنسان غير الإنسان؟! ولماذا لا يتكون من نطفة الإنسان ذئب، ولا يكون في بيضة الدجاجة فأرة، وفي بيضة العصفور فراشة؟! ولماذا تدب الروح في الجنين بعد أن لم تكن؟! ولماذا هي روح إنسان؟! ولماذا يكون العقل للإنسان، ولا يكون للطير، أو للكلب، أو لغير ذلك من المخلوقات؟!

وكل ذلك أصله، وفصله، ومنشؤه هذه الحفنة من التراب..

ولو أردنا الإسترسال في الأسئلة، فإن الأسئلة ستزيد كثيراً على عدد ذرات التراب، وعلى عدد حبات الرمال..

مع أن ذرات التراب التي تتكون منها الحفنة التي نتفحصها متشابهة في كل شيء.. وهل انضمام المتشابهات إلى بعضها يكون له هذا العطاء الهائل؟!

وأين هي المصانع الكبرى التي أخذت ذرات التراب المتشابهة هذه، وهندست وكونت منها بعمليات التحليل والتركيب، والضم والتفريق، حتى أنتجت كل هذه المخترعات الكثيرة والهائلة، والمعقدة والمتباينة، التي تحمل في داخلها مليارات الإختراعات لكل خلية فيها، أو جهاز تحتويه، أو عضو من الأعضاء. نتج عنها، واستخرج منها؟!

فهل من يفعل هذا كله في كل بوصة بوصة في هذا الكون الفسيح، وينتج هذه الأمور الموجودة في كل هذا الكون من ذرات تراب متشابهة منضمة إلى مثيلاتها. هل يعجز عن صنع معجزة لوليه، ووصي نبيه الذي يريد منه أن يهيمن على مسيرة هذه المخلوقات، ويحفظها ويرعاها ويسددها، لكي تحقق الأهداف الكبرى من هذا الخلق؟!

إن هذا كله يوضح: أننا غارقون في بحر من المعجزات، ونعيش فيها،(كالسمكة التي لا تعرف ما هو الماء إلا حين يخرجها الصياد بشباكه منه، فتعرفه، وتدرك هذه الحقيقة، وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة، كذلك الإنسان..) إن غرقنا في بحر المعجزات يجعلنا لا

نراها، ولا نتعقلها، ولذلك احتاج الإنسان إلى التذكير بها باستمرار.. **(أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ)**(1).

ولا ريب في أن تقدم العلوم هو الذي يعرفنا على هذه المعجزات والآيات باستمرار على قاعدة: **(سَنُرِيهِمْ آَيَاتِنَا فِي الْآَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)**(2).

وقد أخبرنا الله تعالى في محكم كتابه بقصص لا شك بحدوثها للأنبياء والأوصياء ولغيرهم، وتحققها على أيديهم، وهي كثيرة ومعروفة لدرجة لا داعي لتعدادها، فهي من الأمور البديهية في ديننا ومعتقدنا، والتسليم لها والإيمان بها هو ألف باء الإسلام، فلا يكون المسلم مسلماً ما لم يؤمن بقدرة الإنسان على العروج بجسده إلى السموات العلى كما جرى لخاتم الأنبياء «صلى الله عليه وآله» وعلى إحياء الموتى كما جرى لنبي الله عيسى بن مريم «عليه السلام» وعلى قدرته على تحويل العصا إلى ثعبان كنبي الله موسى «عليه السلام»، وعلى إتيان من عنده علم من الكتاب بعرش بلقيس من اليمن إلى بيت المقدس قبل أن يرتد لسليمان «عليه السلام» طرفه..

---

(1) الآية 17 من سورة الغاشية.

(2) الآية 53 من سورة فصلت.

ولطالما اجترحت يد أمير المؤمنين «عليه السلام» المعجزات التي رافقته منذ ولادته في الكعبة إلى حين استشهاده في محرابه..

علي × في بني محارب:

وروى ابن ديزيل في كتاب صفين: عن سيف الضبي، عن الصعب بن حكيم بن شريك بن نملة المحاربي، عن أبيه، عن جده شريك، قال: كان الناس من أهل العراق وأهل الشام يقتتلون أيام صفين ويتزايلون، فلا يستطيع الرجل أن يرجع إلى مكانه حتى يسفر الغبار عنه، فاقتتلوا يوماً وأسفر الغبار، فإذا علي «عليه السلام» تحت رايتنا. يعني بني محارب، فقال «عليه السلام»: هل من ماء؟!

فأتيته بإداوة، فخنثتها له ليشرب، فقال: لا، إنا نهينا أن نشرب من أفواه الأسقية.

ثم علق سيفه وإنه لمخضب بالدم من ظبته إلى قائمه، فصببت له على يديه، فغسلهما حتى أنقاهما، ثم شرب بيديه حتى إذا روي رفع رأسه، ثم قال: أين مضر؟!

فقلت: أنت فيهم يا أمير المؤمنين!

فقال: من أنتم بارك الله فيكم.

فقلنا: نحن بنو محارب، فعرف موقفه، ثم رجع إلى موضعه**(1)**.

---

(1) بحار الأنوار ج32 ص491 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص254.

ونقول:

خنث السقاء:

1 - قال ابن أبي الحديد: خنثت الإداوة إذا ثنيت فاها إلى خارج. وإنما نهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن اختناث الأسقية لأن رجلاً اختنث سقاء، فشرب، فدخل إلى جوفه حية كانت في السقاء[1].

توضيح:

إنه «عليه السلام» حين خنث السقاء لم يفعل ذلك توطئة للشرب منه، بل مقدمة لغسل يديه، فإنه «عليه السلام» لم يكن ليغفل عن الحكم الشرعي لحظة واحدة.. ولكن شريك بن نملة توهم أنه «عليه السلام» أراد أن يشرب منه على هذه الحال.

وقد أراد أن يعينه على ذلك، فنهاه «عليه السلام»، وأرشده إلى أنه إنما يريد أن يغسل يديه أولاً، فإن كان يريد مساعدته، فعليه أن يعينه على ذلك أولاً، ليغسل يديه، ويطهرهما، ثم يشرب بيديه.

فسالت أودية بقدرها:

إن سؤاله «عليه السلام» عن مضر، لا عن ربيعة، وسواها، لأنه كان عارفاً بأنه في مضر، ولكنه يورد الكلام بحسب ظواهر الأمور، توطئة لتحديد الفريق المضري الذي كان يحيط به، لأنه لا يتعامل مع

---

(1) المصدران السابقان.

الناس من موقع علمه الخاص، لأنه لو فعل ذلك لغلا كثير من الناس فيه، وادعوا له مقام الألوهية، وقد حدث ذلك له بالفعل، كما أخبر به هو نفسه حيث قال: يهلك فيَّ اثنان: محب غال، ومبغض قال.

ولكنه «عليه السلام» كان محتاجاً إلى إظهار بعض ما عنده من علم الغيب، وتعريف الناس بما له من مقام عند الله ورسوله، لإثبات مقام الإمامة، ولأجل تقوية قلوب الناس معه، وإفهامهم أنه هو الذي استودعه رسول الله «صلى الله عليه وآله» أسرار النبوة، فعليهم أن يثقوا برعاية الله تعالى لهم، وبأنهم على حق، وأن مناوئيه ومحاربيه على باطل، وأن عليهم أن لا يخشوا من بغي الباغين، وأن يثقوا بصحة تدبيره، وصواب أعماله، وصدق ما يخبرهم به عن الله وعن رسوله، وعما يجري..

فكان يكتفي من ذلك بأقل القليل من دلائل ذلك، رفقاً بقاصري النظر، الذين قد يتجاوزون حدود المعقول في تفاعلهم مع ما يجري، إما لناحية الإثبات، فيذهبون إلى حد الغلو فيه، أو لناحية النفي، فيرمونه بالسحر، والكهانة، حسداً منهم وعناداً وجحوداً.. ولذلك، فإن من الطبيعي أن يسأل الناس عن موضعه، مع أنه أعرف به من المسؤول، لأن المصلحة اقتضت ذلك.

جواب معاوية أحب إليه:

وقالوا:

روى أبو عمر الزاهد في كتاب فائت الجمهرة: أن رجلاً سأل

معاوية يوم صفين عن مسألة، فقال له: سل علياً، فإنه أعلم مني.

قال: فقال له الرجل: جوابك أحب إلي من جوابه.

فقال له: لقد كرهت رجلاً رأيت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يغره [بالعلم غرا]، ولقد رأيت عمر إذا أشكل عليه الشئ، قال: أهاهنا أبو الحسن؟! قم لا أقام الله رجليك. ومحا اسمه من الديوان.

قال ابن عباس: فكنت جالساً عند أمير المؤمنين «عليه السلام»، فجاءنا الرجل، وقد سبقه خبره إلينا، فقال: يا أمير المؤمنين! قد جئتك مستأمناً.

فقال له: أنت صاحب الكلام، أنت تعرف معاوية من أنا؟! فكيف رأيت جواب المنافق؟! قم لا أقام الله رجليك. فبقي مذبذباً(1).

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص295 وراجع: جواهر المطالب لابن الدمشقي ج1 ص197 و 296 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص171 وترجمة الإمام على «عليه السلام» من تاريخ دمشق (بتحقيق المحمودي) ج1 ص369 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج5 ص193 وج16 ص13 وج30 ص498 وج31 ص538 وفضائل الصحابة ج2 ص675 والرياض النضرة ج2 ص206 و (ط أخرى) ج3 ص162 وراجع: العمدة لابن البطريق ص135 و 258 والطرائف لابن طاووس ص52 وحلية الأبرار ج2 ص424 وكتاب الأربعين للماحوزي ص81 ومستدرك سفينة البحار ج10 ص30 وغاية المرام ج2 ص30 و 37 وج5 ص205 و 258 وعن مختصر تاريخ دمشق (ط دار الفكر) ج17 ص347 .

وذكر ابن النديم في الفهرست: أن أبا عمر هذا كان نهاية في النصب، والميل على علي «عليه السلام»(1).

ونقول:

علي × عالم، وعادل أيضاً:

إن معاوية إنما كان يمني نفسه بخلافة رسول الله «صلى الله عليه وآله» واخذ موقعه.. وهذا معناه: أنه يريد أن يضطلع بمهمات الرسول، التي منها تعليم الناس الدين، وحل جميع المعضلات الفكرية والعقائدية، والإيمانية التي تعرض لهم..

بل كان الناس يطالبون النبي «صلى الله عليه وآله» بشفاء مرضاهم بلمساته، وتحقيق رغباتهم بدعائه، وإنزال المطر، وإنبات الزرع بطلبه من الله، وما إلى ذلك مما لم يكن ميسوراً إلا للأنبياء وخلفائهم الحقيقيين، وأوصيائهم المعينين من الله سبحانه..

أما معاوية الذي امضى حياته في محاربة الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» في حياته، ثم في معاداة وصيه بعد وفاته. إلى أن انتهت به الأمور إلى شن هذه الحرب الطاحنة على أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلم يكن يملك شيئاً يمكن أن يقدمه للناس مما كان لدى الأنبياء وأوصيائهم..

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص295 وراجع: فهرست ابن النديم ص82 وقاموس الرجال للتستري ج9 ص398.

من أجل ذلك نقول:

إن معاوية حين كان يُرْجِع هذا وذاك إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» إنما كان يريد أن يخرج نفسه من مأزق صعب. لا نجاة له منه إلا بذلك..

فكان يحاول التعويض عما يظهر ذلك من فشل وجهل بالتظاهر بالإنصاف والعدل والسماحة، وبأنه يعطي كل ذي حق حقه.. ساعياً في نفس الوقت إلى الإيحاء بأن على الناس ان يضعوا كل امر في موضعه، وأن لا يخلطوا بين الأمور، فلدى علي علوم ليست عند غيره، ولكنه ظالم لعثمان، مجانب للحق في إصراره على عدم تسليم خيار الصحابة إلى معاوية ليقتلهم. ومجانب للحق أيضاً في استئثاره بالأمر لنفسه، وكان الأجدر به أن يتقاسمه مع معاوية وبني أبيه.. أو أن يمنحهم إياه، ويجلس في بيته، فقد كان يكفيهم أن النبوة كانت فيهم.

وبذلك يظهر: أن معاوية كان يرجع في المسائل والمعضلات إلى علي «عليه السلام» عجزاً، وأنه كان يعوض عن ذلك بإشاعة مفهوم خاطئ وخطير جداً حول التفريق بين المسائل.. وتكون خلاصة سياسة معاوية هي أن علياً «عليه السلام»: وأن كان عالماً، ولكنه ظالم، ومعاد للحق أما معاوية فهو محق، ومنصف، ويتعامل مع الأمور بموضوعية وواقعية.. ولأجل أن يشتهر هذا الأمر ويشيع بين الناس عنه، يعلن معاوية نفسه:

1 - إن علياً «عليه السلام» أعلم منه.

2 - إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يغر علياً «عليه السلام» بالعلم غرّا.

3 - إن عمر بن الخطاب كان يلجأ إليه «عليه السلام» فيما يعرض له من مشكلات.

ثم هو يؤكد على إنصافه هذا، وعلى واقعيته، وعلى تشدده وصدقه في مراعاة جانب الإنصاف بمحوه اسم ذلك الرجل من ديوان العطاء، وطرده إياه من مجلسه..

علي × يبطل كيد معاوية:

ولعل بعض الناس كان سيظن بأنه «عليه السلام» كان سيفرح بلجوء هذا الرجل إليه، بعد أن طرده معاوية؛ ومحا اسمه من الديوان، وأنه سوف يتخذ مما جرى سبباً لإظهار فضله، وإشاعة هذا الإعتراف من معاوية، وسيقبل الناس كلام معاوية بحذافيره، وسيتمكن معاوية من تسويق بقية أباطيله في علي «عليه السلام» تحت جناح كلمة حق اعترف بها..

ولكن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد فوت الفرصة عليه، فطرد هو أيضاً ذلك الرجل المذبذب، حين جاءه طالباً للأمان، لأنه لو قبله لكان «عليه السلام» قد أمضى وصدَّق كلام معاوية، وأعانه على سياسته التضليلية هذه..

وحين طرده «عليه السلام» يكون قد وضع على صدره إعلاناً بالخط العريض يقول فيه: إن معاوية حين اعترف بعلم علي «عليه السلام» إنما اعترف به نفاقاً، ومكراً وحيلة وغدراً، فلا بد من تجريد اعترافه عن لفائف نفاقه التي غلف اعترافه بها، وعن حبائل مكره التي نسجها حوله..

فقد قال «عليه السلام» لذلك الرجل المطرود: «فكيف رأيت جواب المنافق»؟! فوصف علي «عليه السلام» لما جرى في نفس هذه المناسبة بأنه جواب منافق يعطي للناس.. توجيهاً بأن عليهم أن يفصلوا الجواب عن سائر ما يحيط به من إيحاءات، وإلحاقات، وأمور اخرى يراد مزجها به، أو تسويقها من خلاله.

الإنبهار بالعدو، والفشل في الحرب:

روي عن زاذان وجماعة من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، قالوا: كنا معه بصفين، فلما أن صافّ معاوية أتاه رجل من ميمنته، فقال: يا أمير المؤمنين! في ميمنتك خلل.

فقال: ارجع إلى مقامك، فرجع.

ثم أقبل ثانية، فقال: يا أمير المؤمنين! في ميمنتك خلل.

فقال: ارجع إلى مقامك، فرجع.

ثم أتاه ثالثة، كأن الأرض لا تحمله، فقال: يا أمير المؤمنين! في ميمنتك خلل.

فقال «عليه السلام»: قف، فوقف.

فقال «عليه السلام»: علي بمالك الأشتر. [فأتاه مالك].

فقال «عليه السلام»: يا مالك!

قال: لبيك يا أمير المؤمنين!

قال «عليه السلام»: ترى ميسرة معاوية.

قال: نعم.

قال «عليه السلام»: ترى صاحب الفرس المعلم.

قال: نعم.

قال «عليه السلام»: الذي عليه [القباء] الأحمر.

قال: نعم.

قال «عليه السلام»: انطلق، فأتني برأسه. فخرج مالك، فدنا منه، وضربه، فسقط رأسه. ثم تناوله، فأقبل به إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، فألقاه بين يديه.

فأقبل علي «عليه السلام» على الرجل، فقال: نشدتك الله، هل كنت إذ نظرت إلى هذا، فرأيته وحليّه وهو ملأ قلبك، فرأيت الخلل في أصحابك؟!

قال: اللهم نعم.

فأقبل علي «عليه السلام» علينا، ونحن حوله، فقال: أخبرني بهذا ـ والله ـ رسول الله «صلى الله عليه وآله». أفترونه بقي بعد هذا

شيء؟!

ثم قال «عليه السلام» للرجل: ارجع إلى مقامك(1).

ونقول:

هذا هو الدواء لهذا الداء:

قد ظهر: أن هذا الرجل الذي كان يراجع أمير المؤمنين «عليه السلام» قد انبهر بذلك الفارس الذي كان قد أعلم أي وضع علامة يعرف بها بين الناس، ليدلل بذلك على اعتداده بنفسه، وعلى أنه لا يهاب الأبطال.

وكان تام العدة، وله في حليته الحربية منظر شديد التاثير على الآخرين، فكان قلب هذا الرجل الذي يقف في الصف المقابل له يطير رعباً، ويظن أن الصف الذي هو فيه غير قادر على مواجهة جيش فيه ذلك الفارس.. فيحسب أن فيه خللاً وضعفاً..

وقد عرف أمير المؤمنين «عليه السلام» بمصدر خوف هذا الرجل بمجرد أن القى نظرة على الجهة التي أشار إليها ذلك الخائف..

فعالج خوفه، ولكن لا بخطبة بليغة تشتمل على شد العزائم، واستنهاض الهمم، لأن هذا الرجل وأمثاله قد يظنون أنها لن تدفع غائلة ذلك الفارس، لأنه إنما توسل بأمير المؤمنين «عليه السلام»

---

(1) الخرائج والجرائح ج1 ص176 و 177 وبحار الأنوار ج33 ص41 وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج5 ص42.

لكي يدفعه عنه، ويخلصه منه، لا لكي يأمره هو بمواجهته، التي تحمل معها أخطار هلاكه..

كما أنه «عليه السلام» لم يبادر هو إلى قتل ذلك الفارس، إذ قد يظن ظان أيضاً أن لدى أمير المؤمنين «عليه السلام» قدرات خارقة، لا يمكن أن يجاريه فيها أحد.. وهي التي جعلته يتغلب على ذلك الفارس. ومن أين نأتي بأمير المؤمنين «عليه السلام» ليواجه كل فارس نخشاه، ويملأ قلوبنا رعباً وفشلاً؟! فإن الذين يرتعبون من الأشخاص، ويفقدون توازنهم قد يكونون كثيرين. فهل يصبح أمير المؤمنين «عليه السلام» هو المداوي لهذا الذي قد ينتشر ويتسع، والذي قد يتجاوز عدد المبتلين به العشرات إلى المئات والألوف؟!

وهل من الحكمة، ومن التدبير السليم أن يبقى أمير يتنقل من جهة إلى جهة، ومن فارس إلى آخر ليعالج بقتل هؤلاء الفرسان خوف الخائفين، وفشل الفاشلين؟!

وهل هذا هو الإجراء العملي والتدبير الصحيح؟!

إن الجواب على هذا السؤال سيكون بالنفي بكل تأكيد، ولذلك اعتمد «عليه السلام» اسلوباً حاسماً قادراً على كشف غشاوة الوهم الكاذب عن بصر وبصيرة الخائفين، والمبتلين بمرض الوهم، والغامر للعقل، والمانع له عن رؤية الحقائق..

فاختار احد الفرسان الذين يعرفهم الناس أنهم بشر عاديون، لا يحتمل في حقهم أي معنى غير مألوف، ليقدم لهم الدليل الحسي الذي

يستطيع كل الخائفين أن يتلمسوه، وأن يدركوا من خلاله أنهم واقعون تحت تأثير الوهم، وأن عليهم أن يستعيدوا توازنهم، وأن يزيلوا الغشاء عن بصرهم، وبصيرتهم..

ثم أخبرهم «عليه السلام» أن رسوله قد أخبره حتى بهذه الحادثة، التي لا يخطر على بالهم أن يكون رسول الله «صلى الله عليه وآله» هو الذي يخبر عنها..

وهذا الإخبار النبوي إنما هو رفق من الله تعالى بهم، ودليل على رعاية الله لوليه، ولهم..

وإنما أرجع «عليه السلام» ذلك الرجل مرتين، ثم استجاب له في الثالثة، مع أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد أخبر بأمره، لأن هذا الرد، وذلك الإصرار هو الذي يحقق الغرض، الذي يجب أن يتحقق من هذا الذي جرى.. وهو الذي يلفت نظر الناس إلى علم أمير المؤمنين «عليه السلام».

وبذلك يتمازج الغيب مع الواقع والمشاهدة العينية، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حيى عن بينة..

وتكون هذه الحادثة الواحدة بما رافقها من عناصر إثارة وتفاصيل هي التي يتكرر حضورها في الأذهان عند كل حالة مماثلة لتقدم الحل في كل مقام ومكان، بل في كل عصر وزمان..

ولتكن هذه الحادثة درساً عملياً نتعلم منه:

1 - أن القائد ينبغي أن يكون خبيراً بالحالات النفسية التي لها

ارتباط بالحرب، ولا سيما ما هو من قبيل حالات الإحباط، التي قد تعرض حين التعرض لنكسة، أو لهزيمة محدودة. بالإضافة إلى حالات الإكتئاب، أو الهلع، أو هيمنة الوهم، والتخيل، إلى الحد الذي يخل بالتوازن، ويفقد الشخص الضوابط، فتخترع له مخيلته أمراً لا واقع له، فينساق معها. وكأنها حقيقة وواقع..

2 - أن يكون خبيراً بمعالجات هذه الحالة بطريقة صحيحة وناجعة..

3 - أن يملك القدرة على ضبط انفعالاته، مقابل حالات الإلحاح، ولا يبادر إلى اتهام من يلح عليه في أمر يعاني منه ذلك الشخص، بأنه مريض، أو أن يأمره بالإنصراف عنه، من دون أن يحل مشكلته، لأن الإنفعال والشدة عليه، ربما يخلق مشكلات أخرى لديه ولدى من يعاني من نفس ما يعانيه..

بل ربما دعا التصرف الخشن الصحيح إلى السقم، والقوي إلى الضعف، والمستيقن إلى الريب والشك.

تكاتب علياً ×.. وزوجها عثماني:

قال الثقفي:

بلغنا أن معاوية قال لهيثم بن الأسود أبي العريان، وكان عثمانياً، وكانت امرأته علوية تحب علياً «عليه السلام»، وتكتب بأخبار معاوية في أعنة الخيل، فتدفعها إلى عسكر علي «عليه السلام» بصفين، فيدفعونها إليه.

فقال معاوية [بعد التحكيم]: يا هيثم أهل العراق! كانوا أنصح لعلي أم أهل [الشام] لي؟!

فقال: أهل العراق قبل أن يضربوا بالبلاء كانوا أنصح لصاحبهم من أهل الشام.

قال: ولم ذلك؟!

قال: لأن القوم ناصحوا علياً «عليه السلام» على الدين، وناصحك أهل الشام على الدنيا، وأهل الدين أصبر، وهم أهل بصيرة وبصر، وأهل الدنيا أهل بأس وطمع.

ثم والله ما لبث أهل العراق أن نبذوا الدين وراء ظهورهم، ونظروا إلى الدنيا في يدك، فما أصابها منهم إلا الذي لحق بك.

قال معاوية: فما منع الأشعث بن قيس أن يقدم علينا ويطلب ما قبلنا؟!

قال: أكرم نفسه أن يكون رأساً في العار وذنباً في الطمع.

قال: هل كانت امرأتك تكتب بالأخبار إلى علي في أعنة الخيل فتباع؟!

قال: نعم.

فغضب الهيثم، وقد كان معاوية يمنِّيه كثيراً، ويعده بالصلة.

فقال:

وتالله لـولا الله لا شيء غـيـره وإنـي عـلـى أمـر مـن الحـق

مهتـــدي

لغـيَّر قلبي مـا سمعــت وإنــه ليملأ صدري بعض هذا التهدد

ولكنني راجعت نفساً شحيحــة علـى دينهـا ليست بـذات تـردد

فأوردتها مــن منهـل الحـق منهلا وكـان ورود الحق أفضل مـورد

وعدت عدات يا بن حرب كأنها لمـا كنت أرجـو مـن وفائـك فـي

يـــدي

فلم تك في دار الإقـامة واصــلا ولا أنـــت عنـــد الظـــن أنجــزت

موعدي فلو كـان لي بالغيب علــم لردني مقالك دعنـي إن حظك فـي

غــد(1)

ونقول:

يبدو لنا: أن هذه القصة قد حصلت بين الهيثم وبين معاوية بعد صفين.. وقد تضمنت أموراً نشير منها إلى ما يلي:

الهيثم ناصبي:

صرحت الرواية المتقدمة: بأن الهيثم بن الأسود النخعي كان عثمانياً.. وقالوا أيضاً: إنه كان رسول ابن زياد إلى يزيد في بعض حاجاته، فدخل عليه، فإذا يزيد يأمر بقتل خارجي، فتشفع فيه الهيثم،

---

(1) الغارات للثقفي ج2 ص545 و 546 وبحار الأنوار ج33 ص277 و 278 عنه. وراجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص92.

فقبل شفاعته وأطلقه(1).

وقال ابن حجر: «رمي بالنصب من الثالثة (أي من الطبقة الثالثة)، مات بعد الثمانين»(2).

قال التستري: «أي بعد المئة»(3).

وقال المرزباني في معجمه: «كان عثمانياً منحرفاً، وهو أحد من شهد على حجر بن عدي» (4)

وقول العلامة التستري «رحمه الله» تعقيباً على قول ابن حجر: مات بعد الثمانين: «أي بعد المئة»، غير صحيح، بل مات قبل المئة، لإنه كان قد حضر صفين، وقد جرى بينه وبين معاوية ما جرى مما ذكرته القصة المذكورة آنفاً، وكان رسولاً لابن زياد إلى يزيد، وكانت له مجالس مع عبد الملك بن مروان، فهل عاش الهيثم مئة وسبعين سنة، أو نحوها؟!

---

(1) تاريخ مدينة دمشق ج74 ص104 ومختصر تاريص دمشق ج27 ص166 و167 وأنساب الأشراف ج7 ص215.
(2) تقريب التهذيب ج2 ص275 وقاموس الرجال ج10 ص584.
(3) قاموس الرجال ج10 ص584.
(4) راجع في ذلك أيضاً: تهذيب التهذيب ج11 ص79 والإصابة ج3 ص621 و (ط دار الكتب العلمية) ج6 ص453 والعتب الجميل على أهل الجرح والتعديل لابن عقيل ص103.

الهيثم ليس مستضعفاً:

وقد أظهرت إجابة الهيثم بن الأسود لمعاوية على سؤاله أنه كان واقفاً على الأمور، عارفاً بالمحق من المبطل، مميزاً لطالب الدنيا من طالب رضا الله والآخرة.. خبيراً بأحوال الناس الذين يتعامل معهم..

ولم يكن غافلاً، ولا مخدوعاً، ولا جاهلاً.

وهذا يعطي: أن حضوره مع معاوية في صفين وغيرها كان تمرداً على الله، وإيثاراً للدنيا على الآخرة. فهو يأتي ما يأتيه عن دراية وعلم والتفات..

وقد دلت الأبيات التي ذكرها الثقفي عنه على أن من أسباب التزامه بمعاوية هو وعود معاوية له بالأموال والعطايا، وما كان يمنيه به منها. ولكن معاوية لم يكن يفي له بهذه الوعود.

تهديد معاوية وغضب الهيثم:

وقد غضب الهيثم من السؤال الذي وجهه إليه معاوية عن دور امرأته في حرب صفين، وأنها كانت تكتب لعلي «عليه السلام» بالأخبار، فإنه سؤال يستبطن التهديد بما لا قبل له به، ويتضمن إخباره بأنه واقف على هذا الأمر، وأن عليه أن يلزم حده، فيقف عنده، فإنه لا يدري متى تحل به الكارثة.

ويبدو: أن ما يريده معاوية منه هو أن يكف عنه غرب لسانه، وأن يعيش الهيثم ضئيلاً وذليلاً معه، وأن لا يتوقع منه أن يفي له

بوعوده..

على أن معاوية لا يكون سعيداً إذا كان من حوله من الطامعين والطامحين، يملكون قدراً من الإدراك والفهم للأمور، ويميزون بين صحيحها وسقيمها، وحقها وباطلها، بل هو يريدهم صماً بكماً أغبياء، وبالجهل أغنياء، ويطيعونه طاعة عمياء..

وقد أزعجه أن يرى أن لدى الهيثم بعض الإدراك لأحواله، عارفاً بالفوارق بينه وبين علي «عليه السلام».

امرأة الهيثم حجة على زوجها:

وإذا كان الهيثم عارفاً بما كانت تقوم به زوجته، فالسؤال هو عن سبب سكوته عنها، وتستره عليها، مع انها تخالفه في الإعتقاد وفي الممارسة، فلماذا سكت يا ترى؟!..

ونجيب:

أولاً: ليس ثمة ما يدل على أنه حين علم بما كانت تفعله، قد سكت عنها أيضاً، أو سمح لها بمواصلة عملها، فلعله منعها منذئذٍ، فإن نصبه وبغضه لعلي «عليه السلام» لا يدعه يسكت عن تصرفها هذا.

ثانياً: لو فرض أنه سكت عنها، فلعل سبب ذلك هو شدة طمعه وشراهته للمال الذي تجنيه من خلال ذلك.

وقد تجلى هذا الطمع في شعره الذي تقدم ذكره، والذي يدل على أنه قد باع دينه وجحد يقينه من أجل المال..

الفصل

تدابير قتالية..

تقدموا قبل أن يتقدموا:

قال المنقري:

ثم إن معاوية لما أسرع أهل العراق في أهل الشام، قال: هذا يوم تمحيص. إن القوم قد أسرع فيهم كما أسرع فيكم. اصبروا يومكم هذا وخلاكم ذم.

وتقدم الأصبغ بأصحابه، وسيأتي الحديث عنه.

وأقبل الأحنف بن قيس السعدي، فقال: يا أهل العراق، والله لا تصيبون هذا الأمر أذل عنقاً منه اليوم، قد كشف القوم عنكم قناع الحياء، وما يقاتلون على دين، وما يصبرون إلا حياء، فتقدموا.

فقالوا: إنا إن تقدمنا اليوم فقد تقدمنا أمس، فما تقول يا أمير المؤمنين؟!

قال «عليه السلام»: تقدموا في موضع التقدم، وتأخروا في

موضع التأخر. تقدموا من قبل أن يتقدموا إليكم(1).

انهدوا إليهم:

قال المنقري:

وحدثني رجل عن مالك الجهني، عن زيد بن وهب، أن علياً «عليه السلام» مر على جماعة من أهل الشام بصفين، فيهم الوليد بن عقبة، وهم يشتمونه ويقصبونه، فأخبروه بذلك، فوقف في ناس من أصحابه، فقال:

انهدوا إليهم، وعليكم السكينة، وسيما الصالحين، ووقار الإسلام.

والله لأقرب قوم من الجهل بالله عز وجل قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية، وابن النابغة، وأبو الأعور السلمي، وابن أبي معيط، شارب الحرام، والمجلود حداً في الإسلام.

وهم أولاء يقومون فيقصبونني، ويشتمونني، وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام.

فالحمد لله، ولا إله إلا الله، وقديماً ما عاداني الفاسقون.

إن هذا هو الخطب الجليل. إن فساقاً كانوا عندنا غير مرضيين، وعلى الإسلام وأهله متخوَّفين، أصبحوا وقد خَدعوا شطر هذه الأمة،

---

(1) صفين للمنقري ص406 وبحار الأنوار ج32 ص511.

فأشربوا قلوبهم حب الفتنة، فاستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان، وقد نصبوا لنا الحرب، وجدّوا في إطفاء نور الله **(وَاللهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)**(1).

اللهم فإنهم قد ردوا الحق، فافضض جمعهم، وشتت كلمتهم، وأبسلهم بخطاياهم، فإنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت(2).

الذي يكسر حدة العدو:

وقال ابن أعثم:

ونظر أصحاب علي إلى قوم من أصحاب معاوية قد وقفوا على تل عظيم، فحلموا عليهم حتى خالطوهم(3).

وروى نصر، عن نمير بن وعلة، عن عامر الشعبي: أن علي بن أبي طالب مر بأهل راية فرآهم لا يزولون عن موقفهم، فحرض الناس على قتالهم ـ وذكر أنهم غسان ـ فقال:

إن هؤلاء القوم لن يزولوا عن موقفهم دون طعن دراك، يخرج منه النسيم، وضرب يفلق الهام، ويطيح العظام، وتسقط منه المعاصم

---

(1) الآية 8 من سورة الصف.

(2) صفين للمنقري ص391 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج1 ص58 و 59 وبحار الأنوار ج32 ص505 و 506 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص54 و 55.

(3) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص180.

والأكف، حتى تصدع جباههم، وتنثر حواجبهم على الصدور والأذقان. أين أهل الصبر، وطلاب الخير؟! أين من يشري وجهه لله عز وجل؟!

فثابت إليه عصابة من المسلمين، فدعا ابنه محمداً، فقال له: امش نحو هذه الراية مشياً رويداً على هينتك، حتى إذا أشرعت في صدورهم الرماح، فأمسك يدك حتى يأتيك أمري ورأيي.

ففعل، وأعد علي «عليه السلام» مثلهم مع الأشتر، فلما دنا منهم، وأشرع الرماح في صدورهم، أمر علي «عليه السلام» الذين أعدوا فشدوا عليهم، ونهض محمد في وجوههم، فزالوا عن مواقفهم، وأصابوا منهم رجالاً، واقتتل الناس بعد المغرب قتالاً شديداً، فما صلى كثير من الناس إلا إيماء[1].

وقال العديل بن نائل العجلي:

لست أنسى مقام غسان بالتل ولو عشت ما أظل شمام[2]

---

(1) صفين للمنقري ص391 و 392 وبحار الأنوار ج32 ص506 و 507 وتاريخ الأمم والملوك ج4 ص32 وراجع: الكافي ج5 ص40 والإرشاد ج1 ص267 ونهج البلاغة الخطبة رقم123.

(2) صفين للمنقري ص392 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص180.

وذكر ابن أعثم هنا:

أن الأشتر بكى، فقال له علي «عليه السلام»: ما يبكيك؟! لا أبكى الله عيناك!

فقال: أبكي يا أمير المؤمنين لأني أرى الناس يقتلون بين يديك وأنا لا أرزق الشهادة فأفوز بها.

فقال له علي «عليه السلام»: أبشر بالخير يا مالك! ثم تمثل علي «عليه السلام» بهذا البيت:

أي يوميك من الموت تفر يوم لا يقدر أو يوم قدر؟!(1)

توقع خروج المحلقين:

ثم إن علياً «عليه السلام» أرسل إلى الناس: أن احملوا. فحمل الناس على راياتهم، كل قوم بحيالهم، فتجالدوا بالسيوف وعمد الحديد، لا يسمع إلا صوت ضرب الهامات، كوقع المطارق على السنادين.

ومرت الصلوات كلها، ولم يصلوا إلا تكبيراً عند مواقيت الصلاة، حتى تفانوا. ورق الناس، فخرج رجل بين الصفين لا يعلم من هو، فقال: أخرج فيكم المحلقون؟!

قلنا: لا.

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص179.

قال: إنهم سيخرجون، ألسنتهم أحلى من العسل، وقلوبهم أمر من الصبر، لهم حمة كحمة الحيات. ثم غاب الرجل، ولم يعلم من هو(1).

ونقول:

علينا أن نتوقف عند أمور كثيرة، نذكر منها ما يلي:

أغلى الأمنيات:

لم نستغرب أن يبكي الأشتر حباً بنيل مقام الشهادة، فإن من حق الناس كلهم ـ وخصوصاً الأبرار منهم ـ أن يطمحوا إلى نيل أعلى درجات الكمال، وأن يكون الوصول إليها كل همهم، وأن يمنحوها غاية جهدهم، وأن يضحوا في سبيلها بكل غال ونفيس، ومن أجدر منهم وأحق بها؟!

وكان الأشتر قد شعر بأن عدم فوزه بهذا المقام يعود إلى تقصيره في أداء واجبه. فجاءته البشارة العلوية بأن عاقبة أمره إلى خير.. لا على قاعدة الرجاء والإحتمال التي في قوله «عليه السلام»: «ولعل الذي أبطأ عني هو خير لي لعلمك بعاقبة الأمور». بل على أساس متين من اليقين المستند إلى علم من ذي علم.

ولكن التأخير في ذلك ليس لعدم استحقاقه «رحمه الله تعالى» هذا

(1) صفين للمنقري ص393 و 394 وبحار الأنوار ج32 ص507 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص56 و 57.

الخير، بل لأن **(لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ)**[1].

وهذا ما أشار إليه «عليه السلام» بالبيت الذي تمثل به، أي:

أي يوميك مـن المـوت تفـر يوم لا يقـدر أو يـوم قـدر؟!

تقدموا في موقع التقدم:

وحين طلب أصحاب الأحنف من أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يعطيهم رأيه في تقدمهم في ذلك اليوم وعدمه، على اعتبار أنهم كانوا قد تقدموا في اليوم السابق، فهل يصلح لهم أن يباشروا الحرب في اليوم اللاحق؟! أم أن الأصلح لهم هو الراحة، وإيكال أمر الحرب إلى فريق آخر في ذلك اليوم؟!

فأجابهم «عليه السلام» بقوله: «تقدموا في موضع التقدم، وتأخروا في موضع التأخر..».

وهذه قاعدة مهمة لا بد من مراعاتها في القتال، مفادها: أن الأمر في الحرب ليس مبنياً على تبادل المهمات وتداولها، بل هو مبني على التعاون والتكامل.. لأن الحرب في الجيوش الكبيرة تعني المشاركة، وأن تتكامل جميع القطعات في عمل واحد، يسهم فيه الجميع وفق خطة صحيحة وواضحة، يكون الثقل موزعاً على الجميع، فيخف عليهم.

---

(1) الآية 38 من سورة الرعد.

أما لو استراحت بعض أقسام الجيش، وألقي ثقل العمل على كاهل القسم الآخر، فإنه قد ينوء بثقله، ويعجز عن حمله..

التكامل، لا التداول:

وبذلك يكون «عليه السلام» قد أسس لنظرية قتالية، مفادها: أن الحرب تقوم على التكامل في حمل أثقالها، لا على تداول حمل تلك الأثقال.. وأن التداول يمكن أن يكون في الجزئيات والتفاصيل..

فمثلاً: إذا كانت مهمة هذه الكتيبة اليوم هي الحراسة، فلتكن مهمتها غداً هي القتال، أو نصب الكمائن، أو الرصد، وإن كانت مهمتها اليوم هي الإسناد، فلتكن مهمتها غداً هي الهجوم.. فيكون التخفيف عليها بملاحظة طبيعة المهمة الموكلة إليها، لا بإعفائها منها.

وهذا هو السبب في أنه «عليه السلام» لم يسمح للفريق الذي كان بقيادة الأحنف أن يعتبر نفسه معافاً من الجهد الحربي، بل فرض عليهم المشاركة في العمليات. فإذا كانوا بالأمس في الخطوط الأمامية، وخط الهجوم.. فليكونوا اليوم في خط الإسناد، أو نحو ذلك.

والسبب في ذلك: أنه قد تمس الحاجة إلى نقل العامل في سلاح الدبابات، أو الصواريخ، مثلاً ـ حسب ما هو شائع في أيامنا هذه ـ إلى العمل في مجال آخر، كفريق المشاة، أو الإسناد المدفعي، أو في غير ذلك. وربما انعكس الأمر..

وربما اقتضى الأمر أن يكونوا في أول النهار مهاجمين، وفي آخره مساندين. أو بالعكس، ولا يسمح لأي من الفرقاء بأن يكونوا

غير معنيين بما يجري.. ولذلك قال «عليه السلام» لهم: «تقدموا في موضع التقدم، وتأخروا في موضع التأخر..»

التأهيل الحربي الشامل:

وهذا يدعونا إلى تسجيل ملاحظة مهمة جداً في مجال الإعداد الحربي والتأهيل، حيث إن هذا التوجيه يفرض أن يتخذ الإعداد والتأهيل منحى أكثر شمولية وعمقاً، كما أن التجهيزات الحربية لا بد أن تكون على درجة من التنوع بحيث تصبح قادرة على تلبية الحاجات التي تفرضها حالة تداول المهمات القتالية على النحو الذي تقرر آنفاً..

ثم هو يفرض أن تكون هناك مرونة عالية تسمح بالقدرة على الإنتقال من حالة لأخرى بمجرد أن تمس الحاجة إلى هذا الإنتقال، مع حفظ درجة الفعالية والتأثير، ومع تمكين أصحاب المهارات العالية من بلورة مهاراتهم بشكل إيجابي، وصحيح..

تقدموا قبل أن يتقدموا إليكم:

ثم إنه «عليه السلام» قد أسس أصلاً قتالياً آخر هنا؛ حيث عقب أمره السابق بالتقدم في موضع التقدم، والتأخر في موضع التأخر. بقوله «عليه السلام»: تقدموا قبل أن يتقدموا إليكم. مشيراً به إلى أمرين:

أحدهما: دفع توهم أن يكون التقهقر أمام العدو مسموحاً به، فبين

«عليه السلام» أن المقصود بالتأخر هو التواجد في المواقع الخلفية، أو في الكمائن.. أو مع الرماة، حيث إن هذه المواقع، قد تكون على درجة كبيرة من الأهمية والحساسية.. كما أنه قد يقتضي الأمر في بعض الساعات التقدم إلى مواقع هجومية..

الثاني: إن المطلوب من أهل الحق بعد أن يبدأ العدو بالقتال، ويصير بذلك حربياً، ومعتدياً وباغياً، هو أن يكونوا مهاجمين له دائماً، وأن يبقوه في موقع الدفاع، وأن لا يمكنوه من التفكير بأية مبادرة هجومية. بل عليهم أن يشغلوه بنفسه باستمرار. وقد تقدم بيان ذلك..

الوقار وسيما الصالحين في الحرب:

وقد أمر «عليه السلام» أصحابه بأن ينهدوا إلى أولئك المعتدين الشتامين، وعليهم السكينة وسيما الصالحين، ووقار الإسلام..

والسؤال هنا هو: كيف يطلب «عليه السلام» من الذي يمارس الحرب، ويحتاج إلى سرعة الحركة، وإلى المجالدة، والمعانقة، والمكادمة، وغير ذلك ـ كيف يطلب منه ـ أن يحتفظ بوقاره، وثباته، وسكينته، التي هي مأخوذة من السكون؟! أليس هذا طلباً لغير المقدور، وما لا يمكن تلبيته، ولا سبيل إلى امتثاله؟!

ونجيب بما يلي:

أولاً: بالنسبة للسكينة المطلوبة في الحرب، نقول:

إن الحركات التي يقتضيها الجهد الحربي ليست مخالفة للسكينة المطلوبة. ولا للوقار المأمور به، فإن المراد بالسكينة هو رباطة الجأش، والإطمئنان إلى نصر الله تعالى. والحركات الحربية إنما هي عمل بالواجب، وأداء لمهمة تحتاج إلى سرعة، وهي لا تنافي السكينة، تماماً كما لا ينافيها الإسراع في إيصال من لدغته حية إلى الطبيب المعالج، ولا ينافيها الإسراع في طلب حية لقتلها، قبل أن تلدغ طفلاً في مهده، وهو لا يستطيع الدفع عن نفسه..

ثانياً: بالنسبة لوقار الإسلام، وسيماء الصلاح، نقول:

قد تسول للإنسان نفسه أن يستعمل بعض الأساليب الهادفة إلى إيذاء العدو روحياً، فيلجأ إلى السباب، أو يريه حركات تتنافى مع الأخلاق، وتجرح الكرامة الإنسانية.. وربما يلجأ إلى استعمال الألفاظ الفاحشة، وإلى وصمه بارتكاب الفواحش، وممارسة بعض الأعمال المشينة لسمعته، والمسيئة إلى كرامته.. فإن هذا كله يتنافى مع سيماء الصاحين، ولا ينسجم مع وقار الإسلام. بل هو رعونة وخفة، وطيش، وخروج عن دائرة الشرع والأخلاق.

إلا إذا كان العدو يدَّعي لنفسه مقامات الأنبياء والأوصياء، ليضل الناس بذلك، وتكون هذه الصفات فيه من جملة موجبات ظهور كذبه فيما يدعيه، فإن النبي والوصي لا يمكن أن تكون أمه من صاحبات الرايات مثلاً.. فيكون تذكير الناس بذلك من موجبات حفظهم من الضلال.

ويلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» أضاف الوقار وقيده بالإسلام، ليدل على أنه وقار منضبط ضمن حدود الشرع، وملتزم بالأحكام. فلا يستعمل الألفاظ التي لا يحق له استعمالها، كالألفاظ الفاحشة، ولا الحركات التي لا تليق بأهل الدين. بل هي من حالات الفاسقين والفاجرين.

وبذلك يكون «عليه السلام» قد وضع الحرب في دائرة الحدود الشرعية والأخلاقية، الأمر الذي يحتم أن تكون هناك برامج رقابية تضبط السلوك لدى المقاتلين حتى في أوج نشاطهم القتالي، وتمنعهم من الإسفاف في تصرفاتهم، وفي كلماتهم، ومن الميوعة، وتجاوز الحدود الشرعية في مجمل سلوكهم.

أقرب قوم من الجهل بالله تعالى:

وقد ذكر «عليه السلام» أن أقرب قوم من الجهل بالله قوم قائدهم ومؤدبهم معاوية، وابن النابغة، وإلخ..

ونقول:

إن الضابطة التي أعطاها «عليه السلام» لمعرفة أقرب الناس من الجهل بالله تقوم على أساس علمي دقيق وواضح.

فلاحظ ما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» لاحظ أن هؤلاء القوم لا يجهلون بالله تعالى جهلاً مطبقاً، لأنهم يعترفون بوجوده. ويمارسون بعض مظاهر

العبادة له.. ولهذا قال «عليه السلام»: إنهم أقرب قوم من الجهل به تعالى، ولم يقل أجهل الناس بالله سبحانه..

2 - إن الإنسان بحسب طبعه الإنساني يسعى لتحصيل الأمن والسلام والسلامة لنفسه، قبل أن يبدأ مسيرته للحصول على ما يرى أنه كمال له، ومحقق لطموحه، ويعطيه الرضى والراحة والسكينة في الحياة..

3 - إنه يدرك أنه في ذلك بحاجة إلى من يسدده ويهديه، ويساعده على الوصول إلى ما يصبو إليه.. فإذا كان من اتخذه هادياً ومسدداً، ومرشداً ومؤدباً، داعية ضلال، ورائد عماية، وسادراً في الغي، ومنغمساً في الشهوات، وعلماً من أعلام الطغيان والعدوان، ومن أعوان الشيطان، ومن دعاة التمرد والعصيان للخالق الديان.. فإنه سوف ينتهي به الأمر ضد الغاية التي يسعى إليها، واتخذه قائداً ودليلاً عليها، لأنه سوف يهديه إلى النار، وبئس القرار..

4 - إن اتخاذه أولياء الشيطان وعصاة الرحمان، قادة وهداة له يدل على أنه لا يعرف ربه إلا بالإسم.. ولا يعرف ما يريده تعالى منه، وما يدعوه إليه، كما أنه لا يعرف شيئاً عن أهداف خلقته، وعن المواصفات والمزايا، والأخلاق والسمات التي يريد خالقه له أن يتحلى بها. ولا يعرف أيضاً شيئاً عن المناهج، والسلوكيات، والمواقف التي يريد منه أن يختارها.

ولا يعرف أن عليه أن يتخذ من الأنبياء وأوصيائهم، ومن العلماء

والأولياء، والأخيار والأصفياء قادة ومربين، ومؤدبين له. وأن يكون أولئك الأشرار، والمعتدون، والبغاة الظالمون، وأئمة الضلال القاسطون، هم الأعداء الذين يجب عليه طردهم، ومحاربتهم، إن أصروا على السير في طريق الضلال. وواصلوا حربهم على الحق وأهله..

والشاهد على ذلك: أنهم يشتمون ويقصبون (أي يعيبون) أخا الرسول، ووصيه، ووارث علمه، وصفيه، والمجاهد الصابر، الباذل نفسه في مرضاة الله. وكانوا قبل ذلك اليوم قد قاتلوه، وشتموه حين كان يدعوهم إلى الإسلام، وهم يدعونه إلى عبادة الأصنام..

ولأجل ذلك قال «عليه السلام»: إن من يتخذ أمثال هؤلاء قادة ومؤدبين له، فإنه أقرب إلى الجهل بالله، لأنه جاهل بصفاته، وبغاياته، وأهدافه، وبما يريده الله تعالى منه، كما أوضحناه..

ثم بين «عليه السلام» حال هؤلاء الذين اتخذهم فريق من الناس قادة ومؤدبين وتابعهم وأعانهم، وشاركهم في محاربتهم لله ولرسوله، ولدينه، وأهل دينه، وجدَّ كما جدُّوا في إطفاء نور الله. وخدعوه كما خدعوا غيره من الناس، واستمالوا أهواءهم بالإفك والبهتان.

فهل يتخذ عاقل، أو عارف بالله، أمثال هؤلاء قادة ومؤدبين؟!

ألا يدل ذلك على أقصى درجات قلة العقل، وعلى مدى السفه والقرب من الجهل؟!

كيف تسقط مقاومة العدو؟!:

وقد يواجه أهل الحق صلابة وقوة غير منتظرة لدى العدو، أو لدى بعض كتائبه. إما لإحكام ذلك العدو التدبير، وتحصينه لمواقعه، أو لجودة ما لديه من عتاد وسلاح، أو لإحكامه خططه، أو بسبب ما لديه من حماس واندفاع للقتال، لأنه مغتاظ وحاقد، أو مخدوع بالشعارات والأباطيل مستسلم للترّهات والأضاليل، أو لجميع هذه الأسباب وسواها..

فيحتاج أهل الحق في كسر مقاومة هذا العدو، وتحطيم عنفوانه إلى خطة محكمة، وإلى اعتماد طرق استثنائية وغير عادية في القتال. وهذا ما بينه لنا أمير المؤمنين «عليه السلام» هنا قولاً وعملاً، ونوضح ما فعله، وما أشار إليه «عليه السلام» ضمن الأمور التالية:

الأول: ما يرتبط بمستوى القتال في حدته وشراسته، وكيفياته..

وقد بين «عليه السلام» ذلك كما يلي:

1 - إن إزالة تلك الكتيبة عن موقفها يحتاج إلى ضرب دراك، أي متتالٍ وبلا توقف، فلا يعطيهم مهلة للتفكير في كيفية تلافيه، أودفعه عن أنفسهم، فضلاً عن التفكير فيما عداه..

2 - أن يكون هذا الطعن المتوالي قاتلاً يخرج منه النسيم، وهو الروح، وهذا يحتاج إلى أمرين:

أولهما: شدته.

ثانيهما: اختيار المواضع الحساسة من الجسد، وهي المَقَاتل..

وقد ورد في التسبيحات النهارية لشهر رمضان المبارك: «سبحان الله بارئ النسم، سبحان الله المصور».

ويمكن أن يراد بخروج النسيم: أن تكون سرعة الضربات وقوتها، بحيث يتولد منها النسيم، وهو كل ريح قبل أن تقوى.

3 ـ أن يواجههم بضرب شديد من شأنه أن يفلق الرؤوس، ويشقها نصفين.

4 ـ أن تُستهدف الرؤوس في أعاليها بهذا الضرب الشديد الفالق..

5 ـ أن يقصد بهذا الضرب الإطاحة بالعظام، التي هي المعتمد في تماسك الجسد، والقادرة على حمل الأثقال، لاعتماد الأعصاب عليها..

6 ـ أن تَستهدف بالضرب المعاصم، وهي موضع السوار من الساعد، لبترها..

7 ـ استهداف الأيدي وبترها.. واليد: هي الكف. أو من أطراف الأصابع إلى الكتف.

الثاني: النتائج المتوخاة.

فقد قرّر أمير المؤمنين «عليه السلام»: أن هذا القتال وبهذه المواصفات يجب أن يتواصل، حتى يتحقق ما يلي:

1 ـ أن تصدع الجباه، فتشق، وإن لم تفترق، فإن صدعها يؤدي إلى فقدان الشعور، والوعي، والخروج عن دائرة التحدي.

2 - أن تنتثر حواجبهم على الصدور والأذقان.. بفعل السيوف الماضية، وإن كان هذا الإنتثار قد لا يوجب فقدان التركيز، أو الوعي، لكن نفس هذا المظهر، وشيوع هذا المنظر من شأنه أن يوهن العزائم، وأن يصاب من يراه بالإحباط، ويتضاءل أمل الأعداء بالوصول إلى شيء ذي بال يستحق تعريض النفس إلى مثل هذه الأحوال التي لا تطاق..

الثالث: إن القيام بهذه المهمة لا يتيسر لكل أحد، بل هي تحتاج إلى أناس لهم مواصفات ومزايا معينة.. وقد أشار «عليه السلام» في ندائه الذي أطلقه إلى ثلاث ميزات، يعرف الناس بمجرد سماعهم لها أنه «عليه السلام» ينتدبهم لأمر مهول وصعب..

فلا يجرؤ على إجابة ندائه منهم إلا من يجد نفسه أهلاً لمثل هذه المهمات، والميزات التي أشار إليها، وهي التالية:

1 - أن يكونوا من أهل الصبر. وهذا يدل على أنهم سوف يواجهون أموراً صعبة، ومريرة، تحتاج إلى صفة الصبر التي هي من حالات النفس، وهي نتيجة قوة إرادة تمنح الإنسان درجة تحمل روحية عالية، وطبعاً هادئاً، يعنى بمعالجة الأمور بهدوء وروّية..

كما أن مطلوبية الصبر تشير إلى أن في الطرف الآخر شدة، وقوة، لا تسقط بضربة عنيفة، بل ولا تنتهي بهجوم صاعق وخاطف، بل تحتاج إلى جهد ووقت، وتفتيت تدريجي..

2 ـ ومن المواصفات المطلوبة في المهاجمين أن يكونوا من طلاب الخير.. وهذه ميزة، أوصفة ترتبط بالضمير الحي والطاهر، وسلامة الذات، وصفاء الباطن، وحسن النوايا.. فلا يكون المقاتل ممن يسعى للحصول على الدنيا، بأية قيمة حصلت، ومن أي طريق جاءت..

ولا يكفي أن يكون محباً للخير.. بل لا بد أن يكون طالباً له، ولا يأبى عن بذل الجهد للوصول إليه، والحصول عليه..

وهذا يدل على أنه من أهل الوعي والتمييز، وليس تابعاً لهواه، ولم يعطل عقله لصالح شهواته وأهوائه..

وهذا النوع من الناس هم الذين يُعتمد عليهم في مواقع الشدة، وهم الذين ينبغي أن توكل إليهم المهمات الجسام، وهم الذين يؤتمنون على ما علا وغلا..

3 ـ أن يكون ممن يشري وجهه لله عز وجل، أي أنه يرى أن جاهه وفخره ومجده لله، ومع الله سبحانه. فلا يرى الموت عاراً، أو ذلاً وانكساراً، ولا يعتبر مواجهة الصعوبات والآلام، ومكابدة المشاق ضعفاً وخساراً، أو نقصاً وسقوطاً، وعثاراً.. بل عزة وشموخاً، وقوة واقتدارا..

الرابع: الخطة العملية التي رسمها «عليه السلام»، فقد هيأ كتيبتين للقيام بعملياب كسر مقاومة أهل تلك الراية:

الكتيبة الأولى: كوّنها من العصابة التي ثابت إليه، حين أطلق

نداءه المتقدم، فجعلها بأمرة ولده محمد (ابن الحنفية).

الثانية: تلك التي أعدها «عليه السلام»، وجعلها بقيادة الأشتر..

وفي مجال التنفيذ:

1 ـ أمر «عليه السلام» محمداً بأن يمشي نحو كتيبة العدو بهدوء وتؤدة رويداً رويداً، وبصورة رتيبة، ربما لكي لا تتحفز تلك الكتيبة للقتال في غير اللحظة التي يريد «عليه السلام» أن يفرضها عليها.

2 ـ إنه «عليه السلام» أمر محمداً وكتيبته بأن يحتفظوا حال حركتهم بالهيئة التنظيمية، التي هم عليها. وأمرها بأن تحفظ نظمها، وأهبتها، لأن ذلك ولا شك سوف يوقع العدو في حيرة من أمره، وينتابه توجس وخوف مما دُبِّر له..

3 ـ أمره إذا وصل إليهم، بأن يشرع الرماح في صدورهم. وهذا يزيد من هواجسهم، ومن حيرتهم، وهو يردعهم عن التفكير بالقيام بأية حركة، ويفهمهم أنهم غير قادرين على المباغتة، أو الهجوم لمعرفتهم بأن من جاؤا لمواجهتهم هم في أقصى درجات الإستعداد، فلا يمكن القيام بأية حركة قبل أن تنضج لديهم خطة ناجحة على نحو اليقين.

4 ـ أمره أن يمسك يده عند هذا الحد، وأن يبقى على حاله، حتى يأتيه أمره، الذي قد يتضمن تعليمات أخرى. وهذه التعمية والتلويح باحتمال وجود تكملة للخطة ضروري، لئلَّا يتسرب بعض ما يعين تلك الكتيبة على فهم النوايا، التي دعت إلى هذا التصرف، فتحتاط

لنفسها. ففعل محمد ما أمره به أبوه.

5 ـ أما الكتيبة التي أعدها «عليه السلام» بقيادة الأشتر، وهي توازي ـ تقريباً ـ الكتيبة التي بقيادة ولده محمد، فقد أمرها أيضاً بنفس ما أمر به محمداً وكتيبته..

فلما دنا هؤلاء بقيادة الأشتر من العدو أشرعوا الرماح في صدورهم، فأمرهم «عليه السلام» بالهجوم في هذه اللحظة..

6 ـ وفي نفس الوقت نهض محمد بمن معه في وجوههم، فصاروا بين فكي كماشة..

7 ـ فجاءت النتيجة باهرة، فما أسرع ما زالت تلك الكتيبة المعاندة عن موقفها. وكسر بذلك عنفوانها.. وأصيب منها من أصيب.

8 ـ وتواصل القتال بعد المغرب، وكان قتالاً مراً وشديداً، حتى إنه ما صلى أكثر الناس إلا إيماء.. وأتم الله تعالى نوره، وأعز جنده، ونصر عبده، وهزم بقايا الأحزاب وحده، بتدبير صحيح من سيد الوصيين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين. والحمد لله رب العالمين.

من هم المحلقون؟!:

وقد تقدم: أن هناك من كان يتوقع خروج المحلقين. والظاهر أن

المراد بهم الخوارج، فقد صرحت الروايات بأن سيماهم التحليق(1).

وقد قال الرجل الذي خرج بين الجيشين عنهم: أَخَرَجَ فيكم المحلِّقون؟!

وصرحت الروايات أيضاً: بأنهم «يحسنون القول (القيل)، ويسيئون الفعل(2). وأنهم «يتكلمون بكلمة الحق، لا يجاوز

---

(1) راجع: خصائص أمير المؤمنين للنسائي ص136 و 141 والمستدرك للحاكم ج3 ص444 والسنن الكبرى ج2 ص312 وج5 ص158 ومجمع الزوائد ج6 ص229 ومسند أحمد ج3 ص64 وج4 ص422 و 425 وج5 ص176 وصحيح البخاري (ط دار الفكر) ج8 ص219 ومسند أبي يعلى ج2 ص409 والمعجم الأوسط ج5 ص243 والمعجم الكبير ج5 ص20 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص139 - 142 و 142 و 206 و 306 و 309 وصحيح ابن حبان ج15 ص138 وسنن ابن ماجة ج1 ص62 وسنن أبي داود ج2 ص428 وسنن النسائي ج7 ص120 وفتح الباري ج3 ص217 وعمدة القاري ج25 ص201 ومسند أبي داود ص60 و 61 و 124 وكتاب السنة لابن أبي عاصم ص435 و 436 وتاريخ مدينة دمشق ج66 ص201 والبداية والنهاية ج6 ص242 وج7 ص309 و 332 و 334 والشفا بتعريف حقوق المصطفى ج1 ص341 وسبل الهدى والرشاد ج10 ص132 و 133.

(2) سنن أبي داود ج2 ص428 والمستدرك للحاكم ج2 ص147 و 148 و 154 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص171 والبداية والنهاية ج7 ص328 وبحار الأنوار ج33 ص329 وج18 ص123 وفتح الباري ج12

حلوقهم..»(1).

وقد قال ذلك الرجل عنهم أيضاً: إن «ألسنتهم أحلى من العسل».

وقال أيضاً: إن «قلوبهم أمرّ من الصبر..».

وهذا ينسجم مع ما ورد في الروايات في وصف المارقين: إنهم «شر الخلق والخليقة»(2).

ص254 ومسند أبي يعلى ج5 ص337 و 426 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص140 و 198 و 313 وأحكام القرآن للجصاص ج2 ص503 وج3 ص532 وإعلام الورى ج1 ص92 وكشف الغمة ج1 ص126.

(1) راجع: المصادر في الهامش السابق. وراجع: مسند أحمد ج1 ص147 وخصائص أمير المؤمنين للنسائي ص139 و 141 وكنز العمال (ط مؤسسة الرسالة) ج11 ص301 والسنن الكبرى للنسائي ج5 ص161 ونهج السعادة ج2 ص399 و 409 و 411 والتمهيد لابن عبد البر ج23 ص331 وتاريخ بغداد ج10 ص304 وج12 ص478 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص590 والبداية والنهاية ج7 ص323 وبحار الأنوار ج33 ص334 وشرح الأخبار ج2 ص43.

(2) ذكرنا شطراً من مصادر ذلك في كتابنا: علي «عليه السلام» والخوارج ج1 ص11. وراجع: شرح الأخبار ج1 ص142 وج2 ص59 و 60 و 65 والمسترشد للطبري ص281 والإرشاد للمفيد ج1 ص317 وتفضيل أمير المؤمنين للمفيد ص35 والعقد النضيد والدر الفريد ص131 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص268 والمحتضر للحلي ص171 والصراط المستقيم ج2

وقال ذلك الرجل أيضاً: «لهم حمة كحمة الحيات..»(1). والحمة ـ بضم الحاء، وفتح الميم، وتخفيفها ـ كثبة ـ: هي السم.

وقيل: الإبرة يضرب بها الزنبور والحية، ونحو ذلك، أو يلدغ بها.

وقد أظهرت الوقائع العملية: أن الخوارج كذلك. فراجع.

ذكرت الرواية المتقدمة: أن الرجل الذي خرج بين الصفين، وسأل عن المحلقين قد غاب..

ونقول:

يحتمل أن يكون هذا الرجل من أولياء الله الذين أراد الله تعالى أن يظهر الحق بواسطتهم، ولهم حياتهم الخاصة، التي تختلف عن حياة

ص70 وغوالي اللآلي ج4 ص87 وكتاب الأربعين للشيرازي ص458 وبحار الأنوار ج18 ص123 و 124 وج33 ص332 و 333 و 339 وج38 ص15 و 16 وج41 ص283 والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص101 و 102 ومستدرك سفينة البحار ج7 ص520 ومسند أحمد ج3 ص224 وج5 ص31 و 176 وسنن الدارمي ج2 ص214 وصحيح مسلم (ط دار الفكر) ج3 ص116 وسنن أبي داود ج2 ص428 وسنن النسائي ج7 ص120 و 121 والمستدرك للحاكم ج2 ص148 والسنن الكبرى للبيهقي ج8 ص171 وفتح الباري ج12 ص253 ومسند أبي داود ص60.

(1) راجع: صفين للمنقري ص394 وبحار الأنوار ج32 ص507 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص57.

غيرهم. كما هو الحال في حياة الخضر «عليه السلام».. ويحتمل أن يكون اختفاؤه نتيجة تصرف طبيعي قام به، بأن غيب نفسه في غمار الناس.. وتحقيق هذا الأمر لا يهمنا كثيراً.. بعد أن أظهرت الوقائع صدق ما أخبر به الرسول «صلى الله عليه وآله» عن هؤلاء الناس.. وقامت بذلك الحجة على الأمة إلى يوم القيامة.

استشهاد جندب بن زهير:

قال المنقري:

وتقدم جندب بن زهير برايته وراية قومه، وهو يقول: والله لا أنتهي حتى أخضبها! فخضبها مراراً إذ اعترضه رجل من أهل الشام، فطعنه. فمشى إلى صاحبه في الرمح حتى ضربه بالسيف، فقتله[1].

ونقول:

لاحظ ما يلي:

1 - إن الشامي الذي قتل جندب بن زهير، وهو رأس أزد العراق، هو رأس أزد الشام، كما صرح به المنقري في موضع آخر.. فيكون رأس أزد الشام قد قتل رأس أزد العراق، بطعنته له برمحه، ورأس أزد أهل العراق قتل رأس أزد أهل الشام، حين مشى - وهو في الرمح - إلى قاتله، فقتله بسيفه..

---

(1) صفين للمنقري ص408.

وهذه شجاعة نادرة حباه الله تعالى بها حين أخلص له نواياه، ووجده في مواقع رضاه.

2 ـ يكفي في الدلالة على صلابة جندب وبصيرته في دينه، وكمال عقله، وسلامة تفكيره: أن مخنف بن سليم قد حاول تخذيل أزد العراق عن محاربة أزد الشام، بادعاء أنهم إنما يقطعون أيديهم بأيديهم.. فتصدى له جندب بن زهير مصرحاً بلزوم قتال من طعن على الإمام، وآزر الظالمين والحاكمين بغير الحق، حتى يرجعوا عما هم عليه. فلما لم يجد مخنف بن سليم ما يجيبه به لجأ إلى الكلام الجارح، كما هو شيمة العاجزين والفاشلين(1).

3 ـ ذكرنا في حرب الجمل: أن علياً «عليه السلام» أرسل من ينادي في الناس: اتقوا سيف الأشتر، وجندب بن زهير(2).

وهذا يدل على كمال شجاعته، حتى إنه ليضاهي الأشتر في ذلك..

ولعل هذا العقل الوافر، وهذه الشجاعة الظاهرة، والإخلاص في النوايا، هو الذي دعا علياً «عليه السلام» لأن يختاره في صفين قائداً

---

(1) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج5 ص209 وصفين للمنقري ص261.

(2) راجع: الجمل للمفيد ص364 و (ط مكتبة الداوري) ص194 والإصابة ج1 ص248 ولباب الآداب ص187 وموسوعة الإمام علي بن أبي طالب ج5 ص210.

على الأزد واليمن(1).

4 - إن جندب بن زهير، والحارث الأعور، ويزيد بن قيس الأرحبي كانوا من الذين سيَّرهم عثمان، وأخرجهم، وأجلاهم من بلدهم(2).

وكان «رحمه الله» أحد الصحابة ـ كما دلت عليه بعض النصوص ـ(3).

وهو الذي ضرب ساحراً كان يلعب بين يدي الوليد بن عقبة، فقتله. كما تدل عليه نصوص أخرى(4).

---

(1) صفين للمنقري ص205 وتاريخ مدينة دمشق ج11 ص306 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص27 وتاريخ خليفة بن خياط ص147 وراجع: الأخبار الطوال ص172.

(2) وصفين للمنقري ص121.

(3) الغدير ج9 ص44 والكامل في التاريخ ج3 ص325 وأسد الغابة ج1 ص303 وسير أعلام النبلاء ج3 ص177 والإصابة ج1 ص612 وتاريخ الإسلام للذهبي ج3 ص491 و 560.

(4) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج1 ص258 واللباب في تهذيب الأنساب ج1 ص239 والوافي بالوفيات ج11 ص151 والمعارف لابن قتيبة ص402.

الباب التاسع:

حرب.. وحبائل..

الفصل الأول: رسائل بين علي × ومعاوية..
الفصل الثاني: عوراتهم سلاحهم.. أو عورة أشهر من صاحبها..
الفصل الثالث: حبائل معاوية..
الفصل الرابع: نهجان في اختيار القادة
الفصل الخامس: الأصبغ.. وابن أثال..
الفصل السادس: امرأة من هنا (أم سنان) ورجل من هناك (ابن جبلة)
الفصل السابع: معاوية يحزن على غلامه: حرب
الفصل الثامن: لك العراق.. ولنا الشام:
الفصل التاسع: لسان قيس، وسيف العكبر..
الفصل العاشر: إصرار علي × على مبارزة معاوية..
الفصل الحادي عشر: بدائل معاوية في مبارزة علي ×..

الفصل الأول:

رسائل بين علي × ومعاوية..

معاوية يهدد علياً ×:

وكتب معاوية إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

أما بعد.. فإن الهوى يضل من اتبعه، والحرص يتعب الطالب المحروم، وأحمد العاقبتين ما هدي إلى سبيل الرشاد. ومن العجب العجيب ذام ومادح، وزاهد وراغب، ومتوكل وحريص، كلاماً ضربته لك مثلاً لتدبر حكمته بجميع الفهم، ومباينة الهوى، ومناصحة النفس.

فلعمري يا ابن أبي طالب، لولا الرحم التي عطفتني عليك، والسابقة التي سلفت لك، لقد كان اختطفك بعض عقبان أهل الشام، فصعد بك في الهواء، ثم قذفك على دكادك شوامخ الأبصار، فألفيت كسحيق الفهر، على صن الصلابة لا يجد الذر فيك مرتعاً.

ولقد عزمت عزمة من لا تعطفه رقة الإنذر، إن لم تباين ما قربت به أملك، وطال له طلبك، لأوردنك مورداً تستمر الندامة إن فسح لك

في الحياة، بل نظنك قبل ذلك من الهالكين، وبئس الرأي رأي يورد أهله المهالك، ويمنيهم العطب إلى حين لات مناص. وقد قذف بالحق على الباطل، وظهر أمر الله وهم كارهون، ولله الحجة البالغة والمنة الظاهرة. والسلام(1).

الفهر: الحجر قد رما يدق به الجوز ونحوه(2).

جواب الإمام:

من عبد الله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب إلى معاوية بن أبي سفيان.

أما بعد.. فقد أتانا كتابك بتنويق المقال، وضرب الأمثال، وانتحال الأعمال، تصف الحكمة ولست من أهلها، وتذكر التقوى وأنت على ضدها، قد اتبعت هواك فحاد بك عن الحجة(3)، وألحج(4) بك عن سواء السبيل.

---

(1) كنز الفوائد ج2 ص43 و (ط مكتبة صفوي 1369 هـ ش) ص199 و 200 وبحار الأنوار ج33 ص127 و 12 ونهج السعادة ج5 ص290 و 291.

(2) لسان العرب ج5 ص66 والقاموس المحيط ج2 ص112 وتاج العروس ج7 ص362.

(3) في بحار الأنوار: «المحجة»، ولعله أنسب.

(4) اللحج: الميل، وألحجهم إليه: أمالهم (لسان العرب ج2 ص356).

فأنت تسحب أذيال لذات الفتن، وتحيط في زهرة الدنيا، كأنك لست توقن بأوبة البعث، ولا برجعة المنقلب، قد عقدت التاج، ولبست الخز، وافترشت الديباج، سنة هرقلية، وملكاً فارسياً.

ثم لم يقنعك ذلك حتى يبلغني أنك تعقد الأمر من بعدك لغيرك فيملك، دونك وتحاسب دونه. ولعمري لئن فعلت ذلك فما ورثت الضلالة عن كلالة، وإنك لابن من كان يبغي على أهل الدين، ويحسد المسلمين.

وذكرت رحماً عطفتك علي، فأقسم بالله الأعز الأجل أن لو نازعك هذا الأمر في حياتك من أنت تمهد له بعد وفاتك لقطعت حبله، وأبنت أسبابه.

وأما تهديدك لي بالمشارب الوبيئة والموارد المهلكة، فأنا عبد الله علي بن أبي طالب، أبرز إلي صفحتك، كلا ورب البيت ما أنت بأبي عذر عند القتال، ولا عند مناطحة الأبطال.

وكأني بك لو شهدتَ الحرب وقد قامت على ساق، وكشرت عن منظر كريه، والأرواح تختطف اختطاف البازي زغب[1] القطا، لصرت كالمولهة الحيرانة، تصربها[2] العبرة بالصدمة، لا تعرف

(1) الزغب: الفراخ (لسان العرب ج1 ص450).

(2) صرب بوله: إذا حقنه (الصحاح ج1 ص162). والمراد: أنه يصير ملازماً للعبرة، ومحبوساً بها بسبب الصدمة التي يواجهها من مشاهدة الحرب.

أعلا الوادي عن أسفله.

فدع عنك ما لست أهله؛ فإن وقع الحسام غير تشقيق الكلام، فكم عسكر قد شهدته، وقرن نازلته، [ورأيت] اصطكاك قريش بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، إذ أنت وأبوك و [من] هو [أعلا منكما لي][1] تبع، وأنت اليوم تهددني!

فأقسم بالله أن لو تبدي الأيام عن صفحتك لنشب فيك مخلب ليث هصور[2]، لا يفوته فريسة بالمراوغة، كيف وأنى لك بذلك وأنت قعيدة بنت البكر المخدرة؛ يفزعها صوت الرعد.

وأنا علي بن أبي طالب الذي لا أهدد بالقتال، ولا أخوف بالنزال، فإن شئت يا معاوية فابرز. والسلام.

فلما وصل هذا الجواب إلى معاوية بن أبي سفيان جمع جماعة من أصحابه وفيهم عمرو بن العاص فقرأه عليهم. فقال له عمرو: قد أنصفك الرجل، كم رجل أحسن في الله قد قتل بينكما، ابرز إليه.

فقال له: أبا عبد الله، أخطأت استك الحفرة، أنا أبرز إليه مع علمي أنه ما برز إليه أحد قط إلا وقتله! لا والله، ولكني سأبرزك

---

(1) ما بين المعاقيف سقط من المصدر، وأثبتناه من بحار الأنوار نقلاً عن المصدر.

(2) أسد هصور: يكسر ويميل (لسان العرب ج5 ص264).

إليه(1).

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

متى كانت الرسائل؟!:

إن الكلمات الأخيرة التي عقب بها الراوي على الكتابين المتقدمين، وذكر فيها امتناع معاوية من مبارزة علي «عليه السلام»، وقوله لعمرو: «أخطأت استك الحفرة».. إلى أن قال: «ولكني سأبرزك إليه». تدل على أن تبادل هذه الرسائل كان قبل كشف عمرو بن العاص سوأته ليتخلص من سيف أمير المؤمنين «عليه السلام».

تصف الحكمة ولست من أهلها:

1 - وإن ملاحظة كتاب معاوية ينطق بصدق قول أمير المؤمنين «عليه السلام»: «تصف الحكمة، قد اتبعت هواك، فحاد بك عن الحجة، وألحج بك عن سواء السبيل». فإنه كتاب ركيك، وفيه تكلف وتصنع ظاهر، ولا يكاد تصح معانيه التي حاول أن يضفي عليها طابع الحكمة، بالرغم من أنها مقتبسة من كلمات معروفة ومتداولة

---

(1) كنز الفوائد ج2 ص43 و (ط مكتبة صفوي 1369 هـ ش) ص200 و 201 وبحار الأنوار ج33 ص128 و 129 وراجع: مصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص58 - 60 ونهج السعادة ج5 ص291 - 295.

مروية عن الرسول «صلى الله عليه وآله»، وعن أمير المؤمنين «عليه السلام»..

ولكنه لم يستطع أن يربط بين مضامينها، ولا بينها وبين ما أراد أن يجعلها توطئة له من التهديد والوعيد..

2 - إنه «عليه السلام» اعتبر معاوية ينتحل أعمالاً ليست له، فهو ينتحل صفة الحكيم، وليس من أهل الحكمة، وينتحل صفة الشجاع، وهو جبان وينتحل الهدى، وهو ضال، وينتحل العطف على الرحم، وهو ممن يقسو على رحمه.. إلى غير ذلك من أمور دلت عليها كلماته في رسالته..

لذَّات الفتن:

والذين يلجون الفتنة صنفان:

أحدهما: من يَصْلَوْنَ نارها، وتعصف بهم رياحها، فهؤلاء هم ضحاياها الذين تسلب راحتهم وتصرعهم، ثم هي لا تزال تلوكهم، وتطحنهم رحاها، حتى تودي بهم إلى البوار والدمار.

الثاني: الذين يلقحون الفتنة ويوظفونها في خدمة مصالحهم وأغراضهم، وتحركها رياح أهوائهم الوبيئة، وتجعل منها مرتعاً لشهواتهم الدنيئة، ومتنفساً مشؤوماً لعقد الحقد الرديئة، الذي تغلي مراجله في صدورهم. ويجعل من مآسي الناس، وآلامهم، وعذاباتهم غذاءً.. ويصبح ذلك الداء دواءً، والسقم والمرض سلامة وشفاءً.

وتصبح الجريمة مصدر اعتزاز، وسبيل مجد، ووسيلة مباهاةٍ وفخر، ويصير ابتزاز الضعفاء ناتج جهدهم، والإستئثار بجنى عمرهم، والعبث بمستقبلهم هو اللذة التي لا توصف، والسعادة التي لا تضاهى.

وبذلك يتضح ما ألمح إليه «عليه السلام» بقوله لمعاوية: «فأنت تسحب أذيال لذات الفتن، وتحيط (تخبط) في زهرة الدنيا، كأنك لست توقن بأوبة البعث، ولا برجعة المنقلب».

مظاهر الكسروية الهرقلية:

وكان عمر بن الخطاب قد خص معاوية دون سائر عماله بالسماح له بمضاهاة ملوك أهل الأرض من القياصرة والأكاسرة في مظاهر البذخ والترف، وأبهة الملك(1). وقال له: لا آمرك ولا أنهاك(2).

---

(1) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1417 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص112 وسير أعلام النبلاء ج3 ص133 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص133.

(2) دلائل الصدق ج3 قسم 1 ص212 وتاريخ الأمم والملوك ج6 ص184 و (ط أخرى) ج3 ص461 و (ط الأعلمي) ج4 ص244 و 245 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1417 والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث العربي) ج8 ص133 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص112 و 113 وسير أعلام النبلاء ج3 ص133 وراجع: العقد الفريد ج1 ص14 وصلح

وأعرب له عن إعجابه ورضاه بما يراه، بل كانت كلماته المشهورة ترن في الآذان، حين قال عن معاوية: هذا كسرى العرب[1].

وأطلق يده في الأموال، فلم يحاسبه طيلة سنوات حكمه، مع أنه كان يحاسب عماله في كل سنة، ويقاسمهم أموالهم، ويوجه لهم الإهانات، وقد يضربهم ويثير حولهم الشكوك في نزاهتهم وأمانتهم[2].

الحسن «عليه السلام» للسيد شرف الدين ص9 وشيخ المضيرة أبو هريرة ص86 وشرح الأخبار ج2 ص115.

(1) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج3 ص369 و 397 و (ط دار الجيل) ج3 ص1417 وفيه: أنه كان إذا دخل الشام، ونظر إليه، قال ذلك، والإصابة ج3 ص434 وأسد الغابة ج4 ص386 والغدير ج10 ص226 عنهم، ودلائل الصدق ج3 ق1 ص212 وسير أعلام النبلاء ج3 ص134 والأعلام للزركلي ج7 ص262 وتاريخ الإسلام ج4 ص311 والبداية والنهاية ج8 ص125 و (ط دار إحياء التراث) ج8 ص134 وشرح الأخبار ج2 ص164 وتاريخ مدينة دمشق ج59 ص114 وإحقاق الحق (الأصل) ص263.

(2) راجع: النص والإجتهاد ص361 و 373 والإستيعاب (ط دار الجيل) ج3 ص1417 وفتوح البلدان للبلاذري ج1 ص257 وتاريخ مدينة دمشق ج35 ص94 وج59 ص111 ـ 115 والإصابة ج4 ص279 وتاريخ المدينة لابن شبة ج3 ص807 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص117

وبعد موت عمر بلغ معاوية الذروة في التصرف في أموال المسلمين، وفي التشبه بكسرى وقيصر.. حتى ليقول له «عليه السلام» في رسالته هذه: «قد عقدت التاج، ولبست الخز، وافترشت الديباج، سنة هرقلية، وملكاً فارسياً».

معاوية يعهد ليزيد:

وفي الرسالة المتقدمة: أن علياً «عليه السلام» ينعى على معاوية أنه يسعى لجعل الأمر من بعده لشخص بعينه.. مع أن حرب صفين لم تحسم بعد، إن لم نقل: إنها كانت في بداياتها، أو في أوج غليانها، حين طلب علي «عليه السلام» أن يبرز إليه، فرفض معاوية ذلك.. وذلك قبل كشف عمرو سوأته في الميدان، وقبل قضية التحكيم.

وهذا يدل على عدم صحة ما يدَّعونه، من أن معاوية لم يجرؤ على طرح اسم ولده يزيد إلا بعد استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام»(1)، وباقتراح من المغيرة بن شعبة(2).

و 118 وصلح الحسن «عليه السلام» للسيد شرف الدين ص9 والبداية والنهاية ج8 ص133.

(1) الغدير ج10 ص228 والإستيعاب ج1 ص142 و (ط دار الجيل) ج1 ص391.

(2) الغدير ج10 ص228 و 229 والكامل في التاريخ ج3 ص503 و 504 والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج3 ص16 وحياة الإمام الحسين «عليه السلام» للقرشي ج2 ص191 والنصائح الكافية لابن عقيل ص64 وصلح

فإن كتاب أمير المؤمنين «عليه السلام» هذا يدل على شيوع هذا التدبير من معاوية حتى في حياة أمير المؤمنين «عليه السلام».

هل الضلالة تورث كلالة؟!:

وقد أشار أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى أمور نذكرمنها ما يلي:

1 - إنه «عليه السلام» تحدَّث عن إرث الضلالة عن الكلالة..

وتوضيح ذلك: أن إرث الكلالة، وهو أن يموت الميت وليس له ولد ولا والد، ولا زوجة، وله أخ فقط، فله المال كله، وإن كان له أخت فقط، فلها نصف ما ترك، وترث النصف الباقي بالرد عليها بالقرابة، إن لم يكن له وارث أقرب منها، فإن كانتا أختين أخذتا الثلثين، والباقي تأخذانه بالقرابة، وإن كانوا إخوة رجالاً ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين.

2 - صرح «عليه السلام» بأن معاوية ضال.

3 - وقال: إن معاوية ورث الضلالة عن أبيه أو أهله.. ولكنه لم يرثها عن كلالة، بل هي وراثة أصالة.

4 - إن الذين ورث الضلال عنهم كانوا من البغاة على أهل الدين، وهذا هو حال معاوية نفسه.

5 - إنه كان يحسد المسلمين.

الحسن «عليه السلام» للسيد شرف الدين ص304.

ونسجل هنا ملاحظتين:

الملاحظة الأولى:

إرث الكلالة:

الكلالة مصدر معناه الإحاطة. أي إنها إرث لكل المال، وهي إحاطة ثقيلة، لأن الورثة الذين هم من عدا الولد والوالد, يثقلون على الميت الموروث. لأن أخذهم لجميع المال فيه صعوبة عليه.

وهذا معناه: أن الكلالة اسم للوارث.. وقد روي أن الامام الصادق «عليه السلام» سئل عن الكلالة، فقال: «من لم يكن ولد ولا والد»(1).

كما أن الكلالة اسم للميت الموروث نفسه أيضاً, فقد قال الراغب: روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» سئل عن الكلالة, فقال: من مات وليس له ولد. فجعلها اسماً للميت(2).

ويمكن التخلي عن كلا الأمرين بأن يقال: إن ما روي عن النبي «صلى الله عليه وآله» تارة, وعن الإمام الصادق «عليه السلام»

(1) الكافي ج7 ص99 وتهذيب الأحكام ج9 ص319 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج26 ص92 و (الإسلامية) ج17 ص435 وتفسير نور الثقلين ج1 ص455 وتفسير الميزان ج4 ص221 وتفسير كنز الدقائق ج2 ص386 ومعاني الأخبار ص272 وبحار الأنوار ج101 ص341 .
(2) مفردات غريب القرآن ص437 وتفسير الميزان ج4 ص212.

أخرى ليس معناه أن الوارث هو الكلالة، كما يراد أن يستفاد مما روي عن الإمام الصادق «عليه السلام». أو أن الميت الموروث هو الكلالة كما قاله الراغب..

بل المراد بيان مورد إرث الكلالة, والعناصر الموجبة لهذا النوع من التقسيم.

والحقيقة هي: أن الكلالة اسم نفس هذه الكيفية الإرثية. والشاهد على ذلك: قوله تعالى: (**..وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً..**)(1).

فجعل الكلالة وصفاً لكيفية الإرث، لا للوارث والموروث.

الملاحظة الثانية:

لا كلالة في إرث الضلالة:

إن هذا الثقل الذي تلمح إليه كلمة الكلالة إنما يأتي على المورِّث, وهو الميت, من حيث معرفته بأنه يموت ولا ولد له, وأن أمواله ستصل إلى غير أبيه الذي هو من صلبه, وإلى غيره ولده الذي كان يمكن أن يولد من صلبه.. فوصول جميع أمواله لغير هذين سيكون ثقيلاً وصعباً عليه..

وفي مقام تطبيق هذه الحالة على المورد الذي يتحدث عنه أمير المؤمنين «عليه السلام» نلاحظ: أن أبا سفيان وسائر من ورثهم

(1) الآية 12 من سورة النساء.

معاوية من أجداد, وأعمام، وإخوة, وأخوال لم يكن يثقل عليهم أن ينتقل جميع ما لديهم من بغي على أهل الدين, ومن حقد وضغينة على المسلمين إلى وريثهم معاوية، بل كان ذلك يسعدهم, ويبهج قلوبهم.. مما يعني: أن ما ورثه معاوية عنهم من ذلك لم يكن إرث كلالة..

معاوية والرحم:

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يشر إلى ما يبطل مزاعم معاوية حول رحمٍ تربطه بعلي «عليه السلام», وتعطفه عليه. بالرغم من توفر الأدلة والشواهد التي تبطل هذه الدعاوى. أو تسقطها عن درجة الإعتبار, ربما لأنه لو فعل «عليه السلام» ذلك لتوهم متوهم: أن ما يدعوه إلى ذلك هو الضغينة والتشفي, وقد يظن أن معاوية كان أكثر مرونة وإيجابية منه «عليه السلام»..

فأراد «عليه السلام» أن يحسم الأمر من أيسر سبيل، فكتب إليه: أنه يقسم على أن الوقائع والأحداث قد أثبتت أن معاوية لا يأبه لقتل من هم أغلى من الأرحام، وأعز من الآباء والأولاد في سبيل الملك والسلطان.

والشاهد على ذلك، أنه قد عاش حياته كلها محارباً للحق وأهله، بل ها هو يقتل عشرات الألوف من الناس، ويحارب الله تعالى، ويسعى في قتل أعظم وأفضل الأنبياء والأوصياء, فضلاً عن خيار الأمة وأبرارها وصلحائها. ويسعى في طمس الدين, وإطفاء نور الله جهاراً نهاراً، ومن دون خجل أو وجل..

فهل من كان هذا حاله يمكن أن يعف حتى عن من ينازعه الملك حتى لو كان ولده الذي يمهد السبيل لتوليته بعد وفاته..

وهذا يكفي لإثبات أن معاوية غير صادق فيما يدعيه، من أن له رحماً بعلي «عليه السلام» قد عطفته عليه. فإن من لا يبقي حتى على ولده، هل يبقي على أمير المؤمنين «عليه السلام» الذي لم يزل يحسده، ويحقد عليه، ويحاربه ويجهد في قتله منذ ما يزيد على نصف قرن؟!

أنا عبد الله علي!!:

أما ما سجله «عليه السلام» جواباً على تهديدات معاوية، فلا يحتاج إلى مزيد بيان.. غير أن من جملة ما لفت نظرنا هنا قوله «عليه السلام»: «فأنا عبد الله علي بن أبي طالب، أبرز إلي صفحتك الخ..». فإنه «عليه السلام» قد اعتز بعبوديته لله تعالى، التي تعني كونه في طاعة الله سبحانه ويتحرى رضاه في كل شيء، وبصورة دائمة.

ووسام العبودية هو أعلى وسام يمنحه الله تعالى لرسوله «صلى الله عليه وآله» ولأنبيائه «عليهم السلام»،وخيرة عباده.. فلاحظ كيف يصف الله من هو من أنبيائه وأهل طاعته تارة بأنه عبد شكور، وأخرى بأنه نعم العبد، ويقول عن صاحب موسى: **(فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ**

عِبَادِنَا)(1). وقال حكاية عن عيسى «عليه السلام»: **(إِنِّي عَبْدُ اللهِ)**(2).

وأمرنا أن نقول في تشهد كل صلاة: «وأشهد أن محمداً عبده ورسوله».

وغير ذلك كثير.

وذلك لأنه «صلى الله عليه وآله» قد بلغ مقام العبودية الخالصة، فاستحق مقام الرسولية، وأن تزجى هذه الشهادة لله تعالى.

قامت الحرب على ساق:

ومن التعابير التي وردت في كتابه «عليه السلام» قوله: «وقد قامت على ساق، وكشرت عن منظر كريه». يريد بذلك بيان استعار نار الحرب، وبلوغها الغاية في الهيجان والإشتداد. وكأن يريد الإيحاء بأن الحرب أصبحت شخصاً ظاهراً للعيان، يمكن للناس أن يروه بأم أعينهم كما يرون الرجل الواقف أمامهم.

وهذا من التعابير الشائعة التي يكنى بها على اشتداد الأمور، وبلوغها الذروة..

وهذا هو ما قصد إليه في قوله تعالى: **(يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ)**(3). فهو كناية عن اشتداد الأمور، وتجلي الحقائق، وتجسد

(1) الآية 65 من سورة الكهف.

(2) الآية 30 من سورة مريم.

(3) الآية 42 من سورة القلم.

ما كان يظن أنه من المعاني التجريدية، ليصبح واقعاً حياً، ماثلاً أمام أعين الناس، حتى إنهم ليرونه كما يرون الإنسان القائم أمامهم.

وبذلك يظهر: أنه لا معنى للقول: بأن هذه الآية تشير إلى أن الله تعالى سوف يظهر يوم القيامة للخلائق في صورة شاب، فلا يعرفونه حتى يكشف عن ساقه.. فإن هذا من التجسيم الباطل، الذي ربما يكون من دسائس أعداء الدين.

على أننا لم نستطع أن نعرف السبب في اختيار إظهار الله تعالى ساقه دون يده، أو دون وجهه، مثلاً؟! وهل هو سوف يأتي إلى الخلائق متلثماً؟! أم ماذا؟!

وإذا كان سيأتي متلثماً، فقد كان عليهم قبل أن يجيبوه أن يطلبوا منه الكشف عن وجهه.

مراسلات بين علي × ومعاوية:

وكتب علي إلى معاوية:

أما بعد.. فإنك قد ذقت ضراء الحرب وأذقتها، وإني عارض عليكم ما عرض المخارق على بني فالج:

أيا راكباً إما عرضت فبلغن بني فالج حيث استقر قرارها
هلموا إلينا لا تكونوا كأنكم بلاقع أرض طار عنها غبارها
سليم بن منصور أناس بحرة وأرضهم أرض ثير

وبارها(1)

جواب معاوية:

فأجابه معاوية:

من معاوية إلى علي..

أما بعد.. ـ عافانا الله وإياك ـ فإني إنما قاتلت على دم عثمان، وكرهت التوهين في أمره، وإسلام حقه. فإن أدرك به فبها، وإلا فإن الموت على الحق أجمل من الحياة على الضيم. وإنما مثلي ومثل عثمان كما قال المخارق:

متى تسلى عن نصرتي السيِّد لا يجد لك السِّيد بيت السِّيد عندي مسلما

إذا حل بيتي عند جاري لم يخف غوائل ما يسري إذا الليل أظلما

وقلت له في الرحب وجهك إنني سأمسك عنك الدار أن يتهدما(2)

كتاب آخر لأمير المؤمنين ×:

فكتب إليه علي بن أبي طالب «عليه السلام»:

---

(1) صفين للمنقري ص385 وبحار الأنوار ج32 ص503 و 504 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص40 ونهج السعادة ج4 ص259.

(2) صفين للمنقري ص386 وبحار الأنوار ج32 ص504 والفتوح لابن أعثم ج3 ص192.

أما بعد.. فإنك وما ترى كما قال أوس بن حجر:

وكـــائن يرى من عاجز متضعف جنـى الحـرب يومـاً ثم لم يغن مـا يجنـــي

ألـم يعلـم الـمهدي الوعيد بأنني سريع إلـى مـا لا يسر لـه قرنـي

وإن مكـاني للمـريـديـن بــــارز وإن برزونــــي [1] ذو كــــؤود وذو حضن[2]

جواب معاوية:

فكتب إليه معاوية:

عافانا الله وإياك. إنا لم نزل للحرب قادة وأبناء. لم تصب مَثلنا ومَثلك، ولكن مثلنا كما قال أوس:

إذا الحرب حلت ساحـة القوم أخـرجـت

عيــوب رجــال يعــجبـونـك فـي الأمر

وللـــحرب يـجـنـيــهـا رجــال ومنهم

إذا مـــا جنـاها من يعيد ولا يــغـنـــي[3]

ونقول:

---

(1) لعل الصحيح: وإن بروزي.

(2) صفين للمنقري ص386.

(3) صفين للمنقري ص386 و 387.

إيضاحات:

الحرة: أرض ذات حجارة سود نخرة.

وبارها: جمع وبر، دويبة كالسنور لكنها أصغر، تدجن في البيوت، وهي من جنس بنات عرس.

إسلام الشيء: تركه.

السِّيد ـ بكسر السين المشددة ـ: قبيلة من بني ضبة. والسيد في اللغة: الذئب. والأسد جمع سيدان.

الكؤود: العقبة الصعبة والشاقة، والصعبة المرتقى.

ذو حضن: الحضن ما دون الأبط من الكشح.. والحضن جانب الشيء، وأصل الجبل.

جسّ النبض:

وبعد أن عاين معاوية بعض آثار الحرب، أراد «عليه السلام» أن يحرك الأمور باتجاه آخر يفيد في تعريف الناس بمدى لجاجة معاوية، وعدم مبالاته بما يسفك من دماء، ويزهق من أرواح. لكي لا يدخل في وهم أحد: أن من الجائز أن يكون ما عاينه من مصائب وويلات قد حمله على البخوع إلى الحق، والتراجع عن الباطل الذي هو فيه..

ولكن علياً «عليه السلام» لا يعطيه الفرصة لذلك، مع أنه أصبح مستعداً لاغتنامها.

فجاءت هذه المبادرة من أمير المؤمنين «عليه السلام» لتظهر أن

هذه خواطر بائسة، وأن المحاولات في هذه الإتجاه فاشلة ويائسة.

غير أن هذه المحاولات من قبل أمير المؤمنين «عليه السلام» ترسخ القناعة: بأنه «عليه السلام» هو الساعي للسلم، والداعي له، وأن داعية الحرب هو معاوية وحزبه، وأن إعلان معاوية للحرب، وجمعه للجيوش، ومبادرته للمسير نحو العراق هو الذي جاء بعلي «عليه السلام» إلى صفين.

وقد تقدمت رسائل معاوية الحربية إلى علي «عليه السلام»، وأنه قد جمع جيوشه حين كانت رسل علي «عليه السلام» عنده بالشام، حيث لم يرض بأن يجيب علياً «عليه السلام» على رسائله إلا بعد أن استفرغ الوسع في جمع الرجال. فما يحاول معاوية أن يتذرع به، من أن علياً «عليه السلام» هو الذي قصد بلاد الشام، بهدف البطش بأهلها، واستئصال شأفتهم، وتقويض عزهم.. ما هو إلا من الكيد الأموي، الذي لم يهدأ على مر الدهور والعصور.

وقد ألمح «عليه السلام» في رسالته المتقدمة إلى أن الأبواب أصبحت موصدة في وجه معاوية وأهل الشام، ولم يترك أهل الشام أية ذرة غبار يمكن الإستفادة منها في صلاح الأمور، ولكنه «عليه السلام» لم ييأس بالرغم من ذلك، ولا يزال يعول على ذرة من الخير والعقل يمكن أن يعثر عليها في تلك البلاد، فإن من غير المعقول أن تطير جميع ذرات الغبار عن تلك البلاد البلاقع.

جواب معاوية:

وقد صرح معاوية في جوابه: بأنه مصمم على مواصلة الحرب، على أساس الطلب بدم عثمان. وبذلك يكون قد أعلن أن بلاده قد أصبحت بلاقع قد طارت عنها جميع ذرات غبار الخير والصلاح، وأصبحت مثل حرة النار التي كانت لبني سليم.

واللافت: أن معاوية الذي اخترع لنفسه قصة الطلب بدم عثمان، مع أن أولياء دم عثمان ـ وهم أولاده ـ كانوا موجودين، ولم يكن معاوية ولي دمه، بالإضافة إلى كثير من المغالطات التي حاول أن يستفيد منها لتسويق ظلمه وبغيه الفاضح.. فإنه قد زاد في الطنبور نغمة هنا، حين ادعى أنه على الحق، وأنه في ضيم من هذه الحرب التي أشعل هو نارها.. وصار يفكر في أن من الخير له أن يموت على الحق، من الحياة على ضيم..

ونحن لا ندري من أين جاءه هذا الحق؟! وكيف بماذا ولماذا صار معه، وإلى جانبه؟! ولا ندرى أيضاً كيف أصابه الضيم، ومن أين جاءه؟! أليس هو الذي اخترع قصة اتهام علي بدم عثمان؟! وهو الذي لم يجب علياً على رسائله، حتى جمع الجيوش للحرب، وهو الذي وبدأ يزحف بجيوشه نحو العراق؟!

وأليس هو الذي أصرَّ مراراً وتكراراً على بدء الحرب، وعلى مواصلتها؟!

وأليس لا يزال يصرُّ على ذلك، وسيبقى على إصراره هذا بسوء

اختياره؟!

جواب علي ×:

وقد تضمن جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» على إصرار معاوية على الحرب، التركيز على أمور:

أولها: التذكير بأن معاوية هو الذي جنى هذه الحرب. وأن تمسكنه، وإظهاره المظلومية لا يجدي في طمس هذه الحقيقة، بل هو محض تدليس وخداع للناس..

الثاني: أن معاوية وإن كان قد جمع لهذه الحرب عشرات الألوف وأعد واستعد لها، ولكنه لم يستطع أن يحقق من خلالها شيئاً، ولا كان هو من رجالها.. بل كان المرواغ والفرَّار فيها، ولم يكن كراراً في أي وقت..

الثالث: أن تهديدات معاوية لعلي «عليه السلام» لا معنى لها. لأن معاوية يعلم بأن علياً «عليه السلام» لا يغيب عن ساحة النزال، بل هو المسارع إلى كل ما يسوء عدوه.. وهو من لا يخفى مكانه في الحرب على أحد.

الجواب الهزيل:

وجاء جواب معاوية لعلي «عليه السلام» هنا ضعيفاً وهزيلاً، وبلا مضمون.. بل أريد به مجرد أن يقال: إنه قد أجاب على كتاب علي «عليه السلام»..

الفصل الثاني:

عوراتهم سلاحهم..
أو عورة أشهر من صاحبها..

بداية:

إن من المعلوم: أن عورة عمرو بن العاص، قد اشتهرت عبر التاريخ.. واقترن اسم صاحبها بها، وأصبحت مضرب المثل، وعروساً في القصائد الشعرية، والمقطوعات الأدبية يُتغنى بقبحها، وبقبح ما فعله صاحبها من إظهارها في ساحة القتال والنزال، وما فتئوا يحذِّرون الناس من الاقتداء به في فعله هذا..

ونريد أن نعرف في هذا الفصل حقيقة ما جرى؟!

وكيف أصبحت عورة عمرو بن العاص أشهر من صاحبها؟!

حتى إننا لا نبالغ إذا قلنا: إنها هي التي أعطته القسط الأوفر من الشهرة، ومنحته المزيد من السوء وقبح الصورة.

ولا بأس بذكر بعض نصوص ما جرى أولاً، ثم تعقيبه بما نرى ضرورة إلى التعقيب عليه..

فنقول:

أروني مكانه:

1 - روى نصر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن تميم قال: والله إني مع علي «عليه السلام» حين أتاه علقمة بن زهير الأنصاري، فقال: يا أمير المؤمنين، إن عمرو بن العاص ينادي ثَمَّ:

أنا الغلام القرشي المؤتمن الماجد الأبلج ليث كالشطن
يرضى به الشام إلى أرض عدن يا قادة الكوفة من أهل الفتن
يا أيها الأشراف من أهل اليمن أضربكم ولا أرى أبا حسن
أعني علياً وابن عم المؤتمن كفى بهذا حزنا من الحزن

فضحك علي «عليه السلام» ثم قال: أما والله لقد حاد عدي الله عني، وإنه بمكاني لعالم، كما قال العربي: «غير الوهى ترقعين وأنت مبصرة»!! ويحكم، أروني مكانه لله أبوكم، وخلاكم ذم(1)..

وسيأتي هذا الرجز المذكور آنفاً في رواية ابن أعثم الآتية برقم [5]، وسنرى أن ثمَّة اختلافاً فيه، وفي الرواية أيضاً..

عورته خلَّدته:

2 - قال نصر بن مزاحم: ثم إنهم التقوا بصفين، واقتتلوا أشد القتال حتى كادوا أن يتفانوا، ثم إن عمرو بن العاص مر بالحارث بن

---

(1) صفين للمنقري ص371 و 372 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص46 و 47.

نصر الجشمى، وكان عدواً لعمرو، وكان عمرو قلما يجلس مجلساً إلا ذكر فيه الحرب.

فقال الحارث في ذلك:

ليس عمرو بتارك ذكره الحر ب مدى الدهر أو يلاقى عليا
واضع السيف فوق منكبه الأيـ من لا يحسب الفوارس شيا
ليت عمرا يلقاه في حمس النقـ ع وقد صارت السيوف عصيا
حيث يدعو إلى البراز حامية القو م إذا كان بالبراز مليا
فوق شهب مثل السحوق من النخـ ل ينادى المبارزين: إليا
ثم يا عمرو تستريح من الفخـ ر وتلتقي به فتى هاشميا
فالقه إن أردت مكرمة الدهـ ر أو الموت كل ذاك عليا

فلما سمع عمرو شعره، قال: والله لو علمت أنى أموت ألف موتة لبارزت علياً في أول ما ألقاه، فلما بارزه طعنة علي فصرعه، واتقاه عمرو بعورته، فانصرف على عنه(1).

وفي رواية ابن قتيبة، قال: ذكروا أن عمرواً قال لمعاوية: أتجبن عن علي وتتهمني في نصيحتي إليك؟! والله، لأبارزنَّ علياً، ولو مت ألف موتة في أول لقائه.

فبارزه عمرو، فصرعه. فاتقاه بعورته، فانصرف عنه علي

---

(1) صفين للمنقري ص423 و 424 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص313.

«عليه السلام» وولى بوجهه دونه، وكان علي «عليه السلام»، لم ينظر قط إلى عورة أحد، حياءً وتكرماً، وتنزهاً عما لا يحل، ولا يجمل بمثله كرم الله وجهه(1).

قال المنقري:

وقال علي «عليه السلام» حين بدت له عورة عمرو، فصرف وجهه عنه:

ضــربي ثبى الأبطال في المشاعب ضـرب الغـلام البطـل الملاعـب

أيـن الضراب في العجاج الثائب حـين احمـرار الحـدق الثواقـب

بالسـيـف في تـهـتـهة الكتائب والصـبــر فيــه الحمــد للعواقب(2)

3 - وذكروا أن علياً «عليه السلام» حمل على عمرو بن العاص يوماً فضربه بالرمح، فألقاه إلى الأرض، فبدت سوءته، فرجع عنه.

فقال له أصحابه: ما لك يا أمير المؤمنين رجعت عنه؟!

فقال: أتدرون ما [من] هو؟!

قالوا: لا!

---

(1) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص95 و (تحقيق الشيري) ج1 ص127.

(2) صفين للمنقري ص423 و 424 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص313.

قال: هذا عمرو بن العاص تلقاني بسوءته، فذكرني بالرحم، فرجعت عنه.

فلما رجع عمرو إلى معاوية، قال له: إحمد الله واحمد إستك(1).

4 ـ عن المدائني: رأى عمرو بن العاص معاوية يوماً يضحك، فقال له: مم تضحك يا أمير المؤمنين، أضحك الله سنك؟!

قال: أضحك من حضور ذهنك عند إبدائك سوءتك يوم ابن أبي طالب! أما والله لقد وافقته مناناً [منافياً] كريماً، ولو شاء أن يقتلك لقتلك.

قال عمرو: يا أمير المؤمنين، أما والله إني لعن يمينك حين دعاك إلى البراز، فاحولت عيناك، [وازبد شدقاك، وتنشر منخراك، وعرق جبينك]، وربا سحرك، وبدا منك [من أسفلك] ما أكره ذكره لك، فمن نفسك فاضحك، أو دع!!(2).

(1) البداية والنهاية ج7 ص264 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج7 ص293 والأخبار الطوال ص177 والمناقب للخوارزمي ص236 / 240 والفصول المهمة ص89 كلها نحوه. وراجع: مروج الذهب ج2 ص397 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص360 وبحار الأنوار ج32 ص585.

(2) عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص169 والعقد الفريد ج3 ص334 عن أبي الحسن وفيه: «ولولا ذلك لخرم رفغيك بالرمح» (بدل): «ولو شاء أن يقتلك لقتلك». وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص107 و 317 والمحاسن والمساوئ ص53 عن الشعبي نحوه. وراجع: الأمالي للطوسي

وعند سبط بن الجوزي: [ولكنك احترزت بالرجال في أيديها السمر العوالي](1).

لكن البلاذري قال: إن معاوية قال لعمرو: أتذكر إذ غشيك ابن أبي طالب، فاتقيته بسوأتك؟!

فقال: إني رأيت الموت مقبلاً إلي معه، فاتقيته كما رأيت. وكان ورعاً،فصرفه عني حياؤه، ولكني أذكرك حين دعاك للمبارزة، فقلصت شفتك ورعدت فرائصك، وامتقع لونك(2).

5 - وذكر ابن أعثم: أنه قبل مقتل عبيد الله بن عمر، دعا علي «عليه السلام» معاوية للبراز، فامتنع.

قال: ثم تنكر علي «عليه السلام»، وخرج حتى وقف في ميدان الحرب ودعا للبراز، فخرج إليه عمرو بن العاص، وهو لم يعرفه.

قال وعرفه علي «عليه السلام»، فاطرد بين يديه، لكي يخرجه

ص134 و 217 وراجع: تذكرة الخواص ج1 ص413 و 414 وفي هامشه عن: عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص169 وبحار الأنوار ج33 ص56 والنصائح الكافية ص57 و 58 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص660 عن مروج الذهب (الطبع الأول بمصر) ج2 ص47.

(1) تذكرة الخواص ج1 ص413.

(2) أنساب الأشراف (ط سنة 1416هـ) ج2 ص238 و (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص330.

من صفوف أهل الشام.

قال: وتبعه عمرو، وهو يقول:

يـــا قــادة الكوفة من أهل الفتن   يـا قـاتلي عثمـان ذاك المـؤتمن
كفى بهـذا حـــزنا مـن الحزن   أضـــربكـم ولا أرى أبا الحسن

قال: فرجع علي «عليه السلام» وهو يقول:

أنــــا الغـــلام القرشي المؤتمن   الماجـد الأبلـج ليـث كالشـطن
تـــرضى بي السادة من أهل اليمن   مــــن ســاكني نجـد ومـن أهـل عدن
أبـــو حســين فاعلمن أبو الحسن

قال: فلما سمع عمرو كلام علي «عليه السلام» وشعره ولى ركضاً، وتبعه علي «عليه السلام»، فطعنه طعنة وقعت الطعنة في فصول الذراع، فأكفأه عن فرسه، فسقط عمرو على قفاه من ضربة علي، ورفع رجليه فبدت سوءته، وصرف علي وجهه عنه، وانصرف إلى عسكره.

[وحسب نص ابن شهرآشوب: فولى عمرو هارباً، فطعنه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فوقعت الطعنة في ذيل درعه، فاستلقى على قفاه، وأبدى عورته، فصفح عنه استحياءً وتكرماً، فقال معاوية:

الـحـمـد لله الـذي عـافـــاك   واحـمـد إستك الذي وقاك] (1).

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص178 وراجع: كشف الغمة ج1 ص445.

وأقبل عمرو إلى معاوية ومعاوية يضحك.

فقال له عمرو: ما يضحكك يا معاوية؟!

قال: ضحكت والله من حملة أبي الحسن عليك، وكشفك لسوءتك، فوالله لقد وجدته هاشمياً منافياً بالنزال، لا ينظر إلى عورات الرجال.

فقال عمرو: والله يا معاوية لو بدا له من صفحتك ما بدا له [من] صفحتي إذاً لأوجع قذالك، وأيتم عيالك، ونهب مالك.

فقال معاوية: لو كنت تحتمل المزاح مازحتك!

فقال عمرو: ما أحملني للمزاح، ولكن إن كان رجل لقي رجلاً، فصد عنه، ولا يقتله أقطرت دماً.

فقال معاوية: لا، ولكن تعقب فضيحة وجبناً، أما والله لو عرفت ما قدمت عليه.

فقال عمرو: وهو ابن عمي فقد عفا وأحسن.

فقال معاوية: أبا عبد الله! هل تعلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي: أنا وأنت من طينة واحدة إلى آدم!

فقال عمرو: قد كان ذلك.

قال معاوية: فكيف يكون ذلك ابن عمك، وأبوه سيد من بني هاشم، وأبوك من قد علمت؟!

فقال عمرو: ليس هذا مزاح، هذا أشد من ضرب السيف، أما والله يا معاوية! لولا أني بعتك ديني إذاً لما استقبلتني بمثل هذا

وأشباهه.

قال: فأنشأ معاوية يقول:

ألا لله مـــن هــفـــوات عمرو يـعـــاتبنــــي علـــى تـــــرك البراز

إلى آخر الأبيات الآتية(1).

6 - قال المنقري:

وحمل أهل العراق وتلقاهم أهل الشام، فاجتلدوا.

وحمل عمرو بن العاص معلماً، وهو يقول:

شـــــدوا علي شكتي لا تنكشف بعــد طلـــيح والزبيــر فـــأتلف
يـــوم لـهـمدان ويـــوم للصدف وفـــي تمـــيم نخـــوة لا تنحـــرف
أضــربـهـا بالسيف حتى تنصرف إذا مشيت مشية العود الصلف
ومثلها لـحمير، أو تـنـحـــرف والــربعيـــــون لـهــــم يـــوم عصف

فاعترضه علي «عليه السلام»، وهو يقول:

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص47 و 48 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص178 وكشف الغمة ج1 ص444 و 445 و (ط دار الأضواء) ج1 ص248 و 249 ومطالب السؤول ص162 فصل 8 و (بتحقيق ماجد ابن أحمد العطية) ص221 وبحار الأنوار ج32 ص597 و 598.

قد علمت ذات القرون الميل والخصر والأنامل الطفول
إني بنصل السيف خنشليل[1] أحمي وأرمى أول الرعيل
بصارم ليس بذي فلول

ثم طعنه، فصرعه واتقاه عمرو برجله، فبدت عورته، فصرف علي وجهه عنه، وارتث.

فقال القوم: أفلت الرجل يا أمير المؤمنين.

قال: وهل تدرون من هو؟!

قالوا: لا.

قال: فإنه عمرو بن العاص تلقاني بعورته، فصرفت وجهي عنه.

ورجع عمرو إلى معاوية، فقال له: ما صنعت يا عمرو؟!

قال: لقيني على، فصرعني.

قال: أحمد الله وعورتك، أما والله أن لو عرفته ما أقحمت عليه.

وقال معاوية في ذلك:

ألا لله من هفوات عمرو يعاتبني على تركي برازي
فقد لاقى أبا حسن علياً فآب الوائلي مآب خازي
فلو لم يبد عورته للاقى به ليثاً يذلل كل نازي
له كف كأن براحتيها منايا القوم يخطف خطف بازي

---

(1) في البيت إقواء.

فـــــإن تـكــن المنايا أخطأته فـقـــد غـــنى بها أهل الحجاز

فغضب عمرو، وقال: ما أشد تغبيطك [تعظيمك] علياً «عليه السلام» في أمري هذا، هل هو إلا رجل لقيه ابن عمه، فصرعه!! أفترى السماء قاطرة لذلك دماً؟!

قال: ولكنها معقبة لك خزياً(1).

وكان المنقري قد ذكر في موضع آخر أبياتاً لعمرو, وقال ابن أعثم: إنها جواب على أبيات معاوية المذكورة أعلاه، فراجعها(2).

ونقول:

لاحظ ما يلي:

إيضاحات:

الأبلج: ذو الكرم والمعروف. والواضح. ومشرق الوجه.

الشطن: الحبل. وشطنه في الأرض دخل، إما راسخاً، وإما واغلاً..

حمس النقع ـ بفتحتين ـ: شدته.

---

(1) صفين للمنقري ص406 ـ 408 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص60 عن ابن عباس، وراجع: بحار الأنوار ج32 ص511 و 512 والحجة على الذاهب إلى تكفير أبي طالب ص235 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص48.

(2) صفين للمنقري ص 276 والفتوح لابن أعثم ج3 ص48 و 49.

النقع: الغبار..

شهب: شهب جمع شهباء. وهي من الخيل: ما خالط بياضه السواد.

السحوق: الطويلة.

ثبى: الثبة: الجماعة والعصبة من الفرسان. وثبى: جمع ثبة. وأصلها ثبين. حذفت النون للإضافة.

المشاعب: لعل المقصود ضرب ما بين القرنين من الرأس.

الثائب: العائد.

التهتهة: مصدر قولهم: تهته الشيء بالبناء للمفعول، رُدِّد فيه. وإن كانت بالنون: نهنه، فهو الكف والزجر.

ربا: ارتفع.

السَّحَر: الرئة.

خرم: خرق.

رفغيك: مثنى الرفع، وهو أصل الفخذين الباطن.

اطرد بين يديه: تباعد عنه لكي يلحقه، ويبتعد به عن موضع بعينه.

فصول الذراع: ملتقى العظمين فيه.

منافياً: نسبة إلى عبد مناف في كرمه ونبله.

معلماً: أي واضعاً علامة يعرف بها.

الشكة: السلاح.

العود: المسن من الإبل.

الطفول: جمع طفل بالفتح. وهو الرخص الناعم.

خنشليل: جيد الضرب بالسيف.

ارتُثَّ: حمل جريحاً من المعركة، وبه رمق.

النازي: الواثب المتفلت.

التغبيط: من الغبطة.. وهي تمني الحصول على مثل النعمة التي يراها في غيره من غير أن يتمنى زوالها عن هذا الغير.

عورة عمرو في شعر عمرو:

وقد ذكر عمرو بن العاص نفسه قصته في كشف عورته، في القصيدة التي رويت عنه، وتسمى: «الجلجلية»، فقال:

وعلمتهم كشف سوآتهم   لرد الغضنفرة المقبل

ويقول فيها أيضاً يذكر مطالبة علي لمعاوية بمبارزته:

وقولك: يا عمرو أين المفر؟!   من الفارس القسور المسبل؟!

عسى حيلة منك عن ثنيه   فإن فؤادي في عسعل(1)

وشاطرتني كلما يستقيم   من الملك دهرك لم يكمل

---

(1) الظاهر أنها كلمة منحوتة من كلمتي عسى وعلّ. أي أن قلبه مردد بين عسى ولعل، أو بين الخوف والرجاء.

فقمـــت على عجلتي [1] رافعا وأكشـف عـن سـوأتي أذيلـي
فســتر عـــن وجهـه وانثنى حيـــاء وروعـــك لـــم يعقـــل
وأنـــت لـخـــوفك من بأسه هنـــاك مـــلأت من الأفكل[2].

القسور: الأسد

العسعل: أوضحناها في الهامش.

أذيل: جمع ذيل.

الأفكل: الرعدة.

شجاعة عمرو:

وقد زعم بعضهم: أن عمرو بن العاص كان من فرسان قريش وأبطالهم في الجاهلية، مذكوراً بذلك فيهم[3].

---

(1) لعل الصحيح: على عجل. أو أنها من العُجلة بضم العين، وتسكين الجيم. وهي العجالة.

(2) الغدير للعلامة الأميني ج2 ص114 و 116 عن نسختين في مجموعتين موجودتين في المكتبة الخديوية بمصر، ورياض الجنة للزنوزي، وخمسها الشيخ عباس الزيوري البغدادي.. وهناك أبيات من هذه القصيدة في شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج10 ص186 ومناقب آل أبي طالب ج3 ص56 و 57 وعن لطائف أخبار الدول ص61 وشرح مغني اللبيب للشيخ محمد الأزهري ج1 ص82 والأنوار النعمانية ج1 ص121.

(3) الإستيعاب (بهامش الإصابة) ج3 ص2 و (ط دار الجيل) ج3 ص1188 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص321 والغدير ج2 ص157 وتهذيب

وزعم آخر: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يقربه ويدنيه، لمعرفته وشجاعته(1).

وهو كلام غير دقيق، بل غير صحيح.

فبالنسبة للتقريب والإدناء، نقول:

أولاً: لا دليل على تقريب النبي «صلى الله عليه وآله» وإدنائه له.

ثانياً: لو صح ذلك، فلعله كان للتأليف على الإسلام، أو لأمور أخرى، وما أكثرها.

وأما الشجاعة.. فهي أيضاً مفقودة في عمرو لأكثر من دليل ودليل.

فلاحظ ما يلي:

أولاً: إن عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي، حين قدم على معاوية، وتعرض له عمرو بن العاص بالتنقص والعيب، قال له عبد الله: «أم بأي قديم تعرض للرجال؟! أبنفسك، فأنت الخوار الوغد الزنيم»؟!(2).

الكمال ج22 ص82 و 83 وسير أعلام النبلاء ج3 ص58 وراجع: وفيات الأعيان ج7 ص215.

(1) الإصابة ج3 ص2 و (ط دار الكتب العلمية) ج4 ص539 والغدير ج2 ص157.

(2) تاريخ مدينة دمشق ج7 ص438 و (ط دار الفكر) ج29 ص74 ومختصر تاريخ دمشق ج12 ص238 والغدير ج2 ص125.

ثانياً: قال عنه أمير المؤمنين «عليه السلام»: «إذا كان يوم البأس، فإنه زاجر وآمر ما لم تأخذ السيوف بهام الرجال، فإذا كان ذاك، فأعظم مكيدته في نفسه أن يمنح القوم استه». أو «القرم سبته»[(1)].

وفي نص آخر: «كان أكبر همه أن يبرقط، ويمنح القوم إسته»[(2)].

برقط: فر هارباً. وولى متلفتاً.

ثالثاً: إن عمارة بن الوليد تحرش بزوجة عمرو بن العاص حين كانوا في السفينة في طريقهم إلى النجاشي في الحبشة للسعي عنده بجعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين، فلم يجرؤ عمرو على مناوأة الوليد، ولكنه كاده عند النجاشي، وقصته في ذلك مشهورة[(3)].

---

(1) الإمتاع والمؤانسة ج3 ص183 والأمالي للطوسي ص131 و 132 حديث 208 ونهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص147 الخطبة رقم 84 وبحار الأنوار ج33 ص223 و 221 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص280 والغدير ج2 ص128 وحلية الأبرار ج2 ص415 وراجع: العقد الفريد ج4 ص141 ونهج السعادة ج2 ص88 وأنساب الأشراف (ط الأعلمي سنة 1394هـ) ص151 والغارات للثقفي ج2 ص513 - 515 والإحتجاج ج1 ص269 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين للبحراني ص162 .

(2) عيون الأخبار لابن قتيبة ج1 ص164.

(3) تاريخ عمرو بن العاص (للدكتور حسن إبراهيم حسن) ص40 و 41

ويكفي أن الحسن قد ذكره بذلك في مجلس معاوية(1).

وقالت له غانمة بنت غانم: «لقد رأيت فحل زوجتك على فراشك، فما غرت ولا أنكرت»(2).

رابعاً: وقالوا: إن عمرواً حين واجه الأشتر «فَشِلَ وَجَبُنَ، واستحيا أن يرجع».. إلى أن قال: «فغشيه الأشتر بالرمح، فزاغ عنه عمرو، فلم يصنع الرمح شيئاً، ولوى عمرو عنان فرسه، وجعل يده على وجهه، وجعل يرجع راكضاً نحو عسكره، فنادى غلام من يحصب: يا عمرو، عليك العفا ماهيت الصبا»(3).

خامساً: قال له ابن عباس: «..وذكرت مشاهدك في صفين، فوالله

وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص304 وتذكرة الخواص ص14 و (ط النجف) ص200 وجمهرة خطب العرب ج2 ص27 رقم18 والسيرة النبوية لابن إسحاق ج2 ص148 والغدير ج2 ص136.

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص291 والغدير ج2 ص135 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج11 ص214 و 215 عن مقتل الحسين للخوارزمي (ط الغري) ص114 وج26 ص542 عن الحسن والحسين سبطا رسول الله «صلى الله عليه وآله» لمحمد رضا أمين (ط دار الكتب العلمية ـ بيروت) ص33.

(2) المحاسن والأضداد للجاحظ ص88 ـ 90 والمحاسن والمساوئ للبيهقي ص91 ـ 94.

(3) صفين للمنقري ص440 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص80 والغدير ج2 ص167 وراجع: كتاب الفتوح (ط دار ألأضواء) ج3 ص93.

ما ثقلت علينا وطأتك، ولقد كشفت فيها عورتك، ولا نكتنا فيها حربك. ولقد كنت فيها طويل اللسان، قصير السنان. آخر الحرب إذا أقبلت، وأولها إذا أدبرت»[1].

سادساً: قال له عبد الله بن هاشم المرقال: «هلا كانت هذه الحماسة عندك يوم صفين، ونحن ندعوك إلى البراز، وأنت تلوذ بشمائل الخيل، كالأمة السوداء، والنعجة القوداء»؟!

وقال له: «فإني أعلمك بطراً في الرخاء، جباناً في اللقاء. عيابة عند كفاح الأعداء، ترى أن تقي مهجتك، بأن تبدي سوأتك. أنسيت صفين وأنت تدعى إلى النزال، فتحيد عن القتال، خوفاً أن يغمرك رجال لهم أبدان شداد، وأسنة حداد، ينهبون السرح، ويذلُّون العزيز».

وقال له: «لو لقيك أبي في ذلك المقام لارتعدت منه فرائصك، ولم تسلم منه مهجتك. ولكنه قاتل غيرك، فقتل دونك»[2].

وتذكرنا كلمته الأخيرة بما جرى بين عمرو ومعاوية حين

---

(1) بحار الأنوار ج33 ص232 والصراط المستقيم ج3 ص51 ووفيات الأعيان ج3 ص63 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص247 والغدير للأميني ج2 ص168 عن البيان والتبيين ج2 ص206 والعقد الفريد ج3 ص204.

(2) راجع: صفين للمنقري ص348 والكامل للمبرد ج1 ص219 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص30 ـ 34 والغدير ج2 ص170 وراجع: مروج الذهب ص17 ـ 20.

كان يعيِّر كل منهما الآخر بما كان منه حين كان علي «عليه السلام» يطلبهم إلى المبارزة.. فقد وصف عمرو حال معاوية، وما جرى له في تلك اللحظات، فقال معاوية: «لم يكن هذا كله، وكيف يكون، ودوني عك والأشعريون..

فقال عمرو: إنك لتعلم أن الذي وصفت دون ما أصابك. وقد نزل ذلك بك ودونك عك، والأشعريون. فكيف كان حالك لو جمعكما مأقط الحرب»؟![1].

عورة عمرو عروس شعرهم:

قلنا: إن عورة عمرو بن العاص قد أصبحت عروس شعر الشعراء في قصائد هجائهم.. ونستطيع أن نذكر الكثير من الأمثلة على ذلك.

ولكننا نقتصر على ما يلي:

1 - قال الوليد بن عقبة يرد على معاوية حين أغراهم بلقاء علي «عليه السلام»:

أتأمرنا بحية بطن واد   إذا نهشت فليس لها طبيب
وما ضبع يدب ببطن واد   أتيح له به أسد مهيب
بأضعف حيلة منا إذا ما   لقيناه وذا منا عجيب

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص317 عن الواقدي، والغدير ج2 ص164.

دعـــا للقـــاه في الهيجاء لاق فأخطـأ نفســه الأجـل القريـب
ســوى عمـــرو وقته خصيتاه نجــا ولقلبــه منهــا وجيــب
كـــأن القـــوم لـمــا عاينوه خــــلال النقـــع لـــيس لهـــم قلوب(1)

وقال معاوية عن عمرو في أبيات له:

فلـــــو لم يــبد عـورته للاقى بـــه ليثـاً يـذلل كـــل غـــازي
لــــــه كـف كـــأن بــراحتيها منايــا القــوم يخطــف خطــف بازي(2)

وقال الحارث بن نضر السهمي يذكر ما جرى لعمرو بن العاص، ولبسر بن أبي أرطأة، الذي نجا بكشف عورته أيضاً:

أفي كــل يــوم فـارس تنـدبونه لـــــه عـــورة تحــت العجاجــة باديــــــــــــــــــــــــــــــــــة

---

(1) صفين للمنقري ص417 و 418 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص117 وتذكرة الخواص ص89 و 90 والمناقب للخوارزمي ص234 و 235 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص314 و 315 وج8 ص61 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص443 وراجع: الصراط المستقيم ج3 ص178 والغدير ج2 ص160 .

(2) راجع: صفين للمنقري ص407 و 408 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص60 و 61 الخطبة رقم124 والبداية والنهاية ج7 ص292 والغدير ج2 ص161.

يكــف بها عـــنه عـلي سـنانه ويضــحك منهــا فــي الخـــلاء معاويـــة

بدت أمـس مـن عمرو فقنع رأسه وعــورة بســر مثلهــا حـــذو حــاذيه

فقولا لعمــرو وابن أرطاة أبصرا سبيلكما لا تلقــيا الليث ثانــية

ولا تـحمـدا إلا الحيا وخصــاكما همـــا كــــانتا للـــنفس والله واقــية

فلــولا هما لم تنجوا مــن ســنانه وتلــك بمــا فيهــا عــن العــود ناهيهـــة

متى تلقيا الخيل المشيحة صبحة[1] وفيـــها علــي فاتــركا الخــيل ناحــية

وكونــا بعيدا حيث لا تبلغ القــنا ونــــار الـــوغى إن التجـــارب كافـــية

وإن كـان منه بعد في النفس حاجة فعــودوا إلــى مــا شــئتما هــي ماهــيه[2]

---

(1) المشيحة: المجدة. وصبحة: أي صباحاً.

(2) الغدير ج2 ص166 وراجع: كشف الغمة ج1 ص448 و 449 ونور الأبصار ص95 وصفين للمنقري ص462 والإستيعاب (بهامش الإصابة) ج1 ص67 و (ط دار الجيل) ج1 ص165وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص317 وج8 ص96 والمناقب للخوارزمي ص241 والبداية والنهاية ج4 ص23 وبحار الأنوار ج33 ص230 و 231 والوافي

وقال ابن منير الطرابلسي:

هـــــذا ولم يغــدر معـــاو يــــة ولا عمـــرو مكـــــر
هـــــذا بســـوأته يقــاتل لا بصــــارمــه الـــذكــر[1]

وقال الأمير أبو فراس الحمداني، [أو أبو نواس]. كما قاله ابن شهرآشوب:

ولا خيــر في دفـــع الردى بمذلة كمـــا ردهـــا يومـــاً بســـوأته عمرو[2]

وقال الزاهي البغدادي:

وصــــد عن عمرو وبسر كرماً إذ لقيـــا بالســـوأتين مـــن شخص[3]

وقال حيص بيص:

بالوفيات ج10 ص82 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص467 و 468 والنصائح الكافية لابن عقيل ص74 و 75 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص408 وج18 ص38 و 39.

(1) الغدير ج2 ص157.

(2) مناقب آل أبي طالب ج3 ص178 و (ط الحيدرية) ج2 ص360 وبحار الأنوار ج32 ص585 وكشف الغمة ج1 ص445 و (ط دار الأضواء) ج1 ص249 والغدير ج2 ص156 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص464 .

(3) الغدير ج2 ص156 وج3 ص389.

قبـح مـخـازيك هازم شرفي سـوأة عمـرو ثنـت سـنان علي(1)

وقال عبد الباقي العمري:

وليلـة الـهريـر قـد تكشفت عن سوأة ابن العاص لما غلبا
فحـاد عنـه مغضباً حيدرة وعـف والعفـو شـعار النجبـا
ولـو يشا ركـب فيه زجه تـركيب مزجي كمعدى كربا(2)

وقال شاعر آخر:

ولا خيـر في صون الحياة بذلة كمـا صـانها يومـاً بذلتـه عمرو(3)

وقال الأشتر النخغي في ما جرى لعمرو، ولبسر:

في كـل يوم رجل شيخ شاغرة وعـورة تحـت العجـاج ظـاهرة
أبـرزهـا طعنة كف واترة عمـرو بسـر رميـا بالفاقرة(4)

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص178 و (ط الحيدرية) ج2 ص360 وبحار الأنوار ج32 ص585.

(2) راجع: الغدير ج2 ص156.

(3) راجع: الغدير ج2 ص156.

(4) تذكرة الخواص (ط سنة 1426هـ.) ج1 ص413 وصفين للمنقري ص461 والمناقب للخوارزمي ص241 وشجرة طوبى ج2 ص337 والغدير ج2 ص165 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص96.

وقال له معاوية:

الحمد لله الذي عفاك واحمد إستك الذي وقاك(1)

إيحاءات للتضليل:

ويلاحظ: أن بعض نصوص هذه القضية قد صيغت بحيث توحي بأن ظهور عورة عمرو لم يكن متعمداً من عمرو، كرواية هشام بن محمد، وفيها:

أن علياً خرج في يوم من أيام صفين، فرأى عمرو بن العاص في جانب العسكر، ولم يعرفه، فطعنه، فوقع فبدت عورته، فاستقبل علياً، فأعرض عنه. ثم عرفه، فقال: يا ابن النابغة، أنت طليق دبرك أيام عمرك إلخ..(2).

فقد أوهمت هذه الرواية أمرين:

أحدهما: أن علياً هو الذي لم يعرف عمرو بن العاص، ثم عرفه، وليس الأمر كذلك. فإن عمرواً هو الذي لم يعرف علياً «عليه السلام».

---

(1) مناقب آل أبي طالب ج3 ص178 و (ط الحيدرية) ج2 ص360 وبحار الأنوار ج32 ص585 والغدير ج2 ص161 وراجع: البداية والنهاية ج7 ص293.

(2) تذكرة الخواص (ط النجف) ص90 والمناقب للخوارزمي ص236 والغدير ج2 ص161.

وربما يؤيد ذلك: أن نفس هذه الرواية، قالت: ولم يعرفه ـ بالواو ـ لا بالفاء، لتدل على أن ضمير يعرفه يرجع إلى عمرو. أي أن عمرواً لم يعرف علياً «عليه السلام».

الثاني: إنها أوهمت: أن عورة عمرو قد بدت بدون قصد منه، بل لأجل أن الطعنة أسقطته عن فرسه.

وهذا غير صحيح.. فقد صرحت بعض النصوص: بأن عمرواً «ألقى نفسه عن فرسه، ورفع ثوبه، وشغر برجله، فبدت عورته، فصرف وجهه عنه»**(1)**.

وهذا ما رواه المعتزلي، عن المنقري، عن عمرو بن شمر، عن النخعي، عن ابن عباس.

ولكن هذا النص لم يرد في كتاب صفين المطبوع للمنقري.

وهذا يدل على أن المطبوع من كتاب صفين مختصر من الكتاب، وأن المعتزلي ينقل عن المطوَّل منه.

وفي نص آخر، قال: قال ابن عباس لعمرو بن العاص: «..فلما رأيت الكواثر من الموت (الكر آثر من الفر) أعددت حيلة السلامة قبل لقائه، والإنكفاء عنه بعد إجابة دعائه، فمنحته رجاء النجاة عورتك، وكشفت له خوف بأسه سوأتك، حذراً أن يصطلمك بسطوته

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص60 وج6 ص314 والغدير ج2 ص158 و161 وبحار الأنوار ج33 ص222.

إلخ..»(1).

ابن العاص اعتاد كشف عورته:

وتظهر النصوص التي ذكرت عورة عمرو: أن هذا الحدث قد حصل فيما يبدو أكثر من مرة، قد كانت إحداها قبل مقتل عبيد الله بن عمر كما يفهم من رواية ابن أعثم المتقدمة. وفيها: أن علياً «عليه السلام» خرج إلى الميدان، وطلب من يبارزه، فخرج إليه عمرو، وهو لا يعرفه.

وكذا رواية هشام بن محمد، وفيها: أنه قال لعمرو:

«أنت طليق دبرك أيام عمرك»، وكان قد تكرر منه هذا الفعل(2).

ولكن رواية ابن قتيبة تقول: إن عمرواً برز إلى علي ليبر بقسمه، فطعنه علي «عليه السلام» فصرعه، فاتقاه بعورته(3).

وكذا رواية المنقري التي ذكرت الحرث بن النضر، وشعره..

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص298 و 299 وجمهرة خطب العرب ج2 ص102 والغدير ج2 ص169 وبحار الأنوار ج42 ص167 والدرجات الرفيعة ص119 و 120.

(2) تذكرة الخواص (ط النجف) ص90 والمناقب للخوارزمي ص236 والغدير ج2 ص161.

(3) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج1 ص95 و (تحقيق الشيري) ج1 ص127 والغدير ج2 ص158.

وهذا معناه: أن عمرواً كان عارفاً بعلي «عليه السلام»، حين برز إليه ليبر بقسمه..

ورواية المسعودي في مروج الذهب تدل على أن عمرواً قد بادر لمبارزة علي بإصرار من معاوية، فلما التقيا عرفه علي «عليه السلام» وشال السيف ليضربه به، فكشف عمرو عن عورته، وقال: «مكره أخوك (كذا) لا بطل»، فحول علي «عليه السلام» وجهه عنه، وقال «عليه السلام»: «قبحت»[1].

وهذا يدل أيضاً على أن عمرواً قد أقدم على مبارزة علي «عليه السلام»، وهو عارف له.

وتدل أيضاً على أنه قد تعمد الكشف عن عورته باختياره، لا أنها بالرغم عنه.

بل لقد صرح هو نفسه: بأنه قد أقدم على مبارزة علي مع معرفته به، فقد قال:

لقيت ولست أجهله علياً ... وقد بلت من العلق اللبود
فأطعنه ويطعنني خلاساً ... وماذا بعد طعنته أريد
فرمها أنت يا ابن أبي معيط ... إلخ.. [2]

---

(1) الغدير ج2 ص159 عن مروج الذهب ج2 ص25 و (ط أخرى) ج2 ص387.

(2) صفين للمنقري ص418 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص314 و

المحتمون بعوراتهم:

لم يكن عمرو بن العاص الوحيد الذي كشف عورته ليتقي بها سيف علي «عليه السلام»، فقد سبقه إلى ذلك، ولحقه غيره، ومنهم:

1 ـ طلحة بن أبي طلحة، فإنه لما حمل عليه أمير المؤمنين، في حرب أحد، وعرف أنه مقتول لا محالة، كشف عورته، ليدفعه عن نفسه(1).

2 ـ بسر بن أبي أرطأة قد فعل ذلك في واقعة صفين أيضاً.. وسيأتي حديثه إن شاء الله تعالى.

3 ـ عمرو بن عبد ود العامري، فإن عمر بن الخطاب، قال لعلي: هلا سلبته يا علي «عليه السلام» درعه؟! فإنه ليس في العرب درع مثلها.

---

315 والغدير ج2 ص160 والفتوح لابن أعثم ج3 ص117.

(1) البداية والنهاية ج4 ص20 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج4 ص22 و 23 والسيرة الحلبية ج2 ص223 و (ط دار المعرفة) ج2 ص497 و 498 و (ط أخرى) ج2 ص247 وبحار الأنوار ج20 ص127 وج41 ص50 والغدير ج2 ص166 ومناقب آل أبي طالب (ط الحيدرية) ج1 ص381 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج32 ص354 عن علي إمام المتقين، لعبد الرحمن الشرقاوي (ط مكتبة غريب في الفجالة) ج2 ص42 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص194 والكامل في التاريخ ج2 ص152 .

فقال: إني استحييت أن أكشف سوأة ابن عمي.

أو قال: ضربته، فاتقاني بسوأته، فاستحييت من ابن عمي أن أسلبه(1).

أنا الغلام القرشي المؤتمن:

تقدم: أن رواية المنقري تنسب إلى عمرو بن العاص: أنه هو الذي قال:

أنا الغلام القرشي المؤتمن الماجد الأبلج ليث كالشطن
يرضى به الشام إلى أرض عدن إلخ..

ولكن ابن أعثم قد نسب هذا الرجز إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» غير أن فيه:

أنا الغلام القرشي المؤتمن الماجد الأبلج ليث كالشطن

(1) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ج11 ص144 عن المصادر التالية: الإرشاد للمفيد ص61 ومجمع البيان ج8 ص343 وشواهد التنزيل ج2 ص12 وبحار الأنوار ج20 ص257 و 204 وج41 ص73 وسبل الهدى والرشاد ج4 ص534 و 535 والمستدرك للحاكم ج3 ص33 والبداية والنهاية ج4 ص107 والروض الأنف ج3 ص280 ودلائل النبوة للبيهقي ج3 ص439 والسيرة النبوية لدحلان ج2 ص7 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص205 والسيرة الحلبية ج2 ص320 وخاتم النبيين ج2 ص938 ونهاية الأرب ج17 ص174.

يــــرضى به السادة من أهل اليمن مــــن ســاكني نجـد ومـن أهـل عدن

أبـــو حسـين فاعلمن أبو الحسن

ونرى: أن رواية ابن أعثم هي الصحيحة.. وأن في رواية المنقري خبطاً وتخليطاً.

ويدلنا على ذلك: أن هذه الأوصاف لا يمكن أن تنطبق على عمرو بن العاص بأي وجه، بل هو لا يجرؤ على التفوُّه بها، لأنه لو فعل ذلك لأثار عاصفة من الفضائح، ولظهر له من القبائح، ما لا يمكن لعاقل تحمله.. بل ستكون جميع هذه الأوصاف من موجبات السخرية به، والإنكار عليه، فإنه لم يكن:

الغلام القرشي.

ولا المؤتمن.

ولا الماجد.

ولا الأبلج الواضح في نسبه وحسبه..

ولا الليث في بسالته وشجاعته.

ولا يرضى به الشام إلى أرض عدن.

وإنما هذه الأوصاف هي: أوصاف علي «عليه السلام» دون سواه، فهي به أليق، وهو «عليه السلام» فيما يقوله عن نفسه أولى وأوفق.. وهو الأحق بها والأصدق..

وبيان ذلك باختصار شديد، كما يلي:

الغلام القرشي:

بالنسبة لكون عمرو غلاماً قرشياً، نقول: إن نسبته إلى أبيه موضع ريب وشك، وقد كان يعيَّر بهذا الأمر.

فلاحظ ما يلي:

1 ـ قالت له أروى بنت الحارث بن عبد المطلب: «..ولقد رأيت أمك أيام منى بمكة مع كل عبد عاهر، فأتم بهم، فإنك بهم أشبه»(1).

2 ـ قال له الإمام الحسن «عليه السلام» بمحضر معاوية: «أما أنت يا ابن العاص، فإن أمرك مشترك، وضعتك أمك مجهولاً من عهر وسفاح، فتحاكم فيك أربعة من قريش، فغلب عليك جزارها، ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً»(2).

3 ـ وقال له ابن عباس: «لأنك من اللئام الفجرة، وقريش من الكرام البررة، لا ينطقون بباطل جهلوه، ولا يكتمون حقاً علموه.. إلى أن قال: دخلت في قريش، ولست منها، فأنت الساقط بين فراشين، لا

---

(1) بلاغات النساء ص43 و (ط بصيرتي) ص28 والعقد الفريد ج1 ص225 وروض المناظر ج1 ص229 وثمرات الأوراق ص152 وجمهرة خطب العرب ج2 ص382 الغدير ج2 ص122 وراجع: بحار الأنوار ج33 ص253 ومستدرك سفينة البحار ج4 ص260 ونهج الحق ص313.

(2) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص291 عن كتاب المفاخرات للزبير بن بكار، وتذكرة الخواص ص114 والغدير ج2 ص122 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج26 ص542.

في بني هاشم رحلك، ولا في بني عبد شمس راحلتك..»[1].

عمرو الشجاع:

وأما شجاعة عمرو، فقد تقدم الحديث عنها، فلا نعيد..

عمرو المؤتمن:

وأما كون عمرو الرجل المؤتمن، فلا يصح أيضاً، لا بمعنى الإئتمان المقابل للخيانة والغدر، ولا بمعنى الأمانة في الأمور المالية ونحوها، أو في مقابل الغش، إذ يكفي أن نذكر:

1 - وصف أمير المؤمنين «عليه السلام» له: بأنه يعد فيخلف، ويخون العهد[2].

2 - وكتب إليه أمير المؤمنين «عليه السلام» عن معاوية:

---

(1) العقد الفريد ج3 ص203 و (ط أخرى) ج2 ص137 والغدير ج2 ص 138.

(2) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج1 ص147 الخطبة رقم 84 والغارات للثقفي ج2 ص513 - 515 والإحتجاج للطبرسي ج1 ص268 و 269 وشرح مئة كلمة لأمير المؤمنين لابن ميثم ص162 وبحار الأنوار ج33 ص221 والغدير ج2 ص128 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص280 والنصائح الكافية ص73 وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص57 وراجع: الإمتاع والمؤانسة ج3 ص183 والأمالي للطوسي ص131 حديث 208.

«فسلبك دينك وأمانتك، ودنياك، وآخرتك»(1).

وذكر العلامة الأميني: إن المعتزلي نقل هذا النص عن نصر بن مزاحم، في كتاب صفين، قال: «ولم نجده فيه فمن أمعن النظر في جل ما نقله ابن أبي الحديد عن هذا الكتاب يعلم بأن المطبوع منه هو مختصره، لا أصله، وهو أكبر من الموجود بكثير» انتهى(2).

3 - وقال عبد الله بن عباس لعمرو بن العاص: «وذكرت يومك مع أبي موسى، فلا أراك فخرت إلا بالغدر، ولا منيت إلا بالفجور والغش»(3).

عمرو الماجد:

وأما كون عمرو ماجداً، فلا يحتاج إثبات أضداد هذه الصفة فيه إلى الكثير من العناء، بل يكفي فيه إلقاء نظرة عابرة على حال

---

(1) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص163 عن المنقري، وجمهرة رسائل العرب ج1 ص486 وبحار الأنوار ج33 ص225 ونهج السعادة ج4 ص258 والكنى والألقاب ج1 ص435 ومصباح البلاغة (مستدرك نهج البلاغة) ج4 ص117 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص59 والغدير ج2 ص130 وج10 ص153.

(2) الغدير للأميني ج2 ص130.

(3) البيان والتبيين ج2 ص206 والغدير ج2 ص168 عنه، وعن العقد الفريد ج3 ص204 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص247 وبحار الأنوار ج33 ص232.

عمرو، وما وصفه به عارفوه.

ونذكر على سبيل المثال لا الحصر:

1 ـ قول عبد الله بن أبي سفيان، بن الحارث، بن عبد المطلب الهاشمي في مجلس معاوية: «أنت الخوار، الوغد، الزنيم».

وقال: «فأنت أهل السفه، والطيش، والدناءة في قريش، لا بشرف في الجاهلية شهر، ولا بقديم في الإسلام ذكر إلخ..»(1).

2 ـ وقال له عبد الله بن جعفر: «..فليت شعري بأي قدر تتعرض للرجال، وبأي حسب تعتدُّ به تبارز عند النضال. أبنفسك؟! وأنت الوغد اللئيم، والنكد الذميم، والوضيع الزنيم، أم بمن تنتمي إليهم؟! وهم أهل السفه والطيش، والدناءة في قريش»(2).

3 ـ وقال له أبو الأسود في مجلس معاوية: «إن امرأً لم يعرف إلا بسهم أجيل عليه، فجال.. لحقيق أن يكون كليل اللسان، ضعيف الجنان، مستشعراً للإستكانة، مقارناً للذل والمهانة، غير ولوج بين الرجال، ولا ناظر في تسطير المقال. إن قالت الرجال أصغى، وإن قامت الكرام أقعى. متعيص لدينه، لعظيم دَيْنِهِ، غير ناظر في أبهة

(1) تاريخ مدينة دمشق ج9 ص77 و (ط دار الفكر) ج29 ص74 ومختصر تاريخ دمشق ج12 ص78 والغدير ج2 ص125.

(2) المحاسن والأضداد ص87 والمحاسن والمساوئ ص90 و (ط أخرى) ج1 ص143 و 144 والغدير ج2 ص139 .

الكرام، ولا منازع لهم..»[1].

عمرو الأبلج!!:

وأما أن عمرواً هو الأبلج، الواضح، فلا حقيقة له، فهو ليس واضح النسب، ولا واضح الحسب. بل هو متهم ومظلم فيهما معاً..

والكلمات التي ذكرناها في هذا الفصل تكفي لبيان ذلك، كما أن ما لم نذكره ليس بأقل منه في الدلالة على هذا الأمر، إن لم نقل: إنه أكثر صراحة، وأشد وضوحاً فيه..

عمرو غير مرضي، ولا مقبول:

أما الزعم بأنه الشام إلى أرض عدن يرضون عمرواً، فهو أيضاً من الإدعاءات الباطلة، لأن الرضا به إن كان مع الجهل بحقيقته، وبتاريخه، وعلى سبيل الإكراه والفرض، فهو ليس برضا على الحقيقة، بل هو ضعف عن مواجهة فرض القرار بالغلبة والظلم والجور..

وإن كان ذلك الرضا باختيارهم، وكان مع العلم بحاله، وطبائعه، فهو جهل وغباء، وسوء تقدير. وغفلة عما يراد بهم.. ولا يعتد بأمثال هؤلاء، ولا ينظر إليهم.

(1) تاريخ مدينة دمشق ج8 ص606 و (ط دار الفكر) ج25 ص178 ومختصر تاريخ دمشق ج11 ص221 والغدير ج2 ص147.

لا أرى أبا حسن!!:

وقد ذكرت الرواية الأولى والخامسة: أن عمرو بن العاص كان يرتجز، **ويقول:**

أضـربـكـم ولا أرى أبا حسن!! ....

فهو يصور نفسه، وكأنه يدور بين تلك الجموع المحتشدة، يستعرض الكتائب والأفواج من جيش علي «عليه السلام»، ويسأل الغادي والرائح، والقريب والبعيد عنه، عله يظفر به!!

وكأنه يريد بكلامه هذا: أن يوهم الناس أنه «عليه السلام» غير موصوف، ولا معروف، أو أنه قد أخفى نفسه بين تلك الجموع خوفاً من أن يلمحه عمرو بن العاص بطرف عينه، أو يدله أحد عليه، أو يشير من طرف خفي إليه.. مع أن عمرواً يعرف مكان أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولو طلبه حقاً لوجده.. وما أدق تعابير أمير المؤمنين «عليه السلام» في التعبير عن حال عمرو في تصرفه هذا..

فقد أشار «عليه السلام» إلى الأمور التالية:

1 ـ أن عمرواً كان ـ بكل تأكيد ـ عالماً بمكان أمير المؤمنين «عليه السلام».

2 ـ إنه تعمد أن يحيد عنه.. ويذهب عنه بعيداً..

3 ـ إنه «عليه السلام» يقسم على هذين الأمرين بالله سبحانه، ويؤكد عليهما..

4 - إنه «عليه السلام» قد وصف عمرواً: بأنه عدي نفسه، لأنه بتصرفه هذا إنما يجلب الضرر لنفسه..

5 - إنه يشبهه بامرأة ترى الثوب والوهي فيه بعينيها الصحيحتين، ولكنها تتعمد أن ترقع الموضع الصحيح منه، وتترك موضع الوهي..

6 - إنه «عليه السلام» قد طلب من الناس أن يروه مكانه، لكي يتولى هو «عليه السلام» معالجة هذا التصرف منه بما يظهر زيف كلامه، ويحبط مكره المفضوح هذا..

لأبارزن علياً ×:

وتقدم في الحديث رقم [2]: أن ابن العاص ـ حسب رواية المنقري ـ حين سمع شعر الحارث الجشمي تعهد بأن يبارز علياً «عليه السلام» ولو مات ألف موتة.

لكن رواية ابن قتيبة، تقول: إنه تعهد بذلك لمعاوية الذي اتهمه في إخلاصه ونصيحته له، فأيهما هو الصحيح.. إلا أن يكون قد تعهد بذلك لأحدهما، ثم كرَّر تعهده للآخر، حين حضرت المناسبة، واقتضى الأمر ذلك..

والحقيقة هي: أن عمرواً كان رجلاً مكثاراً مشاغباً، وهو الذي أوقع نفسه في هذه الورطة، فإن الحارث الجشمي قد وضع إصبعه على الجرح المؤلم، فإنه لا شيء يؤلم الرجل الذي يكثر ذكر الحرب. وهو جبان، أكثر من أن تواجهه بها..

لأنه إنما يريد بذكرها التعويض عن النقص الذي يشعر به من خلال جبنه، لا سيما وأنه يريد أن يكسب الإمتيازات بهذه التبجحات، ومنها ولاية مصر.

فإذا واجهته بما يتبجح به، ويدعي أنه متقدم فيه.. فإنه سوف يحرج ويضطر لمواجهة الخطر.. ولذلك اضطر عمرو لأن يقسم بالله على أنه سيبارز علياً «عليه السلام» ولو مات ألف موتة.. لا سيما وأن عمرواً أصبح يخشى على فوات ملك مصر من يده..

فبادر إلى القسم، لأجل حفظ هذه الإمتيازات، لا لأجل إثبات بطولته..

لماذا أعرض علي ×؟!:

وقد عرفنا: أن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يكن ينظر إلى العورات تنزهاً وتكرماً، لأنه كان مناناً كريماً، ولأنه كان ورعاً، وكان سيصرف وجهه عنها، حتى لو كان الذي سيفلت من بين يديه أعدى أعدائه.

ولكن المغرضين والمبطلين جعلوا السبب في إعراض علي «عليه السلام» عن عمرو بن العاص حين تلقاه عمرو بسوأته: أنه ذكره بالرحم، فرجع عنه..

فأولاً: ليت شعري! ما الربط بين سوأة عمرو، وبين تذكر الرحم؟! ولماذا لم يتذكر الرحم حين رأى وجهه، أو يده، أو رجله، أو صدره، أو قفاه، أو حين سمع صوته، أو ما إلى ذلك؟!

ثانياً: هل المطلوب بهذا الكلام تصحيح نسب عمرو بن العاص، بشهادة أمير المؤمنين «عليه السلام» له بأن له رحماً به، وبقرابته منه؟!

ثالثاً: كيف نوفق بين هذا وبين ما تقدم من أن عمرواً ـ كما قال ابن عباس ـ: قد دخل في قريش، وليس منها، وأنه لا في بني هاشم رحله، ولا في بني أمية راحلته؟!

ثم بين هذا القول، وقول أروى بنت الحارث: إنه أشبه بأولئك الأعبد الذين كانت تكون أمه معهم؟!

وقول الإمام الحسن «عليه السلام»: إنه أمر مشترك، وقد وضعته أمه مجهولاً من عهر وسفاح..

رابعاً: قد ورد في الرواية المتقدمة برقم [5] عن ابن أعثم: أن معاوية قد أنكر أن يكون لعلي «عليه السلام» قرابة بعمرو بن العاص. فقد قال عمرو معتذراً عما جرى له: هو ابن عمي، فقد عفا وأحسن.

فقال معاوية: أبا عبد الله، هل تعلم أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قال لعلي «عليه السلام»: أنا وأنت من طينة واحدة إلى آدم؟!

فقال عمرو: قد كان ذلك.

قال معاوية: فكيف يكون ذلك ابن عمك، وأبوه سيد من بني هاشم. وأبوك من قد علمت؟!

قال عمرو: ليس هذا مزاح. هذا أشد من ضرب السيف إلخ..

فترى أن عمرواً لم يستطع أن يرد كلام معاوية في طعنه في نسبه، وفي إنكاره لقرابته من علي «عليه السلام»، ومن النبي «صلى الله عليه وآله»..

ولو وجد جواباً لبادر إلى مواجهة معاوية به، فإنه لم يكن يحتشم منه في مثل هذا الأمر، وقد ذكرت النصوص أنه قد وجَّه إلى معاوية كلمات لاذعة في العديد من المواقف، فراجع..

استدراج العدو:

وتقدم أن أمير المؤمنين «عليه السلام» ـ كما ذكرت الرواية المتقدمة برقم [5] ـ قد استدرج عمرو بن العاص حتى أخرجه من صفوف أهل الشام. فقد تظاهر «عليه السلام» بأنه قد ولى عنه مع احتفاظه بدرجة من القرب منه، تجعله يطمع بالوصول إليه، فيبادر عمرو إلى ذلك، فيتباعد «عليه السلام» قليلاً، فيواصل اتباعه، وهكذا..

وإنما أراد أن يخرجه من صفوف أهل الشام، لكي يرى جميع من في المعسكرين ما يجري له معه، ولا ينحصر الأمر بجماعة قليلة.. يكونون من أنصاره ومحبيه، ومن الذين يتسترون عليه. كما أنه يريد أن يتمكن من الإنفراد به، ولا يصطدم بسائر من يحيطون به، والذين قد يجعلون من أنفسهم موانع وعقبات، وخطوط دفاع عنه.

كما أن وجوده في ذلك المحيط يهيء لعمرو الفرصة للأنسياب والإختفاء بين تلك الجموع.. والإنفلات من يده «عليه السلام».

إذن.. فلا مانع من التظاهر بالخوف، أو الضعف، لاستدراج بعض قوات العدو، أو بعض قياداته إلى الخروج من مواقعها المحصنة، ليمكن الإنقضاض عليها، وتسديد الضربة القاضية لها..

كما أن من المستحسن العمل على استلاب زمام المبادرة من العدو، والعمل على تغيير الواقع الموضوعي، ليمكن التحكم بمسار المعركة، بحيث يكون أهل الحق، هم الذين يفرضون على العدو خياراتهم، ويفرضون عليه مكان المعركة وزمانها، ويتحكمون بظروفها، وشرائطها وحالاتها، حسبما يروق لهم، وتكون في صالحهم.

كما أن من المستحسن إظهار بعض المهارات القتالية، والإعلان ببعض العمليات لكي يراها الناس، ويتناقلوها إذا كان تداول أخبارها مفيداً وسديداً.

أبو حسين وأبو الحسن:

وقد لاحظنا: أنه «عليه السلام» قد أنهى الرجز الذي أنشده في ساحة القتال، بقوله: أبو حسين فاعلمن أبو الحسن.

ولا بد أن يتساءل الناس عن هذين الرجلين، ولا سيما إذا كانوا من أهل الشام، ولا يعرفون الكثير عن أهل البيت «عليهم السلام» بسبب سياسة التعتيم والإضطهاد الإعلامي لأهل البيت «عليهم السلام». فإن ذلك يدعوهم إلى السؤال عن هؤلاء الأشخاص، والتعرف عليهم، وأن يتذكروا أنهما ريحانتا رسول الله «صلى الله

عليه وآله»، وسيدا شباب أهل الجنة. وأنهما إمامان قاما، أو قعدا بنص رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وهذا سيزيد من تفكير الناس في هذا الأمر، والموازنة بين ما يسمعونه ويعرفونه، وبين ما يرونه من ممارسات وسياسات.. وربما ينتهي الأمر بإحراجهم، ثم بإخراجهم من ساحة التحدي. وربما تمادى بهم الأمر إلى ما هو أرضى لله، وأهدى على الخير والصلاح من ذلك..

الفصل الثالث:

حبائل معاوية..

ابن حديج والأشعث بن قيس:

قال ابن أعثم:

ثم دعا معاوية بمعاوية بن حديج الكندي، فقال: إن الأشعث بن قيس رجل من كندة، وهو ابن عمك، وقد أحببت أن تكتب إليه تسأله فيه أن يدفع إلينا قتلة عثمان حتى نقتلهم به، ونقعد في منازلنا، فقد والله أهلكتنا هذه الحروب.

قال: فكتب معاوية بن حديج إلى الأشعث بن قيس: أما بعد فإنه لن (لم) يدخل في الإسلام من ملوك الجاهلية غيرك وغير ذي الكلاع، فأما أنت فنزلت العراق، فكنت سيد أهلها. و أما ذو الكلاع فنزل الشام فساد أهلها، ثم وقع هذا البلاء، وأخذت أنت علياً «عليه السلام»، وأخذ ذو الكلاع معاوية، فكان معه إلى أن وافاه أجله.

والله ما أنت بالزاري على عثمان، ولا بالراضي عن علي «عليه السلام»، وإننا لا نسألك أن تأخذ الشام بالعراق، ولا معاوية بعلي «عليه السلام»، لكنا نسألك أن تسأل علياً «عليه السلام» أن يدفع إلينا

قتلة عثمان، أو يحدث الله بعد ذلك أمراً.

قال: ثم كتب إليه بهذه الأبيات:

إنــما الشــام كالعراق ولكن دين أهل العراق غير الشام
فلــهـم دينهم وحـــب علي ولنــا ديننــا وحــب الإمــام
أفـــلا حــاكم يميز ما بين الفـريقين قبـل يـوم الخصـام
قــد تــرى أن بالعراق رجالا بمســمين مــن رؤوس الأنــام
كســعيـد ومـــالك وعدي وشــريح وذاك فــأس اللجــام
وزيــاد وشــيخ كندة حجر وابـن قـيس زحـر فغيـر كهـام
لا يــراؤون بالقبيح ولا يطمع فـــيهم منـــا ذوو الأحـــلام
ثــم فيهـا أخــذ الحلال من الله وقــرع السـحا وتـرك الحـرام
لا يبــاري بـها سواك من الناس فـخـــذها يـــا بـن الملـوك العظام

السحا: أم الرأس.

قال: فكتب إليه الأشعث:

أما بعد.. فقد ذكرتني من نعم الله تعالى علي ما أسأله المزيد، وأنا أذكرك من نعم الله عليك ما تعرف ذلك، وأسألك أهون ما تسألني، أنت المطاع في أهل الشام، فاركب وصر إلى من تخلف عن صاحبي وصاحبك من المهاجرين والأنصار، فاسألهم عن الرجلين، وإن كان علي «عليه السلام» أحق بهذا الأمر من معاوية اعتزلته، وأعنتنا عليه، وإن كان معاوية أحق بهذا الأمر من علي «عليه السلام»

اعتزلته وأعنتكم عليه.

وأما قولكم إني لست بالزاري على عثمان، ولا بالراضي عن علي «عليه السلام»، فما أغناني عن عثمان وأرضاني عن علي «عليه السلام»، وإنما أنا أقاتلك مع إمام هدى قد بايعه المهاجرون والأنصار، وأنت تقاتلني مع رجل استخلفه أهل الشام، ليس لهم نصيب في الخلافة، ولا في الشورى ـ والسلام ـ.

قال: ثم كتب إليه بهذه الأبيات:

ويـا بـن حديج وكنت امرءا مطـاع المقـال عظـيم الحسـب
ويـا بـن حديج وأنت امرؤ وري الزنـاد قـويم السـبب
تـمـت بـكـم كندة في بنيها وكنـدة خيـر ملـوك العـرب
فهـذا المتـوج مـن نسلهم ونعـم الخليفـة ممـن ذهـب
فكـان أبـوه مليكا لـهـم وكـان أبـوك مكـان الـذنب
هي النـار تأكل ما أطعمت إذا أوقـدوها وأنـت الحطـب
دعـوت ابن قيس إلى خطة دعـاك إلـى مثلهـا فـاقترب
فإمـا أجبـت ففيهـا التقى وإمـا أبيـت ففيها العتب

قال: فلما ورد الكتاب على معاوية بن حديج، وفهم شعره غضب، ثم قال لمعاوية: إنه ما عرَّضني لهذا سواك(1).

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص163 ـ 165.

الأشعث وعتبة بن أبي سفيان:

قال ابن أعثم:

قال: فقال عتبة بن أبي سفيان: إن الأشعث بن قيس لا يخدع بالكتب، ولكن أتأذن لي في كلامه شفاهاً؟!(1).

فأذن له.

وقال المنقري:

إن معاوية دعا أخاه عتبة بن أبي سفيان، فقال: الق الأشعث بن قيس، فإنه إن رضي رضيت العامة.

وكان عتبة لا يطاق لسانه، فخرج عتبة، فنادى الأشعث بن قيس، فقال الناس: يا أبا محمد، هذا الرجل يدعوك.

فقال الأشعث: كما يكون الرجل فسلوه من هو. فقال: أنا عتبة بن أبي سفيان.

فقال الأشعث بن قيس: غلام مترف ولا بد من لقائه. [فخرج إليه] فقال: ما عندك يا عتبة؟!

فقال: أيها الرجل، إن معاوية لو كان لاقياً رجلاً غير على «عليه السلام» للقيك، إنك رأس أهل العراق، وسيد أهل اليمن، وقد سلف من عثمان إليك ما سلف من الصهر والعمل، ولست كأصحابك.

---

(1) نفس المصدر السابق.

أما الأشتر، فقتل عثمان. وأما عدي فحرض عليه. وأما سعيد، فقلد علياً «عليه السلام» دينه. وأما شريح، وزحر بن قيس، فلا يعرفان غير الهوى، وإنك حاميت عن أهل العراق تكرَّماً، ثم حاربت أهل الشام حمية، وقد بلغنا والله منك، وبلغت منا ما أردت، وإنَّا لا ندعوك إلى ترك على «عليه السلام» ونصر معاوية، ولكنا ندعوك إلى البقية التي فيها صلاحك وصلاحنا.

فتكلم الأشعث فقال: يا عتبة، أما قولك إن معاوية لا يلقى إلا علياً فإن لقيني والله لما عظم عني ولا صغرت عنه، فإن أحب أن أجمع بينه وبين علي فعلت.

وأما قولك إني رأس أهل العراق وسيد أهل اليمن، فإن الرأس المتبع والسيد المطاع هو علي بن أبي طالب «عليه السلام».

وأما ما سلف من عثمان إلي، فوالله ما زادني صهره شرفاً، ولا عمله عزاً.

وأما عيبك أصحابي، فإن هذا لا يقربك مني، ولا يباعدني عنهم.

وأما محاماتي عن أهل العراق، فمن نزل بيتاً حماه.

وأما البقية، فلستم بأحوج إليها منا، وسنرى رأينا فيها إن شاء الله.

فلما بلغ معاوية كلام الأشعث، قال: «يا عتبة، لا تلقه بعدها، فإن الرجل عظيم عند نفسه، وإن كان قد جنح للسلم».

وشاع في أهل العراق ما قاله عتبة للأشعث، وما ردَّه الأشعث

عليه[1].

ونقول: لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

معاوية البائس اليائس:

وقد أدرك معاوية أن الحرب التي يخوضها ستنتهي إلى الفشل من الناحية العسكرية، فإنه بالرغم من أنه قد جمع من المقاتلين ما قد يزيد على ضعف الذين كانوا مع أمير المؤمنين «عليه السلام»، فإنه لم يزل يرى بأم عينيه كيف تأكل الحرب أصحابه بشره ظاهر، حتى إن عدد قتلاه يقارب ضعف عدد الذين استشهدوا من جيش أمير المؤمنين «عليه السلام».. بالرغم من كل الإمتيازات التي تعطي الأرجحية لجيش على الجيش الآخر..

كما أنه لم يكن لديه ما يضمن له أن لا يقتحم علي «عليه السلام» بجيشه المواقع الحساسة، وتحل به وبسائر قياداته ما يرى أنه كارثة، ويكون الندم على ضياع المطامع، ولات ساعة مندم.

ولم يكن علي «عليه السلام» بعيداً عن التفكير بالقيام بمثل هذا العمل الحاسم، فقد كان الثمن الذي دفعه حتى الآن باهظاً جداً، فقد استشهد من جيشه صفوة كان علي «عليه السلام» يتحسر عليها طيلة حياته، من أمثال عمار بن ياسر، وأبي الهيثم بن التيهان، وهاشم

---

(1) صفين للمنقري ص408 - 410 الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص164 - 166.

المرقال، وعبد الله بن بديل، وخزيمة ذي الشهادتين، وجندب بن زهير، ونظائرهم..

وكان «عليه السلام» قادراً على اقتحام أشد المواقع وأقواها، مهما كانت محصنة بالرجال الأشداء، الأبطال الأقوياء..

وما أكثر ما تعرضت تلك المواقع للإختراق الخطير، والكبير من قبله ومن قبل أصحابه. وليس في كل مرة تسلم جرة معاوية.

فمعاوية إذن بحاجة إلى حفظ نفسه، وبحاجة أيضاً إلى حفظ ما في يده..

الخطة الخبيثة:

والسبيل إلى إبعاد الخطر عن نفسه، هو إيقاف الحرب التي بدأها بكل إصرار.. أما السبيل إلى حفظ ما في يده، والوصول إلى ما يتمناه، فهو إعمال الحيلة..

فبدأ يبذل المحاولات الهادفة إلى تحقيق هذين الأمرين معاً.. ولم يكن علي «عليه السلام» ليرضى بوقف القتال إلا بأحد أمرين:

أولهما: أن يتخلى معاوية عن بغيه، وعن مطامعه، ويخضع للحق..

الثاني: أن يتفرق الناس والقيادات عن أمير المؤمنين «عليه السلام»، ويختلفوا معه. وهذا ما بدأ معاوية السعي إليه بالفعل.

وكان لا يزال لدى أمير المؤمنين «عليه السلام» قيادات ترتعد

فرائص معاوية لمجرد سماع أسمائها، من أمثال الأشتر، وسعيد بن قيس، وعدي بن حاتم، وشريح بن هاني، وزحر بن قيس. وغيرهم.. ومنهم أيضاً الأشعث بن قيس.. وكان معاوية بهم عارفاً.

فاختار منهم الأشعث بن قيس، ليلقي عليه شباكه, فلعله يستطيع اجتذابه إليه، أو يتمكن من الإيقاع بينه وبين علي «عليه السلام». أو يحفزه لإثارة البلابل والقلاقل في محيطه، ولكنه حاول أن يحرك معاوية بن خديج زعيم كندة الشام، ليخاطب زعيم كندة العراق. وهذا مستساغ عند الأشعث وعند الناس، وهو يبعد التهمة عن الأشعث من جهة ويحفظ معاوية لنفسه مظهر العظمة، والأبهة، ولا يفسح المجال لتفسير تصرفه بأنه دليل ضعف، أو خوف ،أو ما إلى ذلك..

رسالة ابن خديج:

وإذا تأملنا فيما جرى بين ابن خديج ومعاوية، وتأملنا أيضاً في رسالة ابن خديج، فسنجد فيها العديد من الأمور اللافتة للنظر، ونذكر من ذلك ما يلي:

1 - ما معنى طلب معاوية من ابن خديجة أن يسلمه الأشعث قتلة عثمان، والأشعث مجرد قائد عند على «عليه السلام».. لا سيما وأنه يقصد بقتلة عثمان الأشتر وجندب بن زهير، وعدي بن حاتم. وأضرابهم؟! ومعاوية إنما يقول ذلك لابن خديج لكي يبلغ الخبر إلى الأشعث، فيكون قد نفخ في منخري الأشعث، وتحبب إليه بهذا التفخيم والتعظيم.

2 - إن في طلب تسليم قتلة عثمان تكريس لدعاوى معاوية وافتراءاته، وتسليم بسلامة نهجه الباطل.

3 - ومما زاد في تفخيم وتعظيم الأشعث، والتحبب إليه الحديث عن مساواته بذي الكلاع في الجاهلية والإسلام، واعتباره سيد أهل العراق. حتى إنه لم ير أحداً فوقه سوى علي «عليه السلام»..

4 - ويلاحظ أيضاً أن هذه المساواة المصطنعة بين الأشعث وذي الكلاع إنما أريد بها التوطئة للمساواة بين علي «عليه السلام» ومعاوية، وإرسال ذلك إرسال المسلمات.

5 - إن طلب تسليم قتلة عثمان، كشرط لانتهاء الحرب، مع العلم المسبق بامتناع ذلك عليه ما هو إلا إثارة للبلابل والقلاقل، والخلافات في صفوف أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام».. وهذا كان أحد أهم أهداف معاوية.

جواب الأشعث:

وقد جاء جواب الأشعث بن قيس لمعاوية بن حديج قوياً ورصيناً، وظاهر الحجة، ولا نظن أن علياً «عليه السلام» كان بعيداً عنه، فإن الأشعث لا يجرؤ على التستر على أمر كهذا، وهو يعلم أنه إن لم يطلع عليه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فستصل أخباره إليه، وربما كانت تلك الأخبار قاصرة عن بيان حقيقة ما جرى، فتوقعه في مأزق هو في غنى عنه..

ثناء عتبة على الأشعث:

وقد لاحظنا: أن عتبة بن أبي سفيان، قد سار على منهاج ابن حديج في مخاطبة الأشعث، والثناء عليه بصورة ظاهرة وعلنية. ولذا وصفه بأنه رأس أهل العراق، وسيد أهل اليمن..

ولكنه خلط ذلك بذم وانتقاص من يكرههم أشد الكره، ويرى الأشعث أنهم منافسوه، وهم الأشتر، وعدي بن حاتم، وسعيد بن قيس، وشريح بن هانئ، وزحر بن قيس.. وأضرابهم.

لقد كان معاوية ومن معه يعرفون نقطة ضعف الأشعث، ويحاولون الوصول إليه، والتأثير عليه بها، ومن خلالها.

والأهم من ذلك: أن عتبة قد حاول أن يدفع بالأشعث إلى ما هو أبهج لنفسه، وأحلى في عينيه بالتلويح له بأنه يكاد يلامس مقام الرئاسة العظمى المتمثلة ـ حسب زعمه ـ بمعاوية نفسه، حيث قال له: «إن معاوية لو كان لاقياً رجلاً غير علي «عليه السلام» للقيك».

ولا شك في أن نفس الأشعث تهش وتهفو إلى هذا المقام، وتحلم بتقلُّد هذا الوسام.. والأشعث، وإن كان قد ردَّ على هذه الإغراءات السفيانية بالتظاهر بالترفع والإباء، ولكنه ختم كلامه بما دل على أنه قد قارب ولان. وجنح إلى السلم، كما صرح به معاوية حسبما تقدم..

حارب تكرماً تارة وحمية أخرى:

وقد ابتدع عتبة حلاً لمعضلة نصرة الأشعث لعلي «عليه السلام»

وحربه لمعاوية، بادعائه أن الأشعث إنما حامى عن العراق.[ولم يشر إلى نصرته لعلي «عليه السلام»..] وحارب أهل الشام حمية [أي ليس عداوة منه لمعاوية وبني أمية]..

وهذا يطمئن الأشعث إلى أن ذنبه سيكون مغفوراً عند معاوية ومن معه، فهم لا يرونه عدواً لهم. بل هم يعرفون أنه ليس ناصراً، لعلي«عليه السلام»!!

دقة الأشعث في أجوبته:

ويلاحظ مدى دقّة وصحّة أجوبة الأشعث لعتبة.. وهذا يدل على أنه كان يعلم بأن كل كلمة يتفوه بها في مقام كهذا ستكون مرصودة من قبل أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولن يسكت «عليه السلام» على أي اختلال، أو وهن في مضمون أية كلمة يطلقها في مثل هذا الموقف الحساس.. لا سيما وأنه كان يعلم أنه لا يزال في قبضته «عليه السلام»، وتحت نظره. ويعلم أيضاً أن لجوءه إلى معاوية سيتسبب بخسارته ولاء قومه، ومحبتهم، وسيثير مشكلة بينه وبينهم، ولن تكون لشخصه قيمة عند معاوية إذا لم يكن قومه معه، يصول بهم ويجول.. ويؤثر بهم على مسار الأمور في كلا الإتجاهين..

ابن العاص.. وابن عباس:

وبعد أن فشلت محاولات معاوية للتأثير على موقف الأشعث من خلال معاوية بن حديج تارة، ثم من خلال عتبة بن أبي سفيان أخرى

ويئس من جهة الأشعث، قال لعمرو بن العاص: إن رأس الناس بعد علی «علیه السلام» هو عبد الله بن عباس، فلو ألقيت إليه كتاباً لعلك ترقِّقه به، فإنه إن قال شيئاً لم يخرج علي منه، وقد أكلتنا الحرب، ولا أرانا نصل [إلى] العراق إلا بهلاك أهل الشام.

قال له عمرو: إن ابن عباس لا يخدع، ولو طمعت فيه [لـ] طمعت في علي.

فقال معاوية: على ذلك، فاكتب إليه.

فكتب إليه عمرو: «أما بعد، فإن الذي نحن وأنتم فيه ليس بأول أمر قاده البلاء، وساقته العافية، وأنت رأس هذا الجمع بعد علی، فانظر فيما بقي، ودع ما مضى، فوالله ما أبقت هذه الحرب لنا ولكم حياة، ولا صبراً.

واعلموا أن الشام لا تملك إلا بهلاك العراق، وأن العراق لا تملك إلا بهلاك الشام، وما خيرنا بعد هلاك أعدادنا منكم، وما خيركم بعد هلاك أعدادكم منا.

ولسنا نقول: ليت الحرب غارت، ولكنا نقول: ليتها لم تكن، وإن فينا من يكره القتال، كما أن فيكم من يكرهه، وإنما هو أمير مطاع، أو مأمور مطيع، أو مؤتمن مشاور، وهو أنت.

وأما الأشتر الغليظ الطبع، القاسي [القلب]، فليس بأهل أن يدعى في الشورى، ولا في خواص أهل النجوى».

وكتب في أسفل الكتاب:

طـــال البلاء ومـــا يرجى له آس   بعد الإله سوى رفق ابن عبـاس

قولا لـه قـول من يرضى بحظوتـه   لا تـــنس حظـــك إن الخاســـر الناســــــي

يا ابن الذي زمزم سقيا الحجيج لـه   أعظم بذلك من فخر على الناس

كـــل لصـــاحبـــه قرن يساوره   أسد العرين أسود بين أخيـاس

لو قيس بينهم في العرب لاعتدلوا   العجـــز بـــالعجز ثـــم الـــرأس بــــــالراس

انظر فـدى لك نفسي قبل قاصمة   للظهر لـيس لهـا راق ولا آسـى

إن العراق وأهل الشام لن يجدوا   طعــم الحيـــاة مـــع المســـتغلق القاســــــي

بســـر وأصحاب بسر والذين هم   داء العراق رجال أهل وسـواس

قـــوم عـراة من الخيرات كلهم   فمـا يسـاوى بـه أصـحابه كاسـي

إني أرى الـخير في سلم الشآم لكم   والله يعلـم، مـا بالسلم مـن بـاس

فيها التقى[1] وأمور لـيـس يجهلـها   إلا الـــجهول ومــــا النــــوكى كأكياس[2]

قال: فلما فرغ من شعره عرضه على معاوية، فقال معاوية: «لا أرى [أرد] كتابك على رقَّة شعرك».

---

(1) في الفتوح لابن أعثم: البقاء.

(2) في الفتوح لابن أعثم: أضاف أبياتاً أخرى، فراجعها.

فلما قرأ ابن عباس الكتاب أتى به علياً «عليه السلام»، فأقرأه شعره فضحك، وقال: «قاتل الله ابن العاص، ما أغراه بك يا ابن العباس أجبه، وليرد عليه شعره الفضل بن العباس، فإنه شاعر».

فكتب ابن عباس إلى عمرو:

«أما بعد، فإني لا أعلم رجلا من العرب أقل حياءً منك، إنه مال بك معاوية إلى الهوى، وبعته دينك بالثمن اليسير، ثم خبطت بالناس في عشوة طمعاً في الملك، فلما لم تر شيئاً أعظمت الدنيا إعظام أهل الذنوب، وأظهرت فيها نزاهة أهل الورع، فإن كنت ترضي الله بذلك، فدع مصر وارجع إلى بيتك [في الفتوح: فارجع إلى أهل بيت نبيك محمد «صلى الله عليه وآله» وسلم].

وهذه الحرب ليس فيها معاوية كعلي «عليه السلام»، ابتدأها على «عليه السلام» بالحق، وانتهى فيها إلى العذر، وبدأها معاوية بالبغي، وانتهى فيها إلى السرف، وليس أهل العراق فيها كأهل الشام، بايع أهل العراق علياً «عليه السلام» وهو خير منهم، وبايع معاوية أهل الشام وهم خير منه.

ولست أنا وأنت فيها بسواء، أردت الله، وأردت أنت مصر. وقد عرفت الشئ الذي باعدك مني، ولا أرى الشيء الذي قربك من معاوية. فإن ترد شراً لا نسبقك به، وإن ترد خيراً لا تسبقنا إليه. [والسلام»].

ثم دعا [أخاه] الفضل بن العباس، فقال له: يا ابن أم، أجب

عمرواً.

فقال الفضل:

يا عمرو حسبك من خدع ووسواس فاذهب فليس لداء الجهل من آسى(1)

إلا تواتر طعن في نحوركم يشجي النفوس ويشفي نخوة الرأس

[بالسمهري وضرب في شواربكم يردى الكماة ويذري قبة الرأس]

هذا الدواء الذي يشفي جماعتكم حتى تطيعوا علياً وابن عباس

أما على فإن الله فضله بفضل ذي شرف عال على الناس

إن تعقلوا الحرب نعقلها مخيسة أو تبعثوها فإنا غير أنكاس

قد كان منا ومنكم في عجاجتها ما لا يرد وكل عرضة الباس

قتلى العراق بقتلى الشام ذاهبة هذا بهذا وما بالحق من باس

لا بارك الله في مصر لقد جلبت شراً وحظك منها حسوة الكاس

يا عمرو إنك عار من مغارمها والراقصات ومن يوم الجزا كاسي

[إن عادت الحرب عدنا فالتمس هرباً في الأرض أو سلما في الأفق يا قاسي]

ثم عرض الشعر والكتاب على علي «عليه السلام»، فقال:

(1) في الفتوح لابن أعثم: فاذهب فما لك في ترك الهدى آس.

[أحسنت] «لا أراه يجيبك بشئ بعدها إن كان يعقل، ولعله يعود فتعود عليه».

فلما انتهى الكتاب إلى عمرو أتى به معاوية، فقال: «أنت دعوتني إلى هذا، ما كان أغناني وإياك عن بني عبد المطلب».

فقال: «إن قلب ابن عباس وقلب على قلب واحد، كلاهما ولد عبد المطلب، وإن كان قد خشن، فلقد لان، وإن كان قد تعظم، أو عظم صاحبه فلقد قارب وجنح إلى السلم».

وإن معاوية كان يكاتب ابن عباس، وكان يجيبه بقول لين، وذلك قبل أن يعظم الحرب، فلما قتل أهل الشام قال معاوية: «إن ابن عباس رجل من قريش، وأنا كاتب إليه في عداوة بني هاشم لنا، وأخوفه عواقب هذه الحرب لعله يكف عنا»(1).

وحسب نص ابن اعثم:

قال: فلما وصل الكتاب والشعر إلى عمرو، أتى به معاوية، فأقرأه إياه، ثم قال: ما كان أغناني وإياك عن بني عبد المطلب.

فقال معاوية: صدقت أبا عبد الله. ولكنك قد علمت ما مر علينا

(1) راجع ما تقدم في: صفين للمنقري ص 410 ـ 414 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص148 ـ 151 وأنساب الأشراف ج3 ص87 و 88 وشرح نهج البلاغة ج8 ص63 و 64 والإمامة والسياسة ج1 ص131 و 132 والدرجات الرفيعة ص110 و 111 وراجع: مناقب آل أبي طالب ج3 ص178.

بالأمس من القتل والهلاك، وأظن علياً «عليه السلام» سيباكرنا الحرب غداً ويعمل على المناجزة، وقد رأيت أن أشغله أنا غداً عن الحرب بكتاب أكتبه إلى ابن عباس، فإن هو أجابني إلى ما أريد فذلك، وإلا كتبت إلى علي «عليه السلام» وتحملت عليه بجميع من في عسكره، فإن أجاب، وإلا صادمته وجعلتها واحدة لي أم علي، فهذا رأيي، وإنما أريد بذلك أن أجم الحرب أياماً، فقد تعلم ما نزل بنا في هذه الأيام، و إن كان عندك رأي غير هذا فهاته.

فقال عمرو: أما أنا فأقول إن رجاءك لا يقوم رجاءه ولست بمثله، وهو رجل يقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على غيره، وهو يريد الفناء، وأنت تريد البقاء، وليس يخاف أهل الشام من علي «عليه السلام» إن ظفر بهم ما تخاف أهل العراق إن ظفرت بهم ، وأظنك تريد مخادعة علي «عليه السلام»، وأين أنت من خديعته.

فقال معاوية: فكيف ذلك؟! ألسنا ببني عبد مناف؟!

قال: فضحك عمرو، ثم قال: بلى لعمري أنت وهو من بني عبد مناف كما تقول, ولكن لهم النبوة من دونك، فإن شئت فاكتب(1).

قال المنقري، وابن أعثم، والنص للأول:

فكتب إليه: أما بعد فإنكم يا معشر بني هاشم لستم إلى أحد أسرع

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص151 و152.

بالمساءة منكم إلى أنصار عثمان بن عفان، حتى إنكم قتلتم طلحة والزبير لطلبهما دمه، واستعظامهما ما نيل منه، فإن يكن ذلك لسلطان بني أمية فقد وليها عدي وتيم، [فلم تنافسوهم] وأظهرتم لهم الطاعة.

وقد وقع من الأمر ما قد ترى، وأكلت هذه الحروب بعضها من بعض حتى استوينا فيها، فما أطمعكم فينا أطمعنا فيكم، وما آيسكم منا آيسنا منكم. وقد رجونا غير الذي كان، وخشينا دون ما وقع، ولستم بملاقينا اليوم بأحد من حد أمس، ولا غداً بأحد من حد اليوم.

وقد قنعنا بما كان في أيدينا من ملك الشام، فاقنعوا بما في أيديكم من ملك العراق.

وأبقوا على قريش، فإنما بقي من رجالها ستة، رجلان بالشام، ورجلان بالعراق، ورجلان بالحجاز. فأما اللذان بالشام، فأنا وعمرو، وأما اللذان بالعراق، فأنت وعلي، وأما اللذان بالحجاز، فسعد وابن عمر.

واثنان من الستة ناصبان لك، واثنان واقفان [فيك]، وأنت رأس هذا الجمع اليوم [بعد ابن عمك].

ولو بايع لك الناس بعد عثمان كنا إليك أسرع منا إلى علي في كلام كثير كتب إليه.

فلما انتهى الكتاب إلى ابن عباس أسخطه، ثم قال: حتى متى يخطب [ابن هند] إلي عقلي، وحتى متى أجمجم على ما في نفسي؟!

فكتب إليه: أما بعد [فقد أتانى كتابك وقرأته]، فأما ما ذكرت من سرعتنا [إليك] بالمساءة في أنصار ابن عفان، وكراهيتنا لسلطان بنى أمية، فلعمري لقد أدركت في عثمان حاجتك حين استنصرك فلم تنصره، حتى صرت إلى ما صرت إليه، وبيني وبينك في ذلك ابن عمك، وأخو عثمان الوليد بن عقبة.

وأما طلحة والزبير [فإنهما أجلبا عليه، وضيقا خناقه، ثم خرجا] ينقضان البيعة ويطلبان الملك، فقاتلناهما على النكث، وقاتلناك على البغى.

وأما قولك إنه لم يبق من قريش غير ستة، فما أكثر رجالها وأحسن بقيتها، [و] قد قاتلك من خيارها من قاتلك، لم يخذلنا إلا من خذلك.

وأما إغراؤك إيانا بعدي وتيم، فأبو بكر وعمر خير من عثمان، كما أن عثمان خير منك، وقد بقى لك منا يوم ينسيك ما قبله، ويخاف ما بعده.

[وعند ابن أعثم:

وأما ذكرك الحرب فقد بقي لك منا ما ينسيك ما كان قبله، وتخاف ما يكون بعده].

وأما قولك: إنه لو بايع الناس لي لاستقامت لي، فقد بايع الناس علياً «عليه السلام»، وهو خير منى فلم يستقيموا له.

[وحسب نص ابن أعثم: فقد بايع الناس علياً «عليه السلام»، وهو أخو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وابن عمه، ووصيه، ووزيره، وهو خير مني، فلم تستقم له «صلى الله عليه وآله»].

وإنما الخلافة لمن كانت له [الشورى] في المشورة.

وما أنت يا معاوية والخلافة، وأنت طليق وابن طليق، [ورأس الأحزاب، وابن آكلة الأكباد] [والخلافة للمهاجرين الأولين، وليس الطلقاء منها في شيء. والسلام].

فلما انتهى الكتاب إلى معاوية، قال: هذا عملي بنفسي.

لا والله لا أكتب إليه كتابا سنة [كاملة].

وقال معاوية في ذلك:

دعوت ابن عباس إلى حد خطة وكان امرأ أهدي إليه رسائلي
فأخلف ظني والحوادث جمة ولم يك فيما قال مني بواصل(1)
وما كان فيما جاء ما يستحقه وما زاد أن أغلى عليه مراجلي
فقل لابن عباس تراك مفرقا بقولك من حولي وأنك آكلي
وقل لابن عباس تراك مخوفا بجهلك حلمي إنني غير غافل
فأبرق وأرعد ما استطعت فإنني إليك بما يشجيك سبط الأنامل
[وصفين داري ما حييت وليس ما تربص من ذاك الوعيد بقاتلي]

---

(1) في الفتوح لابن أعثم: فيما نابني بمواصل.

فلما قرأ ابن عباس الشعر، قال: «لن أشتمك بعدها».

وقال الفضل بن عباس:

ألا يا ابن هند إنني غير غافل وإنك ما تسعى له غير نائل
لأن الذى اجتبت (1) إلى الحرب نابها عليك وألقت بركها بالكلاكل
فأصبح أهل الشام ضربين خيرة وفقعة قاع أو شحيمة آكل
وأيقنت أنا أهل حق وإنما دعوت لأمر كان أبطل باطل
دعوت ابن عباس إلى السلم خدعة وليس لها حتى تدين بقابل
فلا سلم حتى تشجر الخيل بالقنا وتضرب هامات الرجال الأماثل
وآليت: لا أهدى إليه رسالة إلى أن يحول الحول من رأس قابل
أردت به قطع الجواب وإنما رماك فلم يخطئ بنات المقاتل
وقلت له لو بايعوك تبعتهم فهذا علي خير حاف وناعل
وصي رسول الله من دون أهله وفارسه إن قيل هل من منازل
فدونكه إن كنت تبغى مهاجرا أشم كنصل السيف عير حلاحل

فعرض شعره على على «عليه السلام»، فقال: [أنت أشعر العرب، (أو قال):]«أنت أشعر قريش».

فضرب بها الناس إلى معاوية(2).

---

(1) في الفتوح لابن أعثم: أخبت إلى الحرب نارها.

(2) صفين للمنقري ص414 ـ 417 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3

ونقول:

من هو رأس الناس بعد علي ×؟! :

1 - تقدم قول ابن عباس: إن أبا بكر وعمر خير من عثمان. والمراد: أنهم خير منه في معاملة الناس بالرفق، وتلبية رغبات الكثيرين منهم، والتظاهر بالزهد بخلاف عثمان، فقد قسا على الناس حتى ثاروا عليه وقتلوه..

2 - زعم معاوية: أن عبد الله بن عباس هو رأس الناس بعد علي «عليه السلام»، متجاهلاً موقعية الإمامين الحسنين «عليهما السلام»، ولعله كان يتعمد إعطاء أهمية قصوى لشخصيات معينة، ربما لأنه يعرف أنه لا يمكن أن يكون للحسنين «عليهما السلام» أي سياسة أو نهج، أو رأي، أو صوت يخالف، أو يختلف مع سياسة ونهج، ورأي وصوت أمير المؤمنين «عليه السلام»..

فيكون مراده:

أن ابن عباس الشخصية الأكثر أهمية وتأثيراً في خارج دائرة الموافقين والمستسلمين لعلي «عليه السلام» فيما يرى ويقرر، أي أنه يتوقع، أو يأمل بوجود هذا الإختلاف لدى غير الحسنين صلوات الله

ص152 - 154. وراجع: الدرجات الرفيعة ص112 و 113 وشرح نهج البلاغة ج8 ص65 و 66 والإمامة والسياسة ج1 ص133 فما بعدها، والمناقب للخوارزمي ص256 و 257 و 240

عليهما، ولو بصورة جزئية.

فكان يحاول استكشاف الأمر لدى هذا وذاك، وإيقاظ الرغبات التعبيرية لديهم، فعسى ولعل، ولعل وعسى يلوح له في الأفق ما يمكن أن ينطلق منه للعبث والمناورة، وتحريك رياح الأحداث بالإتجاه الذي يريد ويفيد ويستجيب لرغباته، ويتوافق مع سياساته.

3 ـ وقد لفت نظرنا: أن ابن عباس لم يعترض على توصيف عمرو بن العاص له بأنه رأس الناس بعد علي «عليه السلام»!!

فهل لأنه كان يرى نفسه كذلك بالفعل، أو لإنه لم يرد أن يدخل في جدال حول هذا الموضوع، الذي يعرف نواياهم من وراء طرحه، بل أراد أن يحسم مادة النزاع من أصلها..

قد يكون هذا الإحتمال الثاني هو الأقرب والأصوب، لما لم نزل نراه من ابن عباس من تبجيل وتعظيم للإمامين الحسنين «عليهما السلام»، كما أن مواقفه في الإنتصار لهما، والتأكيد على مكانتهما في مجالس معاوية وسواها.. لا تكاد تخفى..

رسالة عمرو بلا مضمون:

والتأمل في رسالة عمرو إلى ابن عباس يبين أن عمرواً لم يقدم أي عرض، أو اقتراح يعرب عن تغير في الموقف، أو يشير إلى أنهم أصبحوا على استعداد للتعامل بشيء من الإنصاف، أو القبول بشيء من الحق.

بل هو يريد أن يحتفظ بباطله كله، وأن يكرسه كواقع قائم، وأن تذهب دماء الشهداء هدراً، وأن تبقى شبهاته وأباطيله، وترَّهاته قائمة على ما هي عليه وبما لها من آثار في التضليل، والتشويه للحقائق، ولا يريد أن يمس شيء منها، ولا أن يتخلى عن شيء.. والمطلوب من علي «عليه السلام» هو فقط أن يوقف الحرب، ويرجع من حيث أتى، وأن يبقى بانتظار جمام معاوية وجيشه، وأن يتوقع معاودتهم لمهاجمته وقتل خيار أصحابه، وقتله، حين يرون في أنفسهم القدرة على ذلك..

إنه يصرح: بأن المطلوب هو أن يدع «عليه السلام» ما مضى، وينظر فيما بقي، لأن الحرب أكلت ما عند معاوية، ولم يعد قادراً على الإستمرار بها.

ثم يتستر على مطلوبه هذا بادعاء أن الحرب قد أكلت ما عند علي «عليه السلام» أيضاً.. مع أن من أكلته الحرب من أهل الشام خسر دنياه وآخرته، أما من أكلته الحرب من أصحاب علي «عليه السلام»، فقد فاز فوزاً عظيماً..

والمطلوب هو: أن يملك أهل الشام العراق دون أن يقتل أهل الشام في الحرب، ثم يتستر على مطلوبه هذا بادِّعاء أن أهل الشام لا يملكون العراق إلا إذا هلك أهل العراق مع أن مطلوب علي «عليه السلام» ليس ملك الشام، وإنما هو إخماد فتنة أهل الفتنة، وتدمير باطل أهل الباطل..

أما مطلوب معاوية، فهو أن يملك العراق والشام، ولو بقيمة إماتة الدين، واستئصال الحق وأهله..

بل إن عمرو بن العاص قد تعدى طوره حين أراد الحصول على جائزة ترضية تضاف إلى سلسلة ما حصل عليه، حيث صب جام غضبه على الأشتر، وكأنه يريد تدميره معنوياً بعد أن عجز عن التخلص منه جسدياً، ليكون هو المكافأة والجائزة، من حيث هو آخر كبش فداء، يفرح به معاوية بعد قتل عمار، وهاشم المرقال، وابن بديل، وابن التيهان، وذي الشهادتين، وكثير آخرين من أبرار هذه الأمة..

الجواب العتيد:

ولذلك جاء جواب ابن عباس له جازماً وحازماً، وهو من محاسن الكتب، وقد سلب من معاوية أية فرصة لمعاودة الكتابة إليه، كما قال أمير المؤمنين «عليه السلام»..

غير أن ما لفت نظرنا: أن ابن أعثم، قد روى هذا الكتاب، وفيه قوله: «فدع مصر، وارجع إلى أهل بيت نبيك «صلى الله عليه وآله»..».

لكن الموجود في صفين للمنقري، هو: «وارجع إلى بيتك».

ولا يبعد أن تكون رواية ابن أعثم هي الصحيحة، فقد تعودنا من شانئي علي «عليه السلام» أمثال هذه التصرفات.

علي × لا يخدع:

تقدم: أن عمرو بن العاص، يقول لمعاوية عن ابن عباس: «إن ابن عباس لا يخدع، ولو طمعت فيه لطمعت في علي «عليه السلام»».

ويقول له: «وأظنك تريد مخادعة علي «عليه السلام»، وأين أنت من خديعته».

وتجد العديد من التصريحات الأخرى التي تشير إلى هذه الحقيقة، التي يحاول بعض المغرضين أن يثير الشبهة حولها.

ولكن الوقائع العملية استطاعت أن تقدم الكثير من الشواهد على بوار تلك الشبهات، وأنه «عليه السلام» ليس فقط لا يُخدع، بل هو قد علَّم الشعب الذي كان يتعامل، أو يعيش معه أن يكون في غاية اليقظة والنباهة.. حتى لم يعد يطيقهم معاوية المعروف بشدة مكره، وعظيم دهائه، بل لقد قدّم «عليه السلام» نماذج من اليقظة والسياسة تصل إلى حد الإعجاز. وقد ألمحنا إلى هذه الحقيقة في بعض فصول هذا الكتاب.

علي × عند أهل الشام:

1 ـ وقد استوقفتنا كلمة عمرو بن العاص لمعاوية: «ليس يخاف أهل الشام من على «عليه السلام» إن ظفر بهم، ما يخاف أهل العراق إن ظفرت بهم ». فسكت معاوية، ولم يعلق على هذا الكلام. الذي يدل

على أن أهل الشام كانوا يعرفون علياً «عليه السلام»، ومنهجه العادل في التعامل مع الناس. كما أن أهل العراق يعرفون معاوية ومنهجه التعاملي الظالم..

ومعرفة أهل العراق بمعاوية ليست أمراً غريباً، فإن معاوية قد حكم أهل الشام ما يقرب من عشرين سنة، وهذا الوقت كان كافياً لظهور سياسات معاوية، وطريقة حياته، وشيوع أخبارها في البلاد، وبين العباد.

ولكن ما يثير الدهشة هو: أن يكون أهل الشام قد عرفوا بعدل علي حتى أمنوا جانبه بالرغم من أنه «عليه السلام» كان يعيش في الحجاز، وكان خارج السلطة، بل كانت السلطة تجهد لإماتة ذكره، وطمس مآثره، حتى أكل الدهر عليه وشرب على حد قوله «عليه السلام»، كما أنه لم يمض له في الحكم سوى مدة وجيزة، قضاها «عليه السلام» في المشاكل والحروب.

فمتى انتشر عدله «عليه السلام» وشاع وذاع بين الناس فضله، حتى بلغ أهل الشام, وصدقوه، ثم تداولوه؟!

ومن أين عرفوا أن سياساته «عليه السلام» تبقى ثابتة لا تتغير؟! ومن أين؟! ومن أين؟!.

2 ـ واللافت هنا: أن معاوية لم يعترض على شيء من قول عمرو بن العاص: «وأظنك تريد مخادعة علي، وأين أنت من خديعته»؟! إلا بكلمة واحدة، وهي قوله: «كيف ذلك، ألسنا بني عبد

مناف»؟!

حيث يبدو: أن معاوية قد خشي من أن يكون عمرو بن العاص واقفاً على حقيقة نسب معاوية، والشكوك التي تدور حوله..

فضحك عمرو! ثم طمأنه إلى أنه يرى أن معاوية من بني عبد مناف أيضاً، ولكنه وجه إليه صفعة أشد إيلاماً حين قال له: «ولكن لهم النبوة دونك»(1). لأن بني أمية الذين اتخذوا سبيل المنافسة مع بني هاشم، قد وجدوا أن بني هاشم يمثلون الطليعة المتميزة في فضائلها الإنسانية والإيمانية، وفي استقامتها على طريق الخير وإيمانها والتزامها الصارم بالقيم الإنسانية، والأخلاقية.. والعمل على ترسيخها وحمايتها، وتنميتها ورعايتها.

وقد هالهم أن يضاف إلى ذلك كله: أن تكون النبوة في بني هاشم، فكان هذا هو جرحهم الذي لا يندمل، والداء الذي لا دواء له، والذنب الذي لا يغفر، والبلاء الذي لا مناص ولا خلاص منه إلا بالحرب الطاحنة التي لا تبقي ولا تذر.

وهكذا كان؛ فقد تآمروا على حياة الرسول، وشنوا عليه الحروب طيلة حياته «صلى الله عليه وآله».. حتى إذا عجزوا عن مناوأته

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص470 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص152 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص122 ونهج السعادة ج4 ص268 وبحار الأنوار ج33 ص104 .

تظاهروا بالإسلام ليكون غطاء لاستسلامهم الظاهري، ليواصلوا كيدهم له في الباطن..

فلما استشهد «صلى الله عليه وآله» ووجد أن بقاء دين محمد إنما هو بأهل بيته، قاموا في وجههم، وأعانوا عليهم كل من ناوأهم، وأحبوا أعداءهم، وعادوا أولياءهم كما عادوهم.

واستمر ذلك عبر السنين والأحقاب، وتواصلت عداواتهم هذه في ضمن سياسات ونهج، تبلورت له معالم ومنطلقات، تنتهي بتحويل عداوته وأحقاده إلى مواقف تستند إلى نظريات، وإلى عقائد محمية بحراب التزوير، ومصانةً بسيوف يسلها وعاظ السلاطين في وجه العلماء المخلصين، بعد أن شحذوها وموَّهوها، وشوهوها بطلاء من الشبهات والأضاليل، والإنحرافات والأباطيل، ومن ورائهم جبال من العصبيات الجاهلية، ومن أطماع أصحاب الأهواء، وعنجهيات لطلاب اللبانات، وأصحاب المصالح، وعبيد الشهوات..

الوصي، والأخ، والوزير:

لا حاجة إلى التذكير بأن عبد الله بن عباس قد كتب لمعاوية: إن علياً «عليه السلام» ـ حسب نص أعثم ـ أخو الرسول، وابن عمه، ووصيه، ووزيره.. وأنه «عليه السلام» خير من ابن عباس..

كما أن الفضل بن عباس قد ذكر أن علياً «عليه السلام»، خير حاف وناعل..

وأنه وصي الرسول، دون سائر أهله.

وأنه فارسه دون منازع..

فلم يعترض معاوية، ولا أي من محبيه ومناصريه، وأنصاره على جميع ذلك.. بالرغم من حرصهم الشديد والأكيد على إنكار ما هو أبسط من هذا، فلولا ظهور عجزهم حتى عن إثارة الشبهة حول هذه الأمور لما سكتوا عن ذلك.

ابن عباس يجيب معاوية:

1 ـ لقد جاء كتاب معاوية إلى ابن عباس ليعبر بصورة صادقة عن نفسية معاوية، وعن أساليبه، وخططه. فهو يعتمد منطق أهل الجاهلية في تحريك العصبيات القبائلية، وإثارة النعرات، وبعث الفتن، ولا يفكر برعاية أحكام الشريعة، ولا يهتم بمصالح العباد..

كما أنه يعتمد منطق التزوير وقلب الحقائق..

وعدا ذلك وسواه، فإنه لا يرى أن من مصلحته أن يقترب حتى من الإشارة إلى أن حل المشكلة يكمن بالرجوع إلى الشريعة، والوقوف عند حدودها، وقبول الحق، لأنه يريد أن يكون الحل بتقاسم المملكة، والحد من طغيان الأطماع، فيقنع هو بالشام، ويقنع علي «عليه السلام» بما في يده من العراق.. لأنه يريد أن يتهم علياً «عليه السلام» بأنه مثله في الطمع والجشع.. وهو كاذب في هذا الإتهام بلا ريب.

2 ـ أما جواب ابن عباس فقد جاء مراعياً للإختصار والإقتصار على ما هو أساسي وحاسم قدر الإمكان.

وهو جواب دقيق وأنيق وعميق في مضامينه، يعيد الأمور إلى نصابها، ويضع النقاط على الحروف.

الخائفون من علي ×:

وذكروا: أنه اجتمع عند معاوية تلك الليلة عتبة بن أبى سفيان، والوليد ابن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر، وابن طلحة الطلحات، فقال عتبة: إن أمرنا وأمر علي «عليه السلام» لعجب، ليس منا إلا موتور محاج.

أما أنا: فقتل جدى، واشترك في دم عمومتي يوم بدر.

وأما أنت يا وليد: فقتل أباك يوم الجمل، وأيتم إخوتك.

وأما أنت يا مروان: فكما قال الأول [وهو امرؤ القيس]:

وأفلتهن علباء جريضاً ... ولو أدركنه صفر الوطاب

قال معاوية: هذا الإقرار فأين الغُيُر؟!

قال مروان: أي غُيُر تريد؟!

قال: أريد أن يشجر بالرماح.

فقال: والله إنك لهازل، ولقد ثقلنا عليك.

فقال الوليد بن عقبة في ذلك:

يقول لنا معاوية بن حرب ... أما فيكم لواتركم طلوب

يشد على أبى حسن علي ... بأسمر لا تهجنه الكعوب

فيهتـــك مـجـمـع اللبات منه ونقــع القــوم[1] مطــرد يثــوب
فقلـــت لـــه: أتلعب يا ابن هند كأنــك وســطنا رجــل غريــب
أتـــأمـــرنـــا بحية بطـن واد إذا نـهشـت فلـيس لهـا طبيـب
ومـــا ضبـــع يـدب ببطن واد أتـــيح لـــه بـــه أســد مهيــب
بأضــعـــف حيـلة منا إذا ما لقينـــــاه وذا منـــــا عجيـــب
دعـــا للقاه في الهيجــاء لاق فأخطــأ نفســه الأجـل القريـب
ســـوى عمـــرو وقته خصيتاه نجـــا ولقلبـــه منهـــا وجيـــب
[وبســــر مثـــله لاقى جهاراً فأخطـأ نفســه الأجـل القريـب]
كـــأن القـــوم لـمـــا عاينوه خـلال النقـع لـيس لهـم قلـوب
لعمـــرو أبـى معاوية بن حرب ومـا ظنـى بملقحـة العيـوب[2]
لقـــد نـــاداه في الهيجـــا علي فأســمعـه ولـكـن لا يجيب

فغضب عمرو، وقال: إن كان الوليد صادقاً، فليلق علياً «عليه السلام»، أو ليقف حيث يسمع صوته.

وقال عمرو:

يـــذكـــرنى الـولـيد دعا علي وبطـن[3] المـرء يملـؤه الوعيـد
متـــى يـــذكـــر مشاهده قريش يطـر مـن خوفـه القلـب الشـديد
فـــأمـــا في اللقاء فـــأين منه معاويـــة بـــن حـــرب والوليـــد

---

(1) في الفتوح: الموت.

(2) في البيت إقواء.

(3) في الفتوح: وصدر.

وعيــرني الــوليــد لقاء ليث إذا مـــا زار هابتـــه الأســـود
لقيـــت ولســـت أجهله علياً وقـد بلـت مـن العلـق الكبـود[1]
فـــأطــعــنـه ويطعنني خلاساً ومـــاذا بعـــد طعنتـــه أريـــد
فـــرمـــهـــا مــنـه يابن أبى معيط وأنــت الفــارس البطـل النجيـد
فـــأقســـم لــو سمعت ندا علي لطـــار القلـــب وانـــتفخ الوريـــد
ولـــو لاقيتـــه شـــقت جيوب عليك ولطِّـمـت فيك الخدود[2]

أما رواية ابن أعثم، فتختلف بعض الشيء عن رواية المنقري، فهو يقول:

وأقبل معاوية على هؤلاء الأربعة الرهط: مروان بن الحكم، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعبد الله بن عامر بن كريز، وطلحة الطلحات، فقال: إن أمرنا وأمر علي «عليه السلام» لعجيب ليس منا إلا موتور، أما أنا فإنه قتل أخي وخالي يوماً، وشارك في قتل جدي.

وأما أنت يا وليد، فإنه قتل أباك بيده صبراً يوم بدر.

وأما أنت يا طلحة، فإنه قتل أخاك يوم أحد، وقتل أباك يوم الجمل، وأيتم أخوالك.

---

(1) في الفتوح: اللبود.

(2) صفين للمنقري ص417 و 418 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص116 - 118 وشجرة طوبى ج2 ص333 و 334 والغدير ج2 ص159 و 160 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص314 - 316.

وأما أنت يا عبد الله بن عامر، فإنه أسر أباك وأخذ مالك.

وأما أنت يا مروان، فإنه قتل ابن عمك عثمان بن عفان.

ثم إنني أراكم قعوداً عنه ما فيكم أحد يغير ولا يأخذه بثأره.

فقال مروان: فما الذي تحب أن نصنع يا معاوية؟!

فقال: أريد والله منكم أن تشجروه بالرماح، فتريحوا العباد والبلاد منه.

فقال مروان: الآن والله قد ثقلنا عليك يا معاوية إذ كنت تأمرنا بالخروج إلى حية الوادي، والأسد العادي.

قال: ثم نهض مروان مغضباً، وأنشأ الوليد بن عقبة في ذلك، يقول:

يقول لنا معاوية بن حرب ..إلى آخر الأبيات المتقدمة

ثم قال: فغضب عمرو من قول الوليد.

ثم قال: والله ما ظننت أن أحداً من الناس يعيّرني بفراري من علي وطعنته إياي.

ثم أقبل على الوليد بن عقبة، فقال: إن كنت صادقاً، فاخرج إلى علي «عليه السلام»، وقف له في موضع يسمع كلامك حتى ترى ما الذي ينزل بك من صولته.

ثم أنشأ عمرو، وجعل يقول:

يـــذكـــرني الـــوليد لقا علي ..الأبيـــــــــــــات[1]

ونقول:

إيضاحات:

علباء: اسم رجل.

الجريض: الذي يأخذ بريقه.

صفر وطابه: قتل.

الغُيُر بضمتين: جمع غيور، وهو ذو الحمية والأنفة.

أهل بيتي أمان لأهل الأرض:

وبعد.. فهذه هي نظرة هؤلاء إلى أمير المؤمنين «عليه السلام»، ولا نلومهم على هذا الخوف منه صلوات الله عليه، بل نقول: يحق لهم أن يخافوا منه، لأنهم هم الذين وضعوا أنفسهم باختيارهم في موقع المعادي لله تعالى ولرسوله، وصاروا مستحقين للقتل، بل يجب قتلهم لكونهم يسعون لطمس دين الله .. ويظلمون ويعتدون على الدين، وأهل الدين..

ولكن ما نود الإشارة إليه هو أن علياً «عليه السلام» حين وتر هؤلاء بقتله آباءهم، وأعمامهم، وأخوالهم، وإخوانهم، ومن يمت إليهم

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص116 - 118.

بصلة، فإنه إنما كان يجري فيهم أحكام الله تعالى، ويدافع عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» وعن المستضعفين، وعن الدين، وأهل الدين.. كما أنه «عليه السلام» كان هو الحامي والمدافع عن كل مستضعف، وعن كل ملتزم بالحق، مطيع لله تعالى ولرسوله..

وفيما عدا ذلك، فإننا لم نجده «عليه السلام» قد آذى أحداً من الناس ولو بكلمة، أو بإشارة، أو بنظرة، بل هو لم يسلب ، بل لم يفكر في أن يسلب نملة جلب شعيرة طيلة حياته.. فضلاً عما هو أكبر وأهم من ذلك..

فعلي والأئمة من ولده «عليهم السلام» أمان لأهل الأرض، وللأرض نفسها، ولكل ما فيها.. فمعهم، وبهم، ومنهم يكون الأمن والسكينة، والسلام والطمأنينة.. وإنما يخاف منه المعتدون، والظالمون، والمفسدون، والمبطلون..

الفصل الرابع:

نهجان في اختيار القادة..

قيادات يرتضيها اليمنيون:

قال ابن أعثم:

«ثم عقد الرايات، فكان يخص بها قريشاً دون غيرهم، مثل عمرو بن العاص».

وقال المنقري:

ثم إن معاوية عقد لرجال من مضر، منهم بسر بن أرطاة، وعبيد الله بن عمر، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، ومحمد وعتبة ابنا أبى سفيان، [ومروان بن الحكم]، [والضحاك بن قيسن وأشباههم من الناس] قصد بذلك إكرامهم ورفع منازلهم، وذلك في الوقفات الأولى من صفين، فغم ذلك رجالاً من أهل اليمن، وأرادوا ألَّا يتأمر عليهم أحد إلَّا منهم، فقام رجل من كندة يقال له عبد الله بن الحارث السكوني، فقال: يا معاوية، إنى قلت شيئاً فاسمعه، وضعه منى على النصيحة.

فقال: هات.

فقال:

معـــاوي أحييــت فينـا الإحن وأحـدثت فـي الشام مـا لـم يكـن
عقـــدت لبســـر وأصحابه(1) ومــا النـاس حولـك إلا الـيمن
فلا تـخــلـــطن بـنـــا غيـرنـا كمـا شيب بالمـاء محض اللـبن
وإلا فــدعـــنـــا عـــلى مـالنا وإنـــا وإنـــا إذا لـــم نهـــن(2)
ســتـعلم إن جاش بحر العراق وأبـــدى نـواجــذه فـــي الفــتن
ونــــادى عـــلي وأصـــحابه ونفســك إذ ذاك عنـــد الـــذقن
بــأنـــا شـــعارك دون الـدثـــار وأنـــا الرمـــاح وأنـــا الجـــنن
وأنـــا الســيوف وأنا الحتوف وأنـــــا الـــــدروع وأنـــــا المجن(3)

فكبا له معاوية [فبكى لها معاوية]، ونظر إلى وجوه أهل اليمن، فقال: أعن رضاكم [يقول ما قال] قال هذا ما قال؟!

فقال القوم: لا مرحباً بما قال. الأمر إليك فاصنع ما أحببت.

قال معاوية: إنما خلطت بكم ثقاتي وثقاتكم، ومن كان لى فهو لكم، ومن كان لكم فهو لى.

---

(1) عند ابن أعثم: لعمرو وأشباهه.

(2) عند ابن أعثم:

وإلا فــدعنـــا علـى حـــالـنـا فـــإنـــا وآبـــائـنـا لم نـهن

(3) وذكر ابن أعثم أبياتاً أخرى هنا، فمن أرادها فليراجعها.

فرضي القوم وسكتوا.

فلما بلغ [أهل العراق، وثب المنذر بن الجارود العبدي]

وعند المنقري:

فلما بلغ أهل الكوفة مقالة عبد الله بن الحارث لمعاوية فيمن عقد له من رؤوس أهل الشام قام [الأعور] الشني إلى علي «عليه السلام» فقال: يا أمير المؤمنين، إنا لا نقول لك كما قال أصحاب أهل الشام لمعاوية، ولكنا نقول:

زاد الله في هداك وسرورك، نظرت بنور الله فقدمت رجالاً، وأخرت رجالاً، فعليك أن تقول، وعلينا أن نفعل، [أنت الأب ونحن البنون]، أنت الإمام، فإن هلكت فهذان من بعدك ـ يعنى حسناً وحسيناً ـ وقد قلت شيئاً فاسمعه.

قال: هات.

فقال:

أبا حسن أنت شمس النهار	**وهذان في الحادثات[1] القمر**
وأنت وهذان حتى الممات	**بمنزلة السمع بعد البصر**
وأنتم أناس لكم سورة	**يقصر عنها أكف البشر**
يخبرنا الناس عن فضلكم	**وفضلكم اليوم فوق الخبر**
عقدت لقوم ذوى نجدة	**من أهل الحياء وأهل الخطر**

(1) عند ابن أعثم: في الداجيات.

مســـاميـــح بالموت عند اللقاء منـــا وإخواننـــا مـــن مضـــر
ومـــن حـــي ذي يـــمـــن جلة يقيمـون فـي الحادثـات الصـعر
فـكـل يســـرك في قـــومـــه ومـــن قـــال لا فبفيـــه الحجـــر
ونـــحن الفـــوارس يـــوم الزبير وطلحـــة إذ قيـــل: أودى غُـــدَر
ربنـــاهـــم قـبـــل نصف النهار إلـى الليـل حتـى قضـينا الـوطر
ولـم يـأخذ الضرب إلا الرؤوس ولـــم يأخـــذ الطعـــن إلا الثغـــر
فـنـــحـــن أولـــئـــك في أمسنا ونـــحـــن كـــذلك فيـمـا غبـر

فلم يبق أحد [في ربيعة] من الناس به طرق، أو له ميسرة إلا أهدى للشنى، أو أتحفه(1).

ونقول:

إيضاحات:

الصعر: إمالة الخد عن النظر إلى الناس تهاوناً من كِبْر.

غبر: بقي. ومضى، فهي من الأضداد.

الطرق ـ بكسر الطاء ـ: القوة والقدرة.

نظام الإمارة والقيادة:

1 - إن أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكذلك رسول الله «صلى

---

(1) صفين للمنقري ص424 - 426 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص89 و 90 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص67 - 69.

الله عليه وآله».. قد أسسا أصلاً أصيلاً في اختيار القيادات، وتأمير الأمراء، وهو قوله «عليه السلام» ـ كما ذكرته النصوص ـ: «ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم، أو من أهل رسول الله «صلى الله عليه وآله»(1).

والمقصود بأهل رسول الله «صلى الله عليه وآله» الأئمة الطاهرون المعصومون، الذين تكون إمارتهم مسؤولية رعاية، وتعليم، وهداية، وأمن، وحماية، وصون، ووقاية، من الأسواء والأدواء، ومن كل تعب وعناء. وحيث يكون الإمام بمثابة الأب الرحيم للأمة، على حد قول رسول الله «صلى الله عليه وآله»: أنا وعلي أبوا هذه الأمة.

ويقول «صلى الله عليه وآله»: «حق علي بن أبي طالب على هذه الأمه حق الوالد على ولده».

وأما الإمام، أو الأمير حين يكون من نفس القوم، فإنه يكون ـ في العادة ـ هو الأعرف بشؤونهم، والواقف على حالاتهم، وهو المعالج الرفيق، والحبيب، والصديق، الذي لا يدّخر وسعاً في خدمتهم، وحل مشكلاتهم، والإنتقال بهم من حسن إلى أحسن..

2 ـ فالقيادة والولاية عند النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة

---

(1) راجع: فتوح البلدان للبلاذري ج1 ص72 والطبقات الكبرى لابن سعد ج1 ص277 ومكاتيب الرسول ج3 ص103.

الطاهرين «عليهم السلام» مسؤولية وخدمة، وتعاون على البر والتقوى، ولذلك لا تجد أي تنافس عليها بين الواعين من أصحابه «عليه السلام»، بل قد تجد من بينهم من يحاول التخلص منها، لأنه يعرف تبعاتها، وما فيها من أخطار ومتاعب، وعقبات ومصاعب، وحساب وعتاب على الهفوات، وعقاب على الإساءات في الدنيا والآخرة.. ولكن الولاية في منطق أهل الدنيا مقام وامتياز، ومكسب ووجاهة، وعنجهية وغرور، وتسلط وتحكم بالناس.. ولا بد من احتكارها وحصرها بالأقوياء والأغنياء، والمترأسين على الناس عن الناس..

ولذا كان معاوية يخص بالقيادة من هم على شاكلته من قريش «قصد بذلك إكرامهم، ورفع منازلهم».

وفي هذه الولايات وبين هذا النوع من القيادات تنافس، وتحاسد، وتباغض، ووشايات، ومؤامرات، واتهامات.. وفيها ظلم وعدوان، وهتك حرمات، وخراب ديار، وفيها استلاب وحرمان، وإيثار واستئثار، ومكائد ومصائد، لا تبقي على ولد، ولا والد، فإن الملك عقيم..

وهذا النموذج هو الذي جسده معاوية في سياساته في اختيار قادة وأمراء جيشه، حيث كان يخص برايات القيادة أناساً على شاكلته من قريش، ويشبهونه في السلوك، والطموحات، والأفكار، والأخلاق، والسياسات والممارسات، التي تغضب الخالق، ولا يرضاها عاقل،

ولا يطيقها عالم، ولا جاهل..

3 ـ ولذلك اعترض رجال من أهل اليمن على استبعاد معاوية لرجالهم من أي موقع قيادي، وقد خاطبه عبد الله بن الحارث السكوني (من كندة) بذلك الشعر القوي الذي تقدم، وفيه يقول:

معاوي أحييت فينا الإحن   وأحدثت في الشام ما لم يكن
عقدت لبسر وأشباهه   وما الناس حولك إلا اليمن
فلا تخلطن بنا غيرنا   كما شيب بالماء محض اللبن

ولكن معاوية لم يتراجع عن قراره.. وزعم لأهل اليمن أنه بولاياته هذه قد خلط ثقاته بثقاتهم.. وادعى أن ما كان له فهو لهم، وكذلك العكس.. أي أنه أرضاهم بادعاءات باطلة، وشعارات زائلة ومبهمة، ولا واقع لها..

4 ـ وقد تجلت صوابية نهج أمير «عليه السلام»، الذي هو نهج الإسلام في موقف الشني «رحمه الله»، وما تبعه من مواقف لأصحابه «عليه السلام» حين سمعوا بما جرى لمعاوية مع أهل اليمن، وأنها انتهت بكلمات معسولة أتحفهم بها معاوية، أبقت الأمر على ما كان عليه..

فقد أشار الشني «رحمه الله» في كلامه، وفي شعره الذي أنشده في حضرته «عليه السلام» إلى أمور عديدة، نذكر منها:

أولاً: ما أشار إليه في كلامه المنثور، وهو الأمور التالية:

1 - إنه ذكر: أن علياً «عليه السلام» على الهدى، وأن هدايته من الله سبحانه.

2 - وذكر: أنه «عليه السلام» ينظر بنور الله.. وما أبعد هذه النظرة عن نظرة القاسطين لقادتهم.

3 - إنه يريد لأمير المؤمنين «عليه السلام» المزيد من السرور. وهذا يشير إلى أن ثمة علاقة ومحبة قلبية خالصة وصادقة.

4 - إنه يقول: إن تصرفاته «عليه السلام» ونصبه وعزله للقادة إنما هو بتسديد من الله تعالى..

5 - إن المقدمات السابقة تنتج: أن عليهم التسليم والرضا بما يختار «عليه السلام»، والثقة بأنه لا يأمرهم إلا بما هو خير وصلاح..

6 - إن طاعتهم له «عليه السلام» تستند إلى مبررات إقناعية، ولا تستند إلى خوفهم منه ورهبتهم له. ولا إلى هيبة السلطان. والهيمنة التي تفرض عادة على الناس بقوة البطش، وبالإستناد إلى الجلاوزة والأعوان.. لأنه «عليه السلام» لا يحكم الناس بهذه الطريقة. بل يحكمهم بمنطق الأبوة الحانية والحكيمة.

7 - وما أروع قوله: «أنت الأب ونحن البنون» وقوله: «أنت الإمام» فهو يطيعه لأنه إمام، لا لأنه سلطان..

ويطيعه لأنه بالنسبة إليه بمثابة الولد، وهو «عليه السلام» بمنزلة الوالد له، يدبره من موقع المحبة والحكمة، والقدرة والمعرفة الصحيحة..

وكأنه يقتبس هذا التعبير من القول المأثور عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»: «أنا وعلي أبوا هذه الأمة»(1)، وقوله «صلى الله عليه

(1) راجع: البرهان (تفسير) ج1 ص369 ومعاني الأخبار 52 و 118 وعيون أخبار الرضا ج2 ص85 و (ط مؤسسة الأعلمي) ج1 ص91 وعلل الشرائع ص127 وكمال الدين ص261 والأمالي للصدوق ص65 و 411 و 755 وبحار الأنوار ج16 ص95 و 364 وج23 ص128 و 259 وج26 ص264 و 342 وج36 ص6 و 9 و 11 و14 و 255 وج38 ص92 و 152 وج39 ص93 وج40 ص45 وج66 ص343 ومستدرك سفينة البحار ج9 ص264 وج10 ص455 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص300 وروضة الواعظين ص322 وخاتمة المستدرك ج5 ص14 والغارات للثقفي ج2 ص717 و 745 وكنز الفوائد ص186 والعمدة لابن البطريق ص345 والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص133 وسعد السعود ص275 والعقد النضيد والدر الفريد ص70 والمحتضر للحلي ص73 والصراط المستقيم ج1 ص242 و 243 وتفسير أبي حمزة الثمالي ص159 ونور الثقلين ج4 ص237 و 238 وكنز الدقائق ج1 ص286 وج2 ص440 ومفردات غريب القرآن ص7 وتفسير الآلوسي ج22 ص31 وبشارة المصطفى ص97 و 254 ونهج الإيمان ص625 و 629 وينابيع المودة ج1 ص370 ومشارق أنوار اليقين ص43 و 289 وغاية المرام ج1 ص177 و 250 وج2 ص179 و 211 وج3 ص70 وج5 ص118 و122 و 299 و301 و 303 وج6 ص66 و 155 و 166 و 167 وج7 ص128 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج4 ص100 و 227 و

وآله»: «حق علي بن أبي طالب على هذه الأمة، كحق الوالد على ولده»(1).

---

366 وج5 ص95 وج7 ص216 وج13 ص77 وج15 ص518 و 519 وج20 ص230 وج22 ص280 و 282 و 346 وج23 ص580 و 621.

(1) راجع: فرائد السمطين ج1 ص397 وأمالي الشيخ الطوسي ج2 ص277 و (ط دار الثقافة) ص45 و 334 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص300 والعمدة لابن البطريق ص280 و 345 والروضة في فضائل أمير المؤمنين ص131 والمناقب للخوارزمي ص219 و 230 و (ط مركز النشر الإسلامي) ص310 ومناقب الإمام علي «عليه السلام» لابن المغازلي ص48 وترجمة الإمام علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ج2 ص271 و 272 وغاية المرام ص544 ولسان الميزان ج4 ص399 وميزان الإعتدال ج3 ص316 والصراط المستقيم ج1 ص242 وكتاب الأربعين للشيرازي ص73 وبحار الأنوار ج36 ص5 و 11 والغدير ج7 ص243 ومستدركات علم رجال الحديث للشاهرودي ج8 ص72 وكتاب المجروحين لابن حبان ج2 ص122 والكامل لابن عدي ج5 ص243 وتاريخ مدينة دمشق ج42 ص307 و 308 ومناقب علي بن أبي طالب «عليه السلام» لابن مردويه الأصفهاني ص180 وفضائل أمير المؤمنين «عليه السلام» لابن عقدة ص77 وبشارة المصطفى ص414 ونهج الإيمان لابن جبر ص629 وكشف اليقين ص300 وينابيع المودة ج1 ص369 و 370 وج2 ص76 و 238 ومعارج اليقين للسبزواري ص53 وغاية المرام ج5 ص296 و

8 - ثم هو يلخص النتيجة الطبيعية لمنطق الإمام والمأموم، والوالد والولد بقوله: «فعليك أن تقول، وعلينا أن نفعل بكل ثقة ورضا وطمأنينة وتسليم».

9 - والأمر الآخر الذي ألمح إليه هو ظهور فضل وعظمة الإمامين الحسنين «عليهما السلام» حتى أصبحا هما الرجلان اللذان يشعر الناس بالحاجة إليهما بعد أبيهما «عليه وعليهما الصلاة والسلام». ويرون فيهما ضمانةً لاستمرار خط الإستقامة على طريق الخير والصلاح والهدى، وهما اللذين تتعلق بهما الآمال، وتسكن إليهما النفوس.

ثانياً: إنه قد ألمح في شعره الذي أنشده في حضرة أمير المؤمنين «عليه السلام» إلى العديد من الأمور، ومنها ما يلي:

1 - إن الناس قد أصبحوا يشعرون بالفضل، وعظمة، وبركات وجود أمير المؤمنين «عليه السلام» فيما بينهم.. وكذلك الحال بالنسبة لولديه الإمامين الحسنين «عليهما السلام».

2 - إنهم يشعرون أن هذا الوجود معطاء وفاعل، يفيض عليهم ولهم وفيهم أنوار الهدايات، وليس وجوداً منعزلاً عنهم، ولا يحيط نفسه بالحجب والموانع التي تجعله بالنسبة إليهم مفعماً بالألغاز

---

298 وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج6 ص488 و 491 و 492 وج17 ص25 و 26 و 27 وج21 ص577 وج23 ص272.

وبالأسرار والإيهامات التي لا تنتهي عند حد.

3 ـ إنه وولداه «عليهم السلام» قد تغلغلوا إلى أعماق النفوس، وصاروا جزءاً من ضمير ووجدان كثير من الناس، ومن قناعاتهم ومرتكزاتهم.. وقد تكونت لهم درجة من الإعزاز والمحبة لديهم.

4 ـ لقد أدرك الكثيرون أيضاً بالرغم من قرب عهدهم بالتعرف عليهم، وقصر المدة التي عاشوها بينهم: أن لهم مقاماً عند الله يقصر عن نيله أكف البشر، فهم أناس غير عاديين.

5 ـ إن المعاينة والمشاهدة لم تكن وحدها مصدر معرفة الناس بهم «عليهم السلام»، بل كانوا يسمعون من الناس الكثير عن مقامهم وفضائلهم.

6 ـ إنهم بعد مشاهدتهم ومعاينتهم لهم «عليهم السلام» قد وجدوا أن ما عاينوه أكبر بكثير مما سمعوه، وأن الكلمات كانت عاجزة عن احتواء فضلهم، وأن الأسماء والقلوب لم تكن تستطيع أن تستوعب ما تسمعه عنهم.

معاوية يهرب من همدان:

قال المنقري:

ولما عبأ معاوية حماة الخيل لهمدان فردت خيله أسف، فخرج بسيفه فحملت عليه فوارس همدان، ففاتها ركضا، وانكسر حماة أهل

الشام ورجعت همدان إلى مكانها(1).

حسد مروان لابن العاص:

وذكر ابن أعثم:

أنه برز فارس من فرسان الشام، يقال له: عامر بن نوزة العامري على فرس له، فهم حجر بن عدي أن يبرز له، فسبقه الأشتر.

قال: فحمل عليه عامر والتقيا للطعان، فطعنه الأشتر طعنة فتق بها درعه ووصل السنان إلى خاصرته، فجدله قتيلاً.

قال: وخرج آخر من أهل الشام، فما نطق بحرف حتى شد عليه الأشتر فقتله، وخرج إليه آخر فقتله، حتى قتل جماعة(2).

قال ابن أعثم والمنقري:

واشتد ذلك على معاوية، فأقبل على مروان بن الحكم، فقال: ويحك يا مروان، إن الأشتر قد غمني [وأقلقنى]، فاخرج بهذه الخيل في كلاع ويحصب، فالقه فقاتل بها.

فقال له مروان: ادع لها عمرا فإنه شعارك دون دثارك.

قال: وأنت نفسي دون وريدي.

---

(1) راجع: صفين للمنقري ص438 و 439 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص98.

(2) راجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص92.

قال: لو كنت كذلك ألحقتنى به في العطاء، أو ألحقته بى في الحرمان، ولكنك أعطيته ما في يديك ومنيته ما في يدى غيرك، فإن غلبت طاب له المقام، وإن غلبت خف عليه الهرب.

فقال معاوية: يغنى الله عنك.

قال: أما [إلى] اليوم فلا.

ودعا معاوية عمرا وأمره بالخروج إلى الأشتر فقال: والله إنى لا أقول لك كما قال لك مروان.

قال: ولم تقوله وقد قدمتك وأخرته، وأدخلتك وأخرجته. [وأعطيتك وحرمته].

قال عمرو: [أما] والله لئن كنت فعلت لقد قدمتنى كافياً، وأدخلتني ناصحاً. [ناصراً].

وقد أكثر القوم عليك في أمر مصر، وإن كان لا يرضيهم إلا أخذها فخذها.

فخرج عمرو في تلك الخيل [في زهاء أربع مائة رجل من أبطال أهل الشام.

قال: ونظرت مذحج إلى عمرو وقد خرج إلى الأشتر في هذه الخيل، فصار إلى الأشتر زهاء مائتي رجل من النخع، وقبائل مذحج]، فلقيه الأشتر أمام الخيل، [وقد علم أنه سيلقاه]، وهو [يرتجز] ويقول:

يـــا لـيـت شعري كيف لي بعمرو ذاك الــذي أوجبــت فيــه نــذري
ذاك الـــذي أطـــلـبـــه بـوتري ذاك الــذي فيــه شـفـاء صــدري
ذاك الـــــذي إن ألـقـــه بعـمـري تـغلي بــــه عنــد اللقاء قدري
أو لا فـــربي عـــــاذري بـعذري

فعرف عمرو أنه الأشتر، وفشل حيله وجبن، واستحيا أن يرجع، فأقبل نحو الصوت وهو يقول:

يـــا لـيــت شعري كيف لي بمالك كـــم كاهـــل جببتـــه وحـــارك
وفـــــارس قـتــلـتـــه وفاتك ونـابـــــل فتكتـــــه وباتـــــك
ومــــقـــدم آب بـــوجه حالك هـــذا وهـــذا عـــرضة المهالك

[ولكن ابن أعثم قدم أرجاز عمرو على أرجاز مالك].

قال: فلما غشيه الأشتر بالرمح زاغ عنه عمرو، فطعنه الأشتر في وجهه فلم يصنع [الرمح] شيئاً، وثقل عمرو فأمسك [عنان فرسه وجعل يده] على وجهه، ورجع راكضا إلى العسكر.

[ويتابع ابن أعثم:

وحملت الخيلان بعضها على بعض، وأفضى الأشتر إلى عمرو ليطعنه، فراوغه عمرو فلم تغن المراوغة شيئاً، فطعنه الأشتر طعنة أراد بها بطنه فوقعت الطعنة في السرج، فكسر القربوص وانقطع الحزام واللبب، وانكسر الرمح في يد الأشتر وسقط عمرو على وجهه، فانهشم أنفه واندقت رباعيته، وجالت الخيل بين الأشتر وبين عمرو، فانفلت عمرو لما به.

فقال له مروان: أبا عبد الله! ما شأنك؟!

فقال عمرو: قد ترى ما أنا فيه.

فقال: لا عليك فإنك قد أخذت مصر بهذا وأشباهه.

قال: فغضب لعمرو غلام من حمير، ثم خرج نحو الأشتر وهو يقول:]

كما ذكره المنقري:

إن يــك عمرو قد علاه الأشتر بأســمر فيــه ســنان أزهــر

فذاك والله لعمــري مـفـخـر يــا عمــرو هيهــات الجنــاب الأخضـــر

يــا عمـرو يكفيك الطعان حمير واليـحصبى بــالطـعـان أمهر

دون اللـــواء اليوم موت أحمر

[فنظر إليه الأشتر فإذا هو غلام حدث، فاستحيى أن يقدم عليه وتنحى]

فنادى إبراهيم ابنه: خذ اللواء، فغلام لغلام.

فتقدم وهو يقول:

يــا أيهـا السـائـل عني لا تـرع أقـدم فـإني مـن عـرانين النخـع

كيــف ترى طعن العراقى الجذع أطيـر فـي يـوم الـوغى ولا أقـع

مــا ســاءكم سر وما ضر نفع أعـــددت ذا اليـــوم لـــهول المطلع

ويحمل على الحميرى، فالتقاه الحميري بلوائه ورمحه، ولم

يبرحا يطعن كل منهما صاحبه حتى سقط الحميري قتيلاً(1).

وقال المنقري:

وغضب القحطانيون على معاوية، فقالوا: تولى علينا من لا يقاتل معنا؟! ولِّ رجلاً منا، وإلا فلا حاجة لنا فيك.

فقال المزعف اليحصبى ـ وكان شاعراً ـ: أيها الأمير، اسمع:

معاوى إما تدعنا لعظيمة   يلبس من نكرائها الغرض بالحقب

إلى آخر الأبيات..(2).

قال ابن أعثم:

وأقبل إلى معاوية رجل من أجلاء أهل الشام حتى وقف بين يديه، فقال: يا معاوية! إنه قتل منا في هذا اليوم سبعمائة رجل من مقاتلة أهل الشام، ولم يقتل من أصحاب علي إلا أقل من ذلك، وأنت الذي تفعل بنا ذلك، لأنك تولي علينا من لا يقاتل معنا، مثل عمرو بن العاص وبسر بن (أبي) أرطاة، وعبد الرحمن بن خالد، وعتبة بن أبي سفيان، و كل واحد من هؤلاء إنما يقاتل ساعة ثم يخرج من الغبار،

(1) صفين للمنقري ص439 ـ 442 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص92 ـ 94.

(2) راجع: صفين للمنقري ص93 و 94 والفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص132.

فإن وليت علينا رجلاً مثله [منَّا. ظ] حتى نقاتل معه فذاك، وإلا فلا حاجة لنا فيك. والسلام.

قال: ثم ولى مغضباً و أنشأ يقول:

معـاوي إمـا تدعنـا لعظيمـة فـنحن لهـا إن لـم نحـام علـى الحقـب
فـول علينا مـن يـحوط ذمارنا مـن الحميـريين الملـوك علـى العـرب
ولا تـأمـرنـا بالتي لا نريدها ولا تجعلنا للهوى موضع الذنب
ولا تغضبنـا والحوادث جمة، عليك فيفشو اليوم في جهرة الغضب
أفي كـل يـوم لا يزال يقودنا إلـى المـوت فجفـاج إذا الحـرب اقتـرب
يحـامي علـينا ساعة ثم يمتري بساقيه خراج الغبار من الكرب
يقـول لـه والموت أهون جرعة علينا من العار المهجن للحسب
علـيك العفا ما هبت الريح إننا سنصبر إن لم يصبر القوم من هـرب
لعمـرو وبسر والجبان ابن خالد وعتبة الفرار في حومة اللهب
على أن عمرو البؤس في القوم مثلهولكـن رمـاه (القـدر) بالشـؤم والعطـب
فليس لـه حـظ سميـن وإنما يعـيش الفتـى بـالحظ والـدلو بالكرب

قال: فدعاه معاوية فترضاه، وقال: يا أخا حمير! فإني لا أولي

عليكم إلا من تحبون بعد هذا اليوم، وأنزل الأمر حيث تريدون(1).

ونقول:

إيضاحات:

الحوارك: الحارك أعلى الكاهل.

العوارك: الحوائض.

موقرة: الممرنة المصلَّبة.

الثغرة: نقرة النحر.

جبته: قطعته.

باتك: قاطع.

الغرْض: حزام الرحل.

الحقب: حبل يشد به الرحل في بطن البعير.

المشاشة ـ واحد مشاش ـ: وهي رؤوس العظام.

فرار معاوية:

إن معاوية كان إمام القاسطين وقائدهم.. ويفترض بالقائد أن يكون القدوة لأتباعه في الشجاعة، وأن لا يفعل ما يعيبه هو على أتباعه، ويطالبهم بعدم فعله، وأعظم شيء يطالب به معاوية أتباعه هو الصمود في ساحة القتال، ولا يرضى منهم بالفرار، ولو أدى ذلك إلى

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص132 و 133.

قتلهم. فما معنى أن يفر هو من وجه الأعداء مرات عديدة؟! ويا ليته يفر من وجه علي «عليه السلام» وحسب، فإنه يفر منه ومن غيره.. وها هو يفر من وجه فوارس من همدان، ففاتها ركضاً، حتى أوجبت ذلك انكسار حمأة أهل الشام.

بل تقدم: أنه كان يتملكه الرعب إلى حد أنه يفقد توازنه، ويضيع رشده.

طمع وحسد.. وأخوة وإيثار:

ولسنا بحاجة إلى شرح موقف مروان المذكور في النص المتقدم، فنحن نعلم: أن الدنيا التي تجمع بين مروان ومعاوية وعمرو، وسواهم هي التي تفرق بينهم.. ويكفي أن نتذكر قول الله تعالى: **(تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى)**[1].

أما المؤمنون، فإن مثلهم في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، وقال تعالى: **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ)**[2]. ولكن غير المؤمنين ليسوا كذلك، لأن كل واحد منهم يريد أن يضحي بغيرة لكي يصل هو إلى مطلوبه.. أما المؤمنون، فإن بعضهم يؤثر أخاه على نفسه، ويفديه بروحه.

---

(1) الآية 14 من سورة الحشر.

(2) الآية 10 من سورة الحجرات.

أفلت عمرو:

وملاحظة روايتي ابن أعثم والمنقري تظهر: أن رواية ابن أعثم كانت أكثر وضوحاً وصراحة في بيان ما جرى لعمرو.. فلماذا حاول الراوي لنصر بن مزاحم المغمغة والإبهام والإيهام في بيان الذل الذي أصاب عمرواً مع الأشتر؟!

وإذا كان هذا هو مصير عمرو في مبارزته لجندي من جنود علي أمير المؤمنين «عليه السلام»، فهل سيقوى على مواجهة أمير المؤمنين نفسه؟! وهل سيتمكن من النجاة من سيفه إلا بكشف سوأته، بل كشف كل ما يقدر على كشفه من سوآت؟!

الأشتر لا يبارز غلاماً:

وتقدم: أن الأشتر قد استحيا من مبارزه ذلك الغلام اليحصبي ـ أو الحميري ـ الذي غضب لعمرو.. ونظن: أن كلمة استحيا اجتهاد من الراوي، فإن الأشتر كان تلميذ علي «عليه السلام»، وقد رأى بأم عينيه أنه «عليه السلام» لم يأنف من مبارزة أحد من أعداء الله في صفين، بالرغم من محاولات الناس صده «عليه السلام» عن مبارزة بعض الحاقدين، وأصروا عليه في ذلك، وتعهدوا له بأن يكفوه أمر بعضهم، فلم يقبل «عليه السلام» باعتبار أن مقارعة الباطل والباغي، واجبة على الكبير والصغير. وسواء جاء هذا الطغيان والبغي من الصغير أو من الكبير..

ويبدو لنا: أن إصراره «عليه السلام» على مبارزة كل من طلب المبارزة إنما هي للتعليم والإرشاد إلى أنه لا مجال للإستحياء من مبارزة أحد..

ويتأكد ذلك: إذا قام احتمال أن يتمكن الصغير الباغي من قتل أقرانه ومبارزيه من المؤمنين؟! فإن إفساح المجال له لمثل هذا الأمر يعد تفريطاً بأرواح أهل الإيمان، استناداً إلى اعتبارات واهية وبلا قيمة، إلا إن كانت هناك اعتبارات أخرى تفرض ذلك، مثل ضرورة حفظ الهيبة، ونحو ذلك.

وكان «رحمه الله» يريد أن يقحم ولده، إبراهيم غمرات الحرب، ويواجه غمراتها بجدية واقتدار، ويريد أن يغني تجربة ولده الحربية، ويكسر حواجز الرهبة لديه، أو لغير ذلك من اعتبارات.

تولي علينا من لا يقاتل معنا:

وتقدم: أن القحطانيين غضبوا على معاوية، لأنه يولي عليهم من لا يقاتل معهم.. وهذا تصديق لما تقدم، من اعتراض أهل اليمن على معاوية، لأنه يوكل أمر القيادة إلى قريش خاصة لكي يكرمهم بها.. ولكنهم سكتوا على مضض حين أصر معاوية على موقفه، وظلوا يراقبون حركة أولئك القادة، فوجدوا أنهم مجرد هياكل فارغة، لا يقدم ولا يؤخر في أمر الحرب، بل هو يشمها شماً، فإذا وجد ريحها انكفأ عنها.. وإنهم يمارسونها على سبيل اللهو والعبث، ولا يصلون نارها بجدية وحزم، بل هم يصدفون عنها ويهربون منها هرب الشباب

المترفين من غبار يصادفهم، أو من عناء يواجههم.

فظهر لهم: أن قيادة هؤلاء قد تؤدي بهم إلى كوارث لا جبران لها.. وربما كانت سبباً في فنائهم.. فإن كل واحد من أولئك القادة إنما يقاتل ساعة، ثم يخرج الغبار.. فما يفعلونه يشبه ما كان يفعله عثمان حين كانوا ينقلون الحجارة لبناء المسجد، حيث كان يتأنف ويتأنق، ويهتم بنفض ثيابه من الغبار الذي كان يلحقه بسبب حركة العاملين..

حتى كان ما كان بينه وبين عمار الذي أطلق نشيده الذي سار ذكره في الناس..

لا يستوي من يعمر المساجدا يدأب فيها قائماً وقاعدا
ومن يرى عن التراب حائداً

فغضب عثمان وتهدد عماراً.. فبلغ ذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فانتصر لعمار، وأطلق كلمته الشهيرة: ما لهم ولعمار، يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار، عمار جلدة ما بين عيني.. إلى أن قال: لا يقتلك أصحابي، وإنما تقتلك الفئة الباغية[1].

---

(1) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج2 ص142 و (ط مكتبة محمد علي صبيح) ج2 ص345 وتاريخ الخميس ج1 ص345 والأعلاق النفيسة، ووفاء الوفاء ج1 ص329 والسيرة الحلبية ج2 ص72 وحياة الإمام الحسين للقرشي ج1 ص365 وحليف مخزوم (عمار بن ياسر) ص81 وراجع: خلاصة عبقات الأنوار ج3 ص40 و 50 وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج2 ص44 وسبل الهدى والرشاد ج3 ص336 وشرح

ما قاله المزعف اليحصبي:

وقد وصف المزعف اليحصبي، وهو من أعوان معاوية الحال وصفاً دقيقاً يظهرلنا أموراً كثيرة نذكر منها:

1 ـ إن من كان يوليهم معاوية القيادة لم يكونوا يهتمون بحفظ حرمات القبائل التي كانوا يتولون قياداتها.

2 ـ إنهم يرون أن الحميريين اليمانيين هم الملوك على جميع العرب، فكيف يمكن التهاون بحفظ حرماتهم وذمارهم؟!

3 ـ إن معاوية كان يفرض عليهم ما لا يريدونه.

4 ـ إنهم بالرغم من كونهم ملوكاً على العرب، فقد كانت سياسة معاوية تقضي بتصغير شأنهم، وجعلهم أذناباً.

5 ـ إن هذه السياسات قد أغضبتهم، وهذا الغضب أخذ بالإتساع والإنتشار.

6 ـ إن القادة الذين كانوا يختارونهم كانوا مجرد ثرثارين يطلقون الكلام والخاوي بلا نظام.

7 ـ إن قصارى جهد أولئك القادة هو أن يحارب ساعة، ثم يسعى

إحقاق الحق (الملحقات) ج8 ص423 عن العقد الفريد (ط الشرقية بمصر) ج2 ص204 وقد ذكره في الغدير ج9 ص21 و 22 و 27 وج10 ص312 عن مصادر كثيرة جداً، لكنه أخذ منه بعض فقراته، فلا بد من مراجعة تلك المصادر الكثيرة لمن أراد المزيد من التحقيق.

للإبتعاد عن غبار المعركة.

8 - إن شيمة أولئك القادة هو قلة الصبر، واللجوء إلى الهرب.. وخصوصاً عمرو بن العاص، وبسر بن أبي أرطأة، وعبد الرحمان بن خالد.

9 - إن عبد الرحمان بن خالد كان جباناً.

10 - إن عتبة بن أبي سفيان كان فراراً من ساحات القتال حين التهاب الحرب.

وثمة أمور أخرى يمكن استخلاصها في هذا المقام لا نرى حاجة للتعرض لها..

غير أننا نقول:

إن هذه الأبيات تعتبر إقراراً بما لم يزل يحاول القاسطون وأتباعهم التستر عليه.. وهي فضيحة حقيقية لأولئك القادة لو كانوا يعقلون أو يخجلون..

ولكن.. إذا لم تستح فاصنع ماشئت..

الوقائع تكره معاوية على الإنصياع:

وقد تقدم: أن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلي «عليه السلام» قد أعلنا لبعض الجماعات في بعض الموارد: ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم أو من أهل بيت رسول الله «صلى الله عليه وآله».. وهذا معاوية قد أجبر التعهد لأهل اليمن بأن لا يولى عليهم إلا رجلاً

منهم، وأن يتخلى عن سياساته العوجاء والعرجاء.. في هذا المورد بالخصوص.

ولكنه كان لا يزال يحارب الشق الآخر من القرار الرباني، وهو حصر التولية بأهل بيت الرسول «صلى الله عليه وآله».. وسيلقى جزاءه.

علي × لا ينصرف حتى يبلغ حاجته:

قال ابن أعثم:

فلما كان من الغد وثب معاوية، فعبَّى أصحابه، وجعل يوصيهم أن يفرغوا مجهودهم في أهل العراق، فأنشأ رجل من أصحابه يقول:

يـا بـن هند وقاك حتفك واق ... قـد مللنـا قتـال أهل العراق

إلى أن قال:

طـال هذا البلاء واحتبس النصـ ... ـر وصارت نفوسنا في التراقي

مـا لنـا اليـوم من قتال علي ... غير طعن الكلى وضرب الرقـاق

شـد هذا الخناق واضطرب الأمـ ... ـر وقـد كنـت قبـل رخـو الخناق

قال: فقال معاوية: يا بن أخي، قد فهمت ما قلت، والذي بقي أكثر. أتظن أن علياً «عليه السلام» ينصرف عنا، أو يبلغ حاجته منا، أو يوردنا حياض الموت؟! اصبر يا بن أخ! فإنك في أجر عظيم، وإن الله

لا يضيع أجر المحسنين(1).

ونقول:

إن هذا الحديث يدلنا على العديد من الأمور، ونذكر منها ما يلي:

1 - تصريح قائل هذا الشعر، بأن أهل الشام قد ملُّوا حرب أهل العراق، لا لأجل طول مدتها، بل لأجل ما فيها من مآس ومكاره لهم، حتى بلغت أرواحهم تراقيهم، ويئس أهل الشام من تحقيق أية نتيجة..

وقد وصف الشاعر طرفاً منها، لا سيما ما يرونه من تضحيات، وإقدام أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»، ورغبتهم بالاستشهاد..

2 - إن معاوية يعترف بأنه يعلم بأن علياً «عليه السلام» لا ينصرف عنهم، إلا إذا استجابوا لما يريد، أو يوردهم حياض الموت..

3 - ولكن معاوية لم يعترف بأن ما يريده على «عليه السلام» هو أن يخضع معاوية للحق، ويرجع إلى أمر الله تعالى..

4 - ولم يعترف أيضاً، بأن معاوية هو الذي أصر على الدخول في الحرب.. ولا يزال..

5 - ولم يعترف كذلك، بأن علياً «عليه السلام» لم يزل يدعوهم إلى التخلي عن الحرب. ولكن معاوية، هو الذي لم يزل يرفض ذلك، لأنه يريد أن يستثمرها في تكريس بغيه وعدوانه على الحق وأهله،

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص56 و 57.

والتسلط على الناس مع علمه بما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» فيه، وفي الشجرة الملعونة.. وغير ذلك..

الفصل

الأصبغ.. وابن أثال..

حتى متى ترجو البقا يا أصبغ؟!:

قال المنقري:

«وحرَّض علي بن أبي طالب أصحابه، فقام إليه الأصبغ بن نباتة [وكان من خيار أصحاب علي «عليه السلام»](1)، فقال:

يا أمير المؤمنين، قدِّمنى في البقية من الناس، فإنك لا تفقد لى اليوم صبراً، ولا نصراً.

أما أهل الشام فقد أصبنا منهم، وأما نحن ففينا بعض البقية، ائذن لى فأتقدم.

فقال علي «عليه السلام»: تقدم باسم الله والبركة.

فتقدم وأخذ رايته، فمضى وهو يقول(2):

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص95 وراجع: صفين للمنقري ص406 وبحار الأنوار ج32 ص515 ومستدرك سفينة البحار ج6 ص166.

(2) صفين للمنقري ص442 و 443 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار

حتـى متـى ترجو البقا يا أصبغ إن الرجـاء بـالقنوط يـدمغ
أمـا تـرى أحـداث دهر تنبغ وهامـة تحـت العجـاج تبلـغ
فـادبـغ هـواك والأديم يدبغ والرفـق فيمـا قـد علمـت أبلـغ
اليـوم شـغل وغداً لا يـفرغ إن سـاغ هـذا فلَذاك أسـوغ

قال: ثم حمل، فلم يزل يقاتل حتى خضب الراية من دماء أهل الشام، وأزال معاوية عن مكانه.

ثم رجع إلى موقفه[1].

وقال المنقري أيضاً:

فرجع الأصبغ وقد خضَّب سيفه دماً ورمحه، وكان شيخاً ناسكاً عابداً، وكان إذا لقى القوم بعضهم بعضاً يغمد سيفه، وكان من ذخائر علي «عليه السلام»، ممن قد بايعه على الموت، وكان من فرسان أهل العراق، وكان علي «عليه السلام» يضنّ به على الحرب والقتال»[2].

ونقول:

إن لموقف الأصبغ هذا دلالات، ولكلماته عبر وعظات يحسن

الأضواء) ج3 ص95 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص82.

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص95 وراجع: صفين للمنقري ص442 و 443.

(2) صفين للمنقري ص442 و 443 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص82.

الإلمام ببعض ذلك بمقدار ما يسمح به المقام..

فلاحظ النقاط التالية:

فريقان غير متشابهين:

قد أظهر النص المتقدم: أن الأصبغ بن نباتة، هو الذي كان يسعى لإقناع أمير المؤمنين «عليه السلام» بالسماح له بما هو قائد لشرطة الخميس بتولي الحرب، وقيادة الهجوم على أهل الشام، بالرغم من أن ذلك يحمل معه أخطاراً يسعى الناس عادة لتحاشيها. ويطلب منه «عليه السلام» أن يحدد له ما يطلبه منه، ثم يأذن له بمباشرة القتال، ويتعهد له بأن يجده عند حسن ظنه..

أما معاوية، فكان يجهد لإقناع أهل الشام بأن يصبروا لأهل العراق، ولو يوماً واحداً.. ليدل بذلك على أنهم غير راغبين في مواصلة القتال.. فضلاً عن أن يتسابقوا لتولي قيادة الهجوم، وتحقيق ما يرغب به من اتخذوه زعيماً لهم!!

النسك والجهاد:

إن النسك والزهد، والعبادة.. لا يعني الإنعزال، وإفساح المجال للفساد ليستشري في العباد، وترك الأشرار والمفسدين يعيثون فساداً في البلاد، فإن هذا زهد المحبين للدنيا والكسالى والجبناء.

بل العبادة الواعية، والنسك الصحيح، هو ذلك الذي يزيد من رهافة الحس، ويصقل النفس ويجلوها، ويطهرها ويزكيها، ويزيل

عنها أدران الأهواء والشهوات، ويزيد من شعورها بلذة طاعة الله، ويزيدها نفوراً وكرهاً للمعاصي وأهلها، ويذكي الشعور بالمسؤولية الإصلاحية، ويدعو إلى الجهاد والتضحية في سبيل الحق، وتأييد أهله، ونصرتهم على أعدائهم، ويجعل الإنسان كتلة من المشاعر الحية المتوقدة والملتهبة، التي لا تريد أن تدع في الأرض فساداً، ولا ظلماً، ولا أثراً للإنحراف..

ولأجل ذلك تجد العبَّاد الأبرار، والنسَّاك الأخيار من أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام» أكثر الناس اندفاعاً وحماساً ضد المبطلين والمفسدين، والعاصين لله تعالى، ولرسوله «صلى الله عليه وآله».

وهم المجاهدون الأشداء، الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم.

وقد استشهد أكثرهم في هذا السبيل..

والأصبغ واحد من هؤلاء، الذين لم يضعفهم ما عاينوه من ويلات الحرب، ولا أخل بتصميمهم حجم الخسائر والكوارث التي حلت بالناس فيها.. بل زادهم ذلك إصراراً على مواصلتها، وتلذذاً ببذل أرواحهم فيها، لأنهم أدركوا: أن الطريق إلى الجنة إذا أصبحت منحصرة في سلوك طريق ذات الشوكة المتمثلة في طاعة الإمام، فإن الجد في جهاد أعدائه وأعداء الله يكون من أفضل القربات، ويصير من أوجب الواجبات، وألذ العبادات، على القاعدة القرآنية التي تقول: **(أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ**

الصَّابِرِينَ)[1].

لماذا تدخل الأصبغ في هذه اللحظة؟!:

وأما لماذا تدخل الأصبغ في هذا الوقت بالذات، مع علمه بأنه من ذخائر علي «عليه السلام»، وكان يضن به على الحرب والقتال.. فلعل السبب فيه: أن الأصبغ كان على رأس شرطة الخميس، هذه الفئة التي بايعت أمير المؤمنين «عليه السلام» على الموت والذبح، وضمن «عليه السلام» لها الجنة. وكانت تضم خيار وكبار، وأبرار ونخبة فرسان أصحابه «عليه السلام».

والظاهر: أن الأصبغ قد رأى أن الوقت قد حان لتدخله مع فرقته لبعث روح جديدة في الحرب.. فاستأذن «رحمه الله» أمير المؤمنين «عليه السلام» في هذه اللحظة بالذات، وضمن له الصبر والنصر، الذي هو تعبير آخر، أو فقل صياغة أخرى لضمان الربح، أو الفتح الذي ورد في بيعة شرطة الخميس له «عليه السلام».

فوافق «عليه السلام» على طلبه انطلاقاً من ذلك، وقد حققت هذه الحركة أهدافها، وأعادت الأمور إلى نصابها، وانتعشت القلوب، ونشطت حركة القتال من جديد..

---

(1) الآية 142 من سورة آل عمران.

مبرِّر فقدان الصبر والنصر:

إن الأصبغ بن نباتة يقول لأمير لأمير المؤمنين «عليه السلام» وهو يحاول إقناعه بأن يأذن له: «إنك لا تفقد لي اليوم صبراً ولا نصراً..» حيث دلّ هذا الوعد على أن الأمور قد بلغت من الصعوبة حداً أصبح من الصعب ضمان صحة مسار المعركة بدون ضمان هذين الأمرين، من قبل القيادات التي يفترض أن تكون في طليعة المهاجمين للعدو..

لأن للصبر حدوداً ينتهي إليها، بحسب حجم الضغط الذي يتعرض له المقاتلون. وكلما زاد الضغط، زاد الإستهلاك من مخزون الطاقة القتالية المدَّخرة، ويبدأ التراخي والتراجع التدريجي..

فإذا طالت مدة التعرض للضغوط، فإن استهلاك الطاقة يصير أكبر وأسرع، وينتهي الأمر بفقدان الصبر، والعجز عن النصر.. لأن النصر قرار وإرادة، وتصميم على استخدام هذا المخزون في نصرة قضية ما، فإذا شعر المقاتل بالضعف، وفقد الثقة بكفاية هذا المخزون، فإن قرار النصر، أو الصبر يصبحان بلا أثر..

فجاء هذا الوعد من الأصبغ ليشير إلى أنه يختزن في داخله، وفي روحيات المجموعة التي هو على رأسها طاقة تحمُّل أكبر مما يُتوقع، أو على الأقل أكبر مما عهدوه وشاهدوه لدى سائر الفرق المقاتلة، وهذا وقت توظيفها والإستفادة منها.

ما أبسط وما أعظم هذا الجواب:

وقد لاحظنا: أن جواب أمير المؤمنين «عليه السلام»، اقتصر على كلمتين حملتا الدلالة على أمرين:

أولهما: قوله: «تقدم على اسم الله».. فهذه الكلمة تعني وصل ما لديه «رحمه الله» من مخزون طاقة صبر ونصر بالمطلق وغير المتناهي، واللا محدود.. فإنه هو مصدر فيض كل قدرة ومنح كل طاقة، فالإتصال به يعطي الضمانة والقدرة على الوفاء بهذا الوعد والعهد على أتم وجه..

الثاني: إنه «عليه السلام» أشار إلى البركة التي تعني النماء والزيادة المتواصلة، التي يمكن تشبيهها بالعلم الذي يزكو على الإنفاق في حين أن المال تنقصه النفقة، لأن المخزون الذي سوف يمد الإنسان بالصبر والنصر سوف يتحول من الكم إلى الكيف..

فالإنفاق منه إنما ينقصه ما دام في دائرة الكم، فإذا أصبح في دائرة الطاقة، وصارت له خصوصية التفاعل والنماء والزيادة، فإن الإنفاق ليس فقط لا ينقصه انطلاقاً من حالة التعويض الذاتي، بل يكون الإنفاق عامل تفاعل أقوى، يجعل فيه قوة تفجيرية تصاعدية متواصلة، تجعله يزيد على مقدارالإنفاق باضعاف كثيرة، وينمو ويكبر، فيكون مباركاً نامياً تماماً كما قال الله تعالى في سورة هل

أتى..(**عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ الله يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً**)(1). فإن شربهم بها يخرجها من حالة الركود، يوجب توالي تفجيرها، كما أكده الله سبحانه بواسطة المفعول المطلق (**تَفْجِيراً**).

ولعله لأجل أن كلمة يشرب قد أشربت معنى الإرتواء، الذي حبا الله سبحانه به عباده الطاهرين.. الأمر الذي جعل هذا العمل المحبوب لله سبباً في تفجر تلك العين بصورة تتناسب مع ما ينشأ عن ذلك الإرتواء من بركات وخيرات، وآثار يحبها الله تعالى لعباده.. فإنها ستكون محض نماء، ومزيداً من البركات والخيرات عليهم، على جميع الكائنات.

وإنما قال: (**يَشْرَبُ بِهَا**)، ولم يقل يشرب منها. ليتحاشى أي إلماح إلى النقص الذي قد توحي به كلمة «من» التي هي للتبعيض. فإنه ينتهي إلى اقتطاع جزء وهو المشروب، ليبقى الجزء الآخر الذي لم يشرب..

كلام الأصبغ دقيق وعميق:

وقد تضمن الرجز الذي قاله الأصبغ «رحمه الله» دلالات وشواهد على رقيّ مستوى الوعي لديه، فقد أشار إلى:

ألف: أن رجاء البقاء في الحياة لا يمكن التعويل عليه، ولا رسم المستقبل بالإستناد إليه، لأن القنوط واليأس من البقاء، لا بد أن يصادر

---

(1) الآية 6 من سورة هل أتى.

ذلك الرجاء، ويدمغه، ويبطله، لأن هذا الرجاء لم يكن أكثر من تخيلات وتمنيات ليس لها أي مبرر..

أما اليأس من البقاء في الدنيا، فكل حركة الواقع تشهد له، وتدل عليه، وتؤكده، وتثبته، وترسخه..

ولأجل ذلك استشهد «رحمه الله» بأحداث الدهر، التي هي بمرأى ومسمع من الناس كل الناس..

ب: إنه «رحمه الله» انطلاقاً من هذه الحقيقة قد حتم على نفسه أن يدجن هواه، ويطوِّعه، ويُخضعه للواقع، فيكون هو الذي يسيطر عليه ويسيره، ويستخدمه في معالجة المصاعب وتذليلها، ويستفيد منه في المواضع التي يكون فيها نافعاً له.. لا أن يجعل قياده بيد هواه، ويستقيل هو، ويقيل عقله من أية مسؤولية، وأية مبادرة يكون له هو الخيار والإختيار فيها..

وهذا هو ما كنّى «رحمه الله» عنه، بقوله:

فـادبـغ هـواك والأديم يدبغ   والـرفـق فيما قد علمت أبلغ

جـ: ثم ألمح «رحمه الله» في البيت الأخير إلى معادلة لا مجال لردِّها، أو النقاش فيها، وهي: أنه إن كان رجاء البقاء يسوِّغ للإنسان العمل من أجل الدنيا.. والحال أن مستند هذا الرجاء هو الوهم، الذي لا يشك في بطلانه، فإن التضحية بالنفس وبالمال، وسهر الليالي، والكدّ المتواصل في سبيل ما لا ريب فيه، مما أثبتت الوقائع أنه آت لا محالة يجب أن يكون عند الإنسان أولى وأصوب، وأن لا يتهاون فيه، لأنه إنما

يتعامل مع أمر واقع قام عليه البرهان الساطع..

ضرورة الهجوم الصاعق:

لقد استطاع الهجوم الصاعق، الذي قام به الأصبغ ومن معه أن يزيل معاوية عن مكانه، وقد كان هذا ضرورياً جداً، لكي لا يظن معاوية ومن معه أن جيش العراق قد فقد الرغبة بالقتال، ولم يعد قادراً على القيام بأمر خطير وحاسم، بسبب ما أصابه من وهن بسبب الحرب، فيظن أن من مصلحته التصعيد في مطالبه، أو التشدّد والإصرار عليها..

فجاء هذا الهجوم الصاعق ليسقط أوهامه، وليبدد أحلامه..

هلم إلى الدنيا! هلم إلى الآخرة!:

قال المنقري عن أصحاب أمير المؤمنين «عليه السلام»:

وكانوا قد ثقلوا عن البراز حين عضَّتهم الحرب.

فقال الأشتر: يا أهل العراق، أما من رجل يشرى نفسه [لله]؟!

فخرج أثال بن حجل، فنادى بين العسكرين: هل من مبارز؟!

فدعا معاوية حجلاً، فقال: دونك الرجل.

وكانا مستبصرين في رأيهما، فبرز كل واحد منهما إلى صاحبه، فبدره الشيخ بطعنة، فطعنه الغلام، وانتمى فإذا هو ابنه، فنزلا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه وبكيا.

فقال له الأب: أي أثال، هلم إلى الدنيا.

فقال له الغلام: يا أبة، هلم إلى الآخرة.

والله يا أبة، لو كان من رأيى الانصراف إلى أهل الشام، لوجب عليك أن يكون من رأيك لي أن تنهانى. وا سوأتاه، فماذا أقول لعلى «عليه السلام» وللمؤمنين الصالحين؟!

كن على ما أنت عليه، وأنا أكون على ما أنا عليه.

وانصرف حجل إلى أهل الشام، وانصرف أثال إلى أهل العراق، فخبر كل واحد منهما أصحابه.

ثم ذكر الشعر الآتي الذي أنشده كل من حجر، وأثال(1).

غير أننا نذكر هنا النص الذي عند ابن أعثم، فإنه يختلف بعض الشيء عن هذا النص، فقد قال:

وبرز رجل من أصحاب معاوية يقال له: حجل بن أثال، بن عامر العبسي، حتى وقف بين الجمعين.

ثم نادى: يا أهل العراق! من يبارز؟!

فما لبث أن خرج إليه ابنه، وكان الابن مع علي «عليه السلام»، والأب مع معاوية، والابن يقال له: أثال.

قال: فخرج إليه وهو لم يعرفه، فتطاعنا بالرماح، فطعنه ابنه طعنة أرداه عن فرسه.

قال: وسقطت البيضة عن رأس الشيخ، فنظر إليه الفتى، فعرفه

---

(1) صفين للمنقري ص443 و 444 وراجع: بحار الأنوار ج32 ص515.

أنه أبوه، فرمى بنفسه عن فرسه، وأكب عليه، وقال: يا أبتي! أظن أنه قد أَهْنَتْكَ طعنتي!

فقال: نعم يا بني! وليس علي منها بأس إن شاء الله، ولكن يا بني! هلم إلى الشام والأموال الكثيرة مع معاوية.

فقال له الابن: هلم إلى الآخرة وجنة الخلد مع علي بن أبي طالب «عليه السلام».

فقال الشيخ: يا بني! هذا ما لا يكون من أبيك أبداً.

قال الفتى: يا أبتي! هذا ما لا يكون من ابنك أبداً. فارجع إلى صاحبك فإني راجع إلى صاحبي.

قال: فرجع كل منهما إلى صاحبه، وعجب أهل العسكرين منهما جميعاً. وضربوا في الأمثال بعد ذلك.

فأنشأ الشيخ يقول(1):

كما عن المنقري:

إن حجل بن عامر وأثالا ... أصبحا يضربان في الأمثال
أقبل الفارس المدجج في النقـ ... ـع أثال يدعو يريد نزالى
دون أهل العراق يخطر كالفحـ ... ـل على ظهر هيكل ذيال
فدعاني له ابن هند وما زا ... ل قليلا في صحبه أمثالى
فتناولته ببادرة الرمـ ... ـح وأهوى بأسمر عسال

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص84.

فـــاطَّعنــا وذاك من حدث الدهر عظـــيم، فتـــى لشـــيخ بجـــال
شـــاجــــــراً بـالقنــاة صدر أبيه وعظـــيم علـــي طعـــن أثـــال
لا أبـــالى حـــين اعتــرضت أثالا وأثـــال كـــذاك لـــيس يبـــالى
فـافـتـرقـنـا على السلامة والنفـ ـــس يقيهـــا مـــؤخر الآجـــال
لا يــرانـــى على الـهـدى وأراه مــن هـداي علـى سـبيل ضـلال
[وكلانا يرجـو الثـــواب إلى الله يقينـــاً بغـيـر قـيـل وقال](1)

فلما انتهى شعره إلى أهل العراق قال أثال ـ وكان مجتهداً مستبصراً ـ:

إن طـــعنى وسط العجاجة حجلا لـم يكـن فـي الـذى نويت عقوقـا
كنت أرجـــو بـه الثواب من اللـ ـــه وكـوني مــع النبـي رفيقـا
لــم أزل أنـصـر العراق على الشا ـــم أرانـــى بفعـل ذاك حقيقـــا
قـــال أهل العراق إذ عظم الخطـ ب ونـــق المبـــارزون نقيقـــا
مــــن فتـى يأخذ الطريق إلى اللـ ـــه فكنـت الـذى أخـذت الطريقـا
حاســـر الرأس لا أريد سوى المو ت أرى كـل مـــا يـــرون دقيقـــا
فإذا فـــارس تقـــحـم في النقـ ـــع خِـدَبّاً مثـل السحوق عتيقـا
فــبداني حـجـل ببـادرة الطعـ ـــن ومـــا كنـت قبلهـا مسـبوقا
فـتــلافيـتـه بـعـاليــة الرمـ ـــح، كلانـــا يطـــاول العيوقـــا
أحـمـــد الله ذا الـجـــلالة والقد ـــرة حمـــدا يزيـــدنى توفيقـــا

---

(1) صفين للمنقري ص443 و 444 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص83 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص84.

لم أنــــل قتـلـه بـبـادرة الطعـ ــــنة منـــى ولـــم أنـــل ثفروقـــا
قلــت للشيخ لست أكفرك الدهـ ــر لطيـف الغـذاء والتفنيقـا(1)
غيــر أنى أخـــاف أن تدخل النا ر فلا تعصنى وكن لـى رفيقا(2)
[فابى الشيــخ أن يكون سعيداً ولقـد كنـــت ناصــحاً وشــفيقاً]
وكذا قـــال لى، فغـــرب تغريـ ـبا وشــــرقت راجعاً تشريقا(3)

ونقول:

إيضاحات:

انتمى: انتسب.

أَهْنَتْه الطعنة: أوقعته في أمر عظيم، أو أمر منكر.

هيكل: مرتفع.

ذيال: طويل الذيل.

بادرة الرمح: طرفه.

العسال: الرمح الذي يهتز ليناً.

البجال: الكبير العظيم.

نق المبارزون: صاحوا كما تصيح الضفادع.

---

(1) في الفتوح: والتنفيقا.

(2) في الفتوح: بتركي الهدى فكن لي رفيقاً.

(3) صفين للمنقري ص443 و 444 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص85 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج8 ص83 و 84.

الخدب: الضخم العظيم.

السحوق: النخلة الطويلة.

العيوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرة الأيمن، يتلو الثريا لا يتقدمها.

التفنيق: التنعيم.

عالية الرمح: أعلاه.

الثفروق: قمع البسرة والتمرة. أي لم أنل منه أي شيء.

الحياء من الإيمان:

إن من المفارقات، بل من العجائب أن يكون الولد هو الذي يدعو أباه إلى الجنة، أو الآخرة، ويدعوه أبوه إلى النار، أو إلى الدنيا.. فإن الوالد هو الذي يختار لولده غير المجرب ما هو أصلح له، وليس العكس.

ولكن الحقيقة هي أن هذا الأب قد انغمس في الدنيا، وطغت عليه معاصيه وآثامه، حتى صار قلبه منكوساً، وتفكيره وفهمه للأمور مقلوباً، يرى الصالح فاسداً، والخير شراً، بل والحق باطلاً.. فإذا دعا ولده إلى الدنيا، فلأنه أصبح يرى أن الدنيا هي الخير، وهي الحق، وهي المصلحة. أما الآخرة.. فيرى أنها بعيدة عنه، بل قد يحسب أنها غير مضمونة، لأنه كذَّب بالأنبياء، ولم يصدِّق بما جاؤوا به. بل ربما جرَّه ضلاله واستكباره، ومعاصيه إلى التكذيب بيوم الدين أيضاً..

فأصبح يرى أن التفريط بالدنيا تفريط بكل شيء.

وهذا على عكس ما قرَّره أصبغ بن نباتة، حسبما تقدم.. فإذا بلغ الأمر بالإنسان المحب للدنيا إلى هذا الحد، فهو غاية الخذلان، ومنتهى الخيبة والخسران..

قال تعالى: **(فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ)**(1).

أما معايير أثال فقد جاءت منسجمة مع الفطرة، ومع الواقع.. ومع الدليل، ومع رؤيته للحق وأنسه به، ومحبته له.

وهذا ما يفسر لنا قوله لأبيه:

«لو كان من رأيي الإنصراف إلى أهل الشام، لوجب عليك أن يكون من رأيك أن تنهاني».

ثم عبَّر عن مدى خجله من إخوانه أن يعرفوا أن الأمر قد بلغ بأبيه أن أصبح يرى الحق باطلاً، والباطل حقاً، على قاعدة: **(وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ)**(2). وعلى قاعدة: **(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا**

---

(1) الآية 15 من سورة الزمر.

(2) الآية 5 من سورة الصف.

يَفْقَهُونَ)[1].

فصار حجل مصداقاً لما أخبر الرسول «صلى الله عليه وآله» بأنه سيكون، حيث قال لأصحابه: «..كيف بكم إذا رأيتم المنكر معروفاً والمعروف منكراً»[2].

وقال حجل في شعره عن ولده:

لا يــــــراني على الـهدى وأراه   مـن هـداي علـى سـبيل ضـلال
وكـــلانا يرجو الثواب[3] إلى الله   يقيـــــــناً بغـير قـيل وقــال

فقال أثال لأبيه: «وا سوأتاه، فماذا أقول لعلي «عليه السلام» وللمؤمنين الصالحين»؟**!**

رواية المنقري هي الأصح:

والشعر الذي أنشده حجل يدل على أن رواية المنقري التي ذكرت أن معاوية هو الذي انتدب حجلاً لمبارزة ولده، وأن ولده كان قد برز أولاً، وطلب من يبارزه من أهل الشام هي الأصح..

---

(1) الآية 3 من سورة المنافقون.

(2) مجمع الزوائد ج7 ص281 ومسند أبي يعلى ج11 ص304 وراجع: وسائل الشيعة (آل البيت) ج11 ص276 و 277 و (الإسلامية) ج15 ص348 عن تفسير القمي ص627 ومستدرك الوسائل ج11 ص372 وبحار الأنوار ج6 ص306 .

(3) لعل الأنسب: من الله.

فقد قال حجل:

فـدعـــاني له ابن هند وما زال قلــــيلاً في صحـــبة أمـثالي

كما أن قوله هذا يدل على أن الحرب كانت قد أكلت الفرسان الأشداء، الذين كانوا مع معاوية، ولم يبق منهم إلا القليل، وكان حجل منهم.

الفصل

امرأة من هنا (أم سنان..
ورجل من هناك (جبلة)..

الأنصاريان الشهيدان:

قال ابن أعثم:

وتقدم خالد وخلدة ابنا أبي خالد الأنصاري، فجعل خالد يرتجز ويقول:

هــذا عــلي والـهـــدى يقوده   مـن خيـر عيـدان قـريش عـوده
لا يســـأم الطعــن ولا يــؤوده   لكـنـــه يــلهبـهــا وقــوده
وكــــل مــــن يُقْرَن به يسوده

قال: وجعل خلدة [أو خالد بن خالد الأنصاري] يرتجز، ويقول:

هـــذا عـــلي والـهدى أمـامــه   هـــذا لِـــوا نبـــينا قـــدَّامه
يــقــحــمــه عند الوغى إقدامه   لا عيـــبه يخشـــى ولا أثامــــه
لا يـكـره الـطـعــن ولا يسامه   مـــــنه غـــداه وبـــه إدامه

ثم حملا، فقاتلا حتى قتلا جميعاً رحمهما الله(1).

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص179 و 180 وراجع: صفين

ونقول:

لا يمكن أن نغض الطرف عن حديث هذين الأنصاريين الشهيدين، الذي يشير رجزهما الآنف الذكر إلى بصيرتهما في دينهما، ومعرفتهما بإمامهما، فهم يرون:

1 ـ إن قائد على «عليه السلام» في أموره ليس هو الهوى، ولا حب الدنيا، ولا عصبيته لعشيرته وقومه، ولا نحو ذلك.. بل قائده الهدى الإلهي، وهذا الهدى هو إمامه، وهو «عليه السلام» تابع له.

2 ـ إن اللواء الذي يرفعه «عليه السلام» هو لواء رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فالدعوة هي الدعوة، والنهج هو النهج، والأهداف هي عينها..

3 ـ إن عنصره ومحتده خير عنصر ومحتد، وبيته بيت الصلاح، والخير والبركات، وليس بيت سوء، وانحراف وضلال..

4 ـ إنه «عليه السلام» مأمون الجانب، لا تخشى غوائله، ولاتخاف بوادره، بريء من العيب، طاهر من الآثام..

5 ـ إنه يسود كل من يقرن به، فلا يقاس به أحد سواه..

6 ـ إنه لا يسأم الطعن والضرب، ولا يرهقه ولا يسقط إرادته وتصميمه طول الحرب، لأنه يسعى وراء هدف إلهي مقدس، لا يقر له قرار إلا ببلوغه. بل يزيده ضرام الحرب إقداماً وإصراراً..

للمنقري ص398.

أبو الأعور رجع جريحاً:

قال ابن أعثم:

وخرج أبو الأعور السلمي نحو أصحاب علي «عليه السلام» وهو يرتجز، ويقول:

اليوم يوم قبله ما قبله إني لحاذي كل حاذ بغله
باسط[1] قبل الحذار رحله ألا ولا أعدو قبولا فعله

قال: فقصده زياد بن كعب بن مرحب الهمذاني، وهو يقول:

يا أيها الشامي رويدا إنني أنصر شيخا غير ذي تلون
ليس ابن هند ما حييت معتني إني من الذين عن تيقن

قال: ثم طعنه الهمذاني طعنة رده إلى معاوية جريحاً.

قال: فصاح معاوية: يا أهل الشام! لا تقصدوا بحربكم غير همذان، فإنهم أعداء عثمان بن عفان.

قال: فسمع ذلك سعيد بن قيس الهمذاني، فجمع بني عمه من همذان وحلفاءهم ومواليهم، ثم حمل وحملوا معه على جمهور أصحاب معاوية، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة[2].

---

(1) لعل الصحيح: وباسط.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص97 و 98.

الأشتر يهاجم عمرواً ومعاوية:

وقال ابن أعثم أيضاً:

ودنا القوم بعضهم من بعض، وتقدم عمرو بن العاص، فجعل يطعن في الخيل، وهو يقول:

أبعد طلحة[1] والزبير تأتلف وبعد عثمان فما لي من خلف

شدوا عليهم أبدا لا ينكشف يوم لهمذان ويوم للصدف

وفي قريش نخوة لا تنحرف إذا مشيت مشية العود القطف

أضربها بالسيف حتى ينصرف ووائل في غمرة الموت القذف

والمرء يغشاه من الموت الأنف ما أشبه اليوم بيوم قد سلف

قال: ثم جعل عمرو يقاتل، وعك تحميه وتقاتل بين يديه.

قال: فإذا الأشتر قد خرج إليه في قريب من ثلاثمائة فارس من فرسان مذحج، فجعل رجل من عك يقول :

ويل لأم مذحج من عك لتتركن أمكم تبكي إلخ..

قال: واشتبك القتال بين الفريقين، وجعل الأشتر يرتجز، ويقول:

لم يبق إلا الصبر والتوكل والأخذ للترس وسيف مصقل

---

(1) لعل الصحيح: طلح، بدون تاء التأنيث.

ثم التمشي في الرعيل الأول مشي الجمال في حياض المنهل

قال: وجعل الأشتر يلاحظ عمرو بن العاص، وقد ظهر بين يدي أصحابه، ويحب أن يراه في ذلك الحرب الشديد، فبينا هو كذلك إذا بعمرو بن العاص، وقد ظهر من بين أصحابه، وهو يقول:

إني إذا ما الحرب نفرت كبر إلخ..

إلى أن قال: ثم حمل الأشتر في خيل مذحج على عمرو بن العاص وأصحابه حملة، فألحقهم بسرادق معاوية، وقد قتل منهم يومئذ [ما يزيد](1) على ثمانين رجلاً، وأفلت الباقون مجروحين لما بهم، وجرح عمرو جراحة منكرة، ودهش معاوية لذلك دهشاً شديداً.

قال : وارتفع العجاج، وجعلت أم سنان المذحجية تحرض قومها على قتال معاوية، وتشتم أهل الشام، وتذكرهم بكل قبيح، ومعاوية يسمع ذلك كله إلى أن جاء الليل، فحجز بين الفريقين، فبات معاوية ليلته وليس عليه شيء أشد من تحريض أم سنان في ذلك اليوم.

أم سنان المذحجية مع معاوية:

قال: فلما كان بعد ذلك بأعوام، وقد صار الأمر إلى معاوية، أقبلت أم سنان من المدينة إلى الشام، واستأذنت على معاوية بالدخول، فأذن لها.

---

(1) أضفنا هذه الكلمة لاقتضاء السياق لها.

فلما دخلت وجلست قال لها معاوية: يا بنت خيثمة! ما الذي أقدمك من المدينة إلى ما قبلنا، وعهدي بك وأنت تشتمينا، وتحرِّضين علينا عدونا؟!

فقالت أم سنان: إذاً أخبرك يا معاوية؟! إن لبني عبد مناف أخلاقاً طاهرة، وأحساباً وافرة، فهم لا يجهلون بعد حلم، ولا يكافون بعد عفو، وإن أولى الناس بسنن آبائه لأنت يا معاوية.

فقال معاوية: صدقت نحن كذلك، ولكن ألست القائلة يوم صفين هذه الأبيات:

عـذب الرقـاد فمقلتي لا ترقد — والليـل يصـدر بـالهموم ويـورد

يـا آل مذحج لا مقـام فشمروا — إن العـدو لآل أحمـد يقصـد

هـذا علي كـالهـلال تحـفه — وسط السماء من الكواكب أسعد

خيـر الخلائـق وابن عم محمد — وكفـاه فخـرا فـي الأنـام محمـد

مـا زال مذ عرف الحروب مظفراً — والنـصـر فـوق لـوائه قـد يعقد

فقالت أم سنان: قد كان ذلك يا معاوية، ولو كان علي «عليه السلام» حياً لما رأيناك، وإننا لنكون لك من علي «عليه السلام» خلفاً.

فقال رجل من جلساء معاوية: يا أخت بني مذحج! أو لست القائلة هذه الأبيات:

إمـــا هلكت أبا الحسين فلم تزل بـــالحق تعــرف هاديــا مهــديا
فاذهب عليك صلاة ربك ما دعت فــوق الغصــون حمامــةٌ قمريــا
قــد كنت بعد محمد خلفاً لنا(1) أوصــى إليــك بنــا وكنــت وفيــا
فـاليـوم لا خـلـف نـؤمـل بعده هــيــهـــات نـمـدح بعده إنسيا

فقالت أم سنان: صدقت.

يا معاوية! أنا القائلة هذه الأبيات، ولكنه لسان نطق، وقول صدق، ولئن تحقق لنا فيك ما نؤمل، فحظك الأوفر، ووالله يا معاوية! ما أورد بك الشناءة في قلوب المسلمين إلا مثل هذا وأصحابه، فارفض أقاويلهم، وادحض أباطيلهم. فإن كنت فعلت ذلك ازددت من الله قرباً، ومن المؤمنين حباً.

فقال معاوية: وإنك لتقولين ذلك يا أم سنان؟!

فقالت أم سنان: سبحان الله العظيم! يا معاوية! ما مثلي من احتج بالباطل، ولا اعتذر بالكذب، وإنك لتعلم ذلك من رأينا وضمير قلوبنا، وإن علياً «عليه السلام» كان أحب إلينا منك إذ كان حياً، وأنت والله أحب إلينا من غيرك إذ كنت باقياً.

فقال معاوية: أنا أحب ممن؟!

فقالت: من مروان بن الحكم، ومن سعيد بن العاص.

فقال معاوية: وبما استحققت ذلك عندكم؟!

---

(1) وفي بعض المصادر: كما بدلاً عن لما.

فقالت: بحسن عملك، وكرم عفوك.

فقال معاوية: لقد قاربت من القول يا أم سنان! ولست أذكر منك ما كان من تحريضك علي يوم الأشتر وعمرو بن العاص، ولكن ألك حاجة فتقضى؟!

فقالت: نعم، إن مروان بن الحكم قد تَبَنَّك بالمدينة، تَبَنُّك من لا يريد البراح عنها، وهو مع ذلك لا يريد أن يحكم بعدل، ولا يقضي بسنة، ويتبع عثرات المسلمين، ويكشف عورات المؤمنين، وذلك أنه حبس قرابة لي، فجئته وكلمته فيه، فقال كيت وكيت، فوالله ما قمت من بين يديه حتى ألقمته أخشن من الحجر، وألعقته أمر من الصبر، ثم رجعت على نفسي باللائمة، وجئتك لتكون لي ناصراً، وفي أمري ناظراً، وعليه معتدياً، وبأهل الحق مقتدياً.

قال: فضحك معاوية من حسن كلامها.

ثم قال: يا أم سنان! فإننا لا نسألك عن ذنب محبوسك، ولا القيام بحجته، ولكنا نطلقه لك، وإن رغم مروان.

ثم قال معاوية: اكتبوا لها بإطلاق محبوسها، حتى ترجع إلى منزلها.

فقالت: وأنَّى بالرجعة، وقد نفدت نفقتي، وكلَّت راحلتي!

فقال معاوية: هيئوا لها راحلة، وادفعوا إليها ألف درهم.

فقالت: أنت أكرم من أن تعطي ألف درهم.

قال: فضحك معاوية، وأمر لها براحلة بوطائها وزوَّدها، وأمر

لها بعشرة آلاف درهم، فانصرفت أم سنان غانمة(1).

ونقول:

أنصر شيخاً غير ذي تلون:

ويلاحظ: أن الوصف الذي اختاره زياد بن كعب من بين كثير من أوصاف أمير المؤمنين «عليه السلام» أنه «غير ذي تلون».. ربما لأنه أدرك أن الصدق والوضوح، هما أساس الثقة بالقائد، ومن موجبات صفاء وصحة العلاقة به، والطمأنينة إليه، والسكون إلى تدبيره، وسلامة نواياه..

ولولا أن هذا الرجل قد تأثر بعمق بهذه الصفة، وتلمس خيراتها ورأى بركاتها لما جعلها عروس شعره التي يتغنى ويفخر، ويُدِلَّ بها على أعدائه، الذين إذا سمعوها منه سوف يرجعون إلى أنفسهم، وسيتلمسونها في زعيمهم، فلا يجدونها فيه، فيستوحشون لفقدها، وتثور البلابل في صدورهم من أجلها..

ولعل هذا ـ وليس جرح أبي الأعور ـ هو ما أثار حفيظة معاوية، ودعاه لأن يأمر أهل الشام بمهاجمة همدان دون سواها، فدارت الدائرة على المهاجمين، إذ على الباغي تدور الدوائر..

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص64 ـ 68 وراجع: بلاغات النساء لابن طيفور ص63 و 64 وقاموس الرجال للتستري ج12 ص210.

نخوة قريش في رجز عمرو:

وقد حاول عمرو بن العاص أن يستفيد من العصبية العشائرية للتحريض على همدان.. وكأنه يريد أن يصور للناس أن همدان لا تحارب إلا قريشاً، التي تتعصب لها.. مع أن أمير المؤمنين علياً «عليه السلام» هو خيرة قريش، وصفوة الفضل والمكارم فيها، ومعه سائر الأخيار الأبرار منها.. أما من هم مع معاوية من قريش، فهم عامة أعلام الفسق والرذيلة، وجماع المخازي، وأئمة الضلال..

فالحرب ليست بين قريش وهمدان، بل بين الحق والباطل، والهدى والضلال، وأهل الخير، والفضائل، وأهل المخازي والرذائل..

ولكن هذه النخوة لم تنفع، فإن الأشتر استطاع في قلة قليلة من مذحج أن يلحقوا بعمرو بن العاص وبمن معه من عك وسواها هزيمة منكرة، حتى حازوهم إلى سرادق معاوية، وقتلوا منهم ما يزيد على ثمانين رجلاً، وأفلت الباقون مجروحين، وجرح عمرو جراحة منكرة، ودهش معاوية دهشاً شديداً..

حقد معاوية على أم سنان:

إن حقد معاوية على مناوئيه، وحرصه على تسجيل أشعارهم وأقوالهم، ليحاسبهم عليها حين تسنح له الفرصة، لهو دليل على ضعف حجته، وبوار سعيه، وأنه لا يملك منطقاً سليماً قابلاً للتسويق،

فهو يخشى الكلمة الواعية المسؤولة أكثر من خشيته من السيف، وحقده على من فضحه أشد من حقده على من حاربه، فهو يتتبع حتى النساء اللواتي حرضن عليه في حالات الإنفعال، والخصومة، لأنه يرى أنهن قد أسهمن في شرح حاله للناس، وعرفوهم ببغيه وعدوانه، وكشفوا لهم بعض ما كان يسعى بكل جهده لكتمانه..

وهو ما فعلته أم سنان في ذاك اليوم فيما قالته، وقد حفظ ذلك منها، وحقده عليها، رغم مرور كل هذا الوقت الطويل، لأنه أدرك ما له من آثار على سياستة الإعلامية المضادة لأهل البيت «عليه السلام»..

فمثلاً: قد كان فيما قالته أم سنان دلالة واضحة على بطلان الحديث الذي حاولوا تسويقه بعد تحريفه عن أنه «صلى الله عليه وآله» قد أوصى لعلي «عليه السلام» بالخلافة بعده، ولكن في خصوص أهله.

إن هذا التوضيح لا مجال لتكريسه كحقيقة، لأنه المغروس في ذاكرة الأمة، والذي يتردد على لسان الناس، ويفهمونه بشكل عفوي وعلى وجهه الصحيح هو: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال: خليفتي من بعدي، ولم يقل: خليفتي في أهلي.. وهذا ما أكدته أم سنان في قولها:

قــد كنت بـعد محمد خلفاً لنا(1) أوصى إليـك بـنــا وكـنت وفياً

فإن الوصية لعلي بالأمة معناها الخلافة العامة، لا في خصوص الأهل.

وقد أدرك معاوية خطورة هذا الكلام العفوي الصادر عنها، والذي اصبح شعراً سارت به الركبان بعد أن أنشدته وسط ذلك الجيش العظيم، فلم يعد باستطاعة يد الرقابة أن تمتد إليه بالتزييف والتحريف، أو أن تمحوه من الذاكرة..

أخلاق بني عبد مناف:

إن أم سنان قد أحسنت التخلص من فخ المواجهة بالسوء الذي نصبه لها معاوية. ولعلها كانت قد عرفت أن موقف معاوية سيكون على هذا النحو، فأعدت له هذا الجواب، الذي حاصره، وأخذ عليه السبل، فلم يجد سبيلاً إلا التسليم لها، والإستجابة لطلبها..

إنها كانت تعلم أن معاوية يعتمد في سياساته على العصبيات العشائرية، وعلى إثارة النعرات الجاهلية.. كما أن معاوية نفسه كان يعلم أنه لا يستطيع أن يحارب بني هاشم، ويبيد علياً «عليه السلام» وأهل بيته إلا من خلال اللعب على العصبية لقريش، وانتسابه إلى عبد مناف، فالشك في انتسابه إليه وإليها يفقده أهم سلاح لديه، فكان

---

(1) وفي بعض المصادر: كما بدلاً عن لما.

يحرص على تأكيد هذا الإنتساب، والتكتم على الحقيقة فيه.. وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» أيضاً يعلم ذلك وقد واجهه «عليه السلام» بهذه الحقيقة، وعيّره بها في قوله «عليه السلام» الذي شاع وذاع حتى طرق أكثر الأسماع: «.. ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، إلخ..»(1).

وقد بين ذلك لنا الزمخشري، وهشام بن السائب الكلبي، حين قالا: كان معاوية يُعزى إلى أربعة: مسافر بن أبي عمرو، وعمارة بن

---

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج3 ص17 الكتاب رقم 17 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص117 ومناقب آل أبي طالب ج2 ص361 وبحار الأنوار ج33 ص105 و 106 و 107 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص228 وج6 ص573 وتذكرة الخواص ص9 وإحقاق الحق (الأصل) ص249 وفلك النجاة لفتح الدين الحنفي ص50 والغدير ج3 ص254 وج10 ص151 عنهم، وعن: ربيع الأبرار للزمخشري باب 66، وعن مروج الذهب. وراجع أيضاً: المناقب للخوارزمي ص180 وصفين للمنقري ص471 ومروج الذهب ج3 ص22 و23 والإمامة والسياسة ص117 و188 والفتوح لابن أعثم ج3 ص260 و (ط دار الأضواء) ج2 ص155.

الوليد بن المغيرة، والصباح مغنِّى عمارة، والعباس[1].

وكرهت أمه أن تضعه في منزلها، فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك.

وقد قال حسان في هجائه لبيت أبي سفيان حين فتح مكة:

لمن الصبي بجانب البطحا في الترب ملقى غير ذي مهد

..إلخ[2].

وكانت لجدته حمامة راية بذي المجاز[3].

---

(1) راجع: مثالب العرب للكلبي ص72 وتذكرة الخواص ص116 و (طبعة النجف) ص202 عن هشام بن محمد الكلبي، وربيع الأبرار ج3 ص551 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص336 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص123 وبحار الأنوار ج33 ص201 وراجع: بهج الصباغة ج10 ص255 و 256.

(2) راجع: ربيع الأبرار ج3 ص551 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج1 ص336 وبحار الأنوار ج33 ص201 والغدير ج10 ص170 وراجع: بهج الصباغة ج10 ص255 و 256 ومثالب العرب للكلبي ص72.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج2 ص124 و 125 والطرائف عن مثالب هشام الكلبي، وبهج الصباغة ج10 ص256 والطرائف لابن طاووس ص501 وكتاب الأربعين للشيرازي ص631 وقاموس الرجال للتستري ج10 ص123 ونهج الحق ص307 وإحقاق الحق (الأصل) ص263.

وقال الإمام الحسن «عليه السلام» لمعاوية أيضاً: «وقد علمت الفراش الذي ولدت عليه»(1).

وحين قال يزيد لإسحاق بن طابة: إن خيراً لك أن يدخل بنو حرب كلهم الجنة، يعيِّره بأن أم إسحاق تتهم ببعض بني حرب.

فقال له إسحاق بن طابة: إن خيراً لك أن يدخل بنو العباس كلهم الجنة.

فلم يفهم مراده.

فقال له أبوه معاوية: أما علمت أن بعض قريش في الجاهلية يزعمون أني للعباس؟!

فسقط في يدي يزيد»(2).

وكتب زياد إلى معاوية: «..وأما تعييرك لي بسميَّة، فإن كنت ابن سميَّة، فأنت ابن جماعة»(3).

وبعدما تقدم، نعود فنقول:

---

(1) راجع: الغدير ج10 ص169 عن تذكرة الخواص ص116 و (ط طهران) ص202.

(2) تذكرة الخواص ص116 و (ط طهران) ص203 عن ابن الكلبي، والغدير ج10 ص170 وبهج الصباغة ج3 ص209 وج7 ص51 وقاموس الرجال ج1 ص489.

(3) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج16 ص183 والغارات للثقفي ج2 ص928 والغدير ج10 ص171.

إن أم سنان ذكرت لمعاوية أخلاق بني عبد مناف، ألزمته بأخلاقهم الطاهرة، وأحسابهم الوافرة التي منها: أن لا يجهلوا بعد حلم، ولا يعاقبوا بعد عفو، ولكنها لم تنسبه صراحة إلى عبد مناف.. غير أنه وجد نفسه ملزماً بما ألزمته به.. ولا بد أن يتشبه بهم في أخلاقه، ليؤكد أنه منهم.

ولكنه حاول التملُّص من ذلك، والتحايل عليه، بأن ذكر لها الشعر الذي قالته فيه، ليثبت لها أنها ليست ممن يستحق العفو والصفح والحلم، بسبب عداوتها له، وربما راوده الأمل بأن في أن يثير حفيظتها، ويخرجها ذلك عن طورها، فتتكلم بما يجعل له سبيلاً عليها..

ولكنها تخلَّصت منه بادعاء: أن من الممكن أن يكون ولاؤها له بعد أن ذهب علي «عليه السلام» إلى ربه.. ولكن بشروط تقضي بتبدل أحواله، حتى يصبح أهلاً لهذا الولاء.. وقد لجأت في بيانها ذلك إلى إيحاءات استخدمت فيها التورية.. واستفادت من أسلوب الناصح الذي يتمنى لو يعود الظالم عن ظلمه، أو الباغي عن بغيه، والكافر عن كفره.. ليصبح عادلاً رضياً، ومؤمناً تقياً..

وإذ ببعض الجالسين يذكر لها أبياتها التي قالتها في صفين تصرِّح فيها بأنها لا يمكن أن توالي بعد علي «عليه السلام» أحداً سواه. مما يعني أنها كاذبة فيما تَعِد به معاوية من الولاء ..

ومن جملة تلك الأبيات قولها:

فــالـيـــوم لا خلف نؤمل بعده هيـهـــات نـــمدح بعده إنسيا

فلم تنكر أم سنان هذه الأبيات، بل اعترفت بأنها هي التي قالتها.

ثم قدمت لمعاوية نصيحة لا يستطيع ردها، وهي:

أن الولاء والجفاء لمعاوية مرهون بسلوك معاوية وسياساته فإما أن يستجلب قلوب الناس ويرضيهم، ويرضي الله، أو ينفِّر هذه القلوب ويغضبهم، ويغضب الله..

أنا أحب ممن؟!:

وقد ذكرت له في نصيحتها ما دلَّ على أن بعض سياساته كان لها بعض الأثر الإيجابي، ورجحته على غيره، وجعلته أحب إليها من ذلك الغير..

فظن معاوية أنها تقصد بذلك الغير علياً «عليه السلام»، أو أبناء علي «عليهم السلام». ولعل ظنَّه هذا جعله يرتاب في صدقها، لأنها كانت لا تزال على ما هي عليه في ولائها، وحبها لعلي «عليه السلام»، فأراد منها أن تصرِّح باسم من قصدته بكلامها، فقال: أنا أحب ممن؟!

فقالت: من مروان بن الحكم، ومن عمرو بن العاص.

فقال: وبما استحققت ذلك عندكم؟!

فقالت: بحسن عملك، وكرم عفوك..

فعرف أنها كانت صادقة فيما تقول، لأنها فضلته على بعض

أقرانه، ومن هم من فصيلته، وعلى شاكلته..

فسألها عن حاجتها، فذكرتها له، فقضاها لها..

إن العدو لآل أحمد يقصد:

وقد تضمنت أشعار أم سنان إخلاصها، وحبها الصادق والدائم لأمير المؤمنين «عليه السلام»، وقد لفت نظرنا درجة الوعي التي ظهرت في شعرها، ولا سيما، وهي تصرح بأن مقصود القاسطين ليس مجرد الإستيلاء على السلطة، بل هم يقصدون أيضاً إبادة آل رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً.. لأن الإستيلاء على السلطة لا يكفي لضمان بقائها، بل يحتاج ذلك إلى القضاء على حفظتها، الذين يجسدونها قولاً وعملاً، وموقفاً وسلوكاً، ونهجاً.. ويبذلون حياتهم في الدعوة إليها.

ثم تابعت أبياتها في وصف أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقالت:

1 ـ إنه «عليه السلام» بين أصحابه كالهلال بين الكواكب..

2 ـ إنه خير الخلائق بعد نبينا الأعظم «صلى الله عليه وآله»..

3 ـ إنه ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»..

4 ـ إن صلته برسول الله «صلى الله عليه وآله» تكفيه فخراً بين الأنام..

5 ـ إنه «عليه السلام» كان يعرف بالتزام جانب الحق..

6 - إنه «عليه السلام» هاد لغيره..

7 - إن هدايته لغيره ليست مجرد أقوال.. بل هي أقوال تنبع من عمق وجوده، وتصدح منه بالرضا والقبول والإلتزام، فهو مهدي بها قبل أن يحاول أن يهدي بها غيره..

9 - إن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أوصى إليه بالناس..

10 - والأهم من ذلك: أنه «عليه السلام» قد أوفى بما عاهد الله عليه، وحفظ وصية النبي «صلى الله عليه وآله»، وحفظ الناس بسياساته، وتدبيره وفقاً لما أراده منه الله تعالى ورسوله «صلى الله عليه وآله»..

أوصى إليك بنا:

وتصريح أم سنان المذحجية بأن وصية النبي «صلى الله عليه وآله» إلى علي «عليه السلام» كانت وصية بالناس، ولم تكن وصية بمال، ولا بأهل، ولا بأي من الشؤون الشخصية، أو المحدودة..

ولم تكن تختص بمن كان من أقارب النبي «صلى الله عليه وآله» كزوجاته، أو ابنته الوحيدة، أو أهله، أو عشيرته، بل هي شاملة للبشر جميعاً، حتى للمرأة المذحجية..

وقد كان هذا الأمر مفهوماً للناس في الصدر الأول، حيث كان الصحابة لا يزالون أحياء.. وقد ذكرته أم مذحج بين الجيشين، ولم يعترض عليها أحد.

وهذا يدل على أن زيادة كلمة: «في أهلي» في بعض النصوص، لا يمكن تأييد صحتها كما مر.

فلا معنى لما يدَّعيه البعض، من أنه «صلى الله عليه وآله» أوصى إليه «عليه السلام» بأموره الشخصية، أو بأهله، أو بعشيرته..

مروان تَبَنَّكَ بالمدينة:

وقد قالت أم سنان لمعاوية: إن مروان تَبَنَّك بالمدينة تَبَنُّك من لا يريد البراح منها.. والتَبَنُّك هو التأصل، والرسوخ، والثبات. ولا سيما مع تأكيدها ذلك بقولها: «تَبَنَّك من لا يريد البراح منها». مما يعني: أنه بصدد إحكام أمره، والتأسيس لطموحاته بطريقة مدروسة وقوية.

ولا شك في أن هذا الأمر لا يعجب معاوية، لأنه كان عارفاً بمطامع مروان، وبخططه المستقبلية..

فتكون أم سنان قد ضربت على الوتر الحساس عند معاوية، ولذلك نرى أنه بادر وأمر بإطلاق محبوسها، «وإن رغم مروان»، لأنه أدرك أنه لا بد من إضعاف أمر مروان.. فكانت هذه المبادرة هي أول الغيث في هذا السبيل.

وفي هذه القصة إشارات إلى أمور أخرى أيضاً، نكتفي منها بما ذكرناه..

النعمان بن جبلة يعترف:

قال ابن اعثم:

قال: وافتقد معاوية راية قضاعة، فلم يرها، فقال لغلام واقف على رأسه: إذهب إلى النعمان بن جبلة القضاعي، فقل له: ما يجلسك عن الخروج إلى العدو، وقد زحفت الرايات؟! والله لقد هممت أن أولِّي أمر قضاعة من هو أنصح منك حباً، وأقل منك عيباً.

قال: فانطلق الغلام إلى النعمان بهذه الرسالة، فلم يك بأسرع من أن خرجت كراديس قضاعة يقدِّم بعضهم بعضاً، حتى وقفوا في مواقفهم.

وأقبل النعمان بن جبلة إلى معاوية، فلما رآه معاوية عرف الغضب في وجهه، فقال: اللهم! إني أعوذ بك من شر سنان(1) هذا المقبل.

قال: ثم دنا النعمان بن جبلة من معاوية، فنزل عن فرسه، وجلس مطرقاً ساعة لا يتكلم، وقد احتبى بحمائل سيفه.

فقال له معاوية: أبا المنذر! ما الذي أجلسك اليوم عن العدو، وقد زحفت الرايات، وعدت القبائل إلى مواقفها؟! وأنتم تعلمون يا معشر قضاعة! أنكم أعيان عسكري هذا، وثقاتي في نفسي.

فقال له النعمان: يا معاوية! إننا لو كنا نعدو إلى جيش مصنوع، وإناء موضوع، لكان في ذلك بعض الأناة، فكيف وإنما نعدو إلى سيوف قاطعة ورماح شارعة، وقوم ذوي بصائر نافعة، فلا بد لنا من

(1) لعل الصحيح: لسان.

أن نأخذ لذلك أهبة.

وبعد يا معاوية! أنا أسرع من معك إلى الحرب نكوباً، وأنصحهم لذلك جيوباً، وأقلهم عند الحقائق تكذيباً.

وزعمت أنك تولي أمر قضاعة من هو أنصح مني جيباً وأقل مني عيباً..

أما والله يا معاوية! لقد نصحتك عن نفسي، وآثرت ملكك على ديني، وقتلت فيك عشيرتي، وتركت لهواك رشدي وأنا أعرفه، وحدت عن الحق وأنا أبصره.

فقال معاوية: أبا المنذر! إني لم أرد بك هذا كله، ولكن أي رشد أرشد، وأي حق أحق من طلبك دم الخليفة المظلوم، وذبّك عن الحريم؟!

فقال النعمان: لا والله يا معاوية! ما وفقت لرشادي إذ أقاتل عن ملكك ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وهو أول مؤمن، وأول مهاجر معه، ولو أعطيناه من أنفسنا مثل الذي أعطيناك، لكان أرأف بالرعية، وأجزل للعطية، وأنفذ في القضية، وأقسم بالسوية، وأبعد من الدنية والعصبية. ولكنا بذلنا لك أمراً لا بد لنا من إتمامه، غياً كان أم رشداً.

قال: فسكت معاوية، ولم يقل شيئاً.

ووثب عمرو بن مرة الجهني، والحارث بن نمر الجرمي، وقالا: أقسمنا عليك أبا المنذر إلا سكت، فقد بلغت من الكلام ما أردت.

قال: فسكت النعمان، ونهض إلى موقفه.

قال: وإذا بكردوسين عظيمين من أصحاب علي «عليه السلام»، قد خرجا، وكان وميض بيضها وميض الكواكب، أحد الكردوسين قبائل مذحج، وفيهم الأشتر، والآخر همذان، وفيهم سعيد بن قيس الهمذاني.

قال: فنكى هذان الكردوسان في أهل الشام نكاية شديدة حتى كاد أهل الشام يضّعضعون.

فأرسل معاوية إلى النعمان: لله أنت أبا المنذر! ألا ترى إلى ما صنعت بنا هذان الكردوسان في هذا اليوم؟! أنت لهم لله درك.

قال: فأرسل إليه النعمان: أن ادع لهذين الكردوسين من هو أنصح مني جيباً. وأقل مني عيباً.

فقال معاوية لعمرو بن مرة الجهني، والحارث بن نمر الجرمي: قوما إلى ابن عمكما، فاطلبا إليه واسألاه أن يلقى هذين الكردوسين بقومه وعشيرته، وبأسه وشدته، فليس لهم سواه.

فقال عمرو بن مرة الجهني: والله يا معاوية! إنك لتقصر بنا في الخلاء، وتضع بنا في الملاء، وتميل علينا في الأهواء، وتدعونا لكل كتيبة خشناء.

قال معاوية: ليس هذا خبر شاف، إنه أخذت السيوف هام الرجال والأسنة كُلاها، فقوما إلى ابن عمكما.

قال: فقاما إليه، فكلماه وسألاه أن يخرج بأصحابه إلى الكردوسين.

فقال النعمان: أفعل ذلك، ولا أردكم.

قال: وعلى النعمان يومئذ درع سابغ، وعلى رأسه مغفر وعمامة سوداء، وتحته فرس له أشقر، فضرب بيده إلى راية قومه، ثم قال: إننا سنقاتل عن الغوطة وعنبها، وزيتونها إذ قد حرمنا الجنة ونعيمها وحور عينها.

ثم تقدم أمام قومه، وهو يقول:

قد علم الجرمي ذو الشنآن ...

إلى أن قال:

.... هذا لعمري أبين الخسران
يقتل فيك ابن أبي سفيان رجال قحطان ذرى قحطان

قال: ثم حمل النعمان هذا على(1) قضاعة، وحمل الأشتر، وسعيد بن قيس في قومهما من مذحج وهمذان، فتجالدوا من وقتهم ذلك إلى الليل.

فقتل النعمان، وقتل معه جماعة أصحابه، ثم تحاجز الفريقان، وقد فاتتهم الصلوات.

---

(1) لعل الصحيح: مع قضاعة.

قال: وبلغ معاوية قتل النعمان، فاسترجع وأبدى جزعاً شديداً، وقد كان يحب أن يقتل لما كان من قوله وميله إلى علي «عليه السلام»[1].

ونقول:

بماذا يهدد معاوية قادته؟!:

إن معاوية حين يرى من قادته بعض البرود، وعدم الجدية في الحرب، ويريد أن يحرِّكهم، ويثير حماسهم إليها، فإنك لا تجده يتحدث عن الجنة والنار، وعن نصرة الدين، وإقامة صرح الإسلام، وحفظ بيضته، بل هو يتحدث عن أمور أخرى لا ربط لها بذلك، لا من قريب ولا من بعيد.

فيذكر لهم تارةً: الثارات، والإنتصار للقبيلة، ويحرك العصبيات، ويشير بأصابع الإتهام بقتل الخليفة إلى هذا وذاك من دون إعطاء الفرصة لهم للتفكير في الموجبات والأسباب، ومن دون أن يسمح لهم بالتحقق من صحة الإتهامات التي يطلقها..

وتارة أخرى: يحاول أن يثير الشكوك حول صحة ولائهم ومحبتهم له..

وثالثة: يتحدث بما يثير في قلوبهم الخوف على مواقعهم ومناصبهم، ويلوِّح لهم بوجود زعامات أخرى تنافسهم على تلك

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص70 - 72.

المواقع، وأنها ليست بعيدة عن نظره، أو عن بصره..

ثم هو يلوِّح لهم بنقائص فيهم، وميزات يتمتع بها منافسوهم.. وبذلك يكون قد أفهمهم أن رئاستهم وزعامتهم، لم تكن عن استحقاق، بل هي عطيَّة، وتفضُّل منه عليهم..

ولذلك أرسل إلى النعمان بن جبلة القضاعي: «لقد هممت أن أولِّي أمر قضاعة من هو أنصح منك حباً، وأقل منك عيباً..».. «فلم يك بأسرع من أن خرجت كراديس قضاعة، يقدم بعضهم بعضاً، حتى وقفوا في مواقفهم».

ثم جاء النعمان هذا إلى معاوية، وحاول أن يبرّر تباطؤه في الزحف، بادعاء عدم صوابية التسرع إلى الميدان قبل أخذ الأهبة، لأن الطرف الآخر سيوفهم قاطعة، ورماحهم شارعة، وبصائرهم نافذة..

ولكن الأمر الأهم عنده، كان التأكيد على نصيحته، وعلى تضحياته في سبيل ملك معاوية.. فلاحظ الفقرة التالية:

آثرت ملكك على ديني:

نعم، إن الأمر الأكثر غرابة أن النعمان بن جبلة لا يرى حرجاً بأن يؤكد إخلاصه لمعاوية، بقوله:

«آثرت ملكك على ديني، وقتلت فيك عشيرتي، وتركت لهواك رشدي، وأنا أعرفه، وحدت عن الحق، وأنا أبصره..».

وقد قال هذا القول، وسواه مما تقدم في مجلس معاوية، الذي

يحضره الأعيان، وأصحاب القرار، والقادة الكبار. فلولا أن عدم المبالات بالشرع والدين، والآخرة قد بلغ لدى جميعهم أقصى مداه، لوجدنا ولو من واحد منهم اعتراضاً، أو تململاً، أو تساؤلاً عن صوابية وصحة ما قال..

فسكوت هؤلاء جميعاً، ورضاهم ورضا معاوية، وعدم اعتراضه على النعمان يدل على أن جحود هؤلاء، وعدم خجلهم بالإنحراف، وبمحاربتهم الدين من أجل الدنيا قد بلغ أقصى مداه..

ويحق لنا بعد هذا أن نتساءل عن مصير الأمة حين يكون بيد هؤلاء؟!

ولماذا نتعجب إذا رأينا حجلاً يقول لولده أثال ناصحاً له: تعال إلى المال والدنيا، مدعياً له: أن هذا هو الهدى، الذي يرجو به الثواب عند الله؟! وهو يعرفنا معنى النكس في القلوب، وصيرورة المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، حسبما أشرنا إليه أكثر من مرة..

ومهما يكن من أمر، فقديماً قيل:

إذا كـان رب البيت بالطبل ضارباً فشـــيمة أهـل البيـت كلهـم الرقص

وبعد.. فليت شعري، ماذا يقول لنا المدافعون عن معاوية وعن حزبه، تحت شعار عدالة الصحابة، ولزوم الولاء والمحبة لهم، وتصويب أفعالهم؟!..

وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم:

ويزيد الطين بِلَّة، والخرق اتساعاً شدة وضوح الحق لهؤلاء القوم، ومعرفتهم الدقيقة بمدى الفرق بين حالهم هذا، وحال أمير المؤمنين «عليه السلام».. ثم إصرارهم على البقاء في موقع الباغي والظالم، الذي لا يبالي بجنة ولا نار، فهذا هو النعمان بن جبلة القضاعي يصرح بأنه يعلم بأن أمير المؤمنين «عليه السلام»:

1 ـ ابن عم رسول الله «صلى الله عليه وآله».

2 ـ أول مؤمن.

3 ـ أول مهاجر معه «صلى الله عليه وآله».

4 ـ لو أعطوا علياً «عليه السلام» من أنفسهم ما أعطوا معاوية، لكان «عليه السلام»:

ألف: أرأف بالرعية.

ب: أجزل للعطية.

ج: أنفذ في القضية.

د: أقسم بالسوية.

هـ: أبعد من الدنية.

و: أبعد من العصبية.

وكل ذلك على قاعدة: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا**

وَعُلُوًّا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ)[1]

النعمان يقاتل عن الغوطة:

وبعد كل هذا البيان الواضح والصريح من النعمان بن جبلة، الذي حمل معه فضيحة كبرى لمعاوية، ونهجه وأهدافه، وأهداف من معه من حزبه، وبيَّن حالهم، لم يوفق النعمان لاتخاذ القرار الصحيح..

بل كان مصداقاً للذين قال الله تعالى فيهم: **(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)**[2]، وبقي يقاتل تحت راية ضالة، ويدافع عن ملك زائف، ينتفع به غيره، ويكون عليه وزره إلى أن قتله الله تعالى مخذولاً، مرذولاً يفرح بقتله معاوية نفسه..

بل لقد بلغت به الرذالة حداً جعلته يصرح، بأنه لا يدافع عن دينه، وإنما عن الغوطة (غوطة دمشق) وعن عنبها وزيتونها، لأنه قد حرم الجنة ونعيمها، وحور عينها، على حد تعبيره، مع أنه يعلم أنه حتى لو انتصر في الحرب، فإن الغوطة وعنبها وزيتونها لن يصل إليه، بل سيستأثر به معاوية لنفسه ولأحبابه دونه، ودون كل أحد..

ولكن هذا الرجل قد حرم حتى من أن يحلم بالعنب والزيتون، وقتله الله تعالى فيمن قتل على أيدي المؤمنين.

---

(1) الآية 14 من سورة النمل.

(2) الآية 14من سورة المطففين.

فرحة معاوية بقتل النعمان:

ولم نستغرب أن يحب معاوية أن يقتل النعمان بن جبلة، ولكنه أبدى جزعاً لقتله، فقد تقدم أنه كان قد فرح بقتل ذي الكلاع، لأنه خشي أن يشتد وضوح الأمور لديه، فينقلب عليه، بل هو قد اتهم بقتل مالك بن عقيل، وهو من فرسان أهل الشام ونساكها، لأنه تأثر بما جرى بين أبي نوح وعمرو بن العاص.

فلماذا لا يفرح بقتل هذا الرجل، الذي عبر عن إعجابه بعلي «عليه السلام»، وفضح معاوية وحزبه على الملأ.. بطريقة حتمت على معاوية أن يعتصم بالصمت، حتى لا يزيد الطين بلة، والخرق اتساعاً؟!

الفصل السابع:

معاوية يحزن على غلامه: حرب..

وعاظ السلاطين:

قال: وأصبح القوم، وقدم كعب على معاوية من حمص، فقرَّبه وأدناه، وبرَّه وكساه.

قال: فجعل كعب يحدث معاوية بالرخص، ولا ينكر عليه ما هو فيه من قتاله علياً «عليه السلام»(1).

ونقول:

أولاً: إن هذا الرجل المسمى بكعب، لم يكن أكثر من رجل دنيوي ضال قد أعمى بصره وبصيرته حب الدنيا، فباع دينه بها، فهو من المستأكلين بعلمهم، الذين يشترون رضا المخلوق بسخط الخالق، ومن الذين غضب الله عليهم، فحسبه جهنم وساءت مصيراً..

غير أننا نذكر بما يلي:

1 - إنه يرى معاوية يرتكب أعظم الجرائم، ولا ينكرها عليه، فلا

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص138.

ينهاه عن حرب الإمام «عليه السلام»، وعن قتل عشرات الألوف من أهل القبلة، وفيهم خيار الأمة، وعلماؤها، وزهادها وعبادها الحقيقيون من أمثال عمار بن ياسر، وأبي الهيثم، وذي الشهادتين، وابن بديل، وهاشم المرقال، وجندب بن زهير، وأويس القرني، وكثيرين آخرين، هذا عدا أنه كان يسعى بكل ما أوتي من قوة وحول إلى قتل علي بن أبي طالب، والحسن، والحسين «عليهم السلام»، وغيرهم من بني هاشم، فضلاً عن الأشتر النخعي، وقيس بن سعد، ومحمد بن ابي بكر، وكل من كان مع أمير المؤمنين «عليه السلام» في صفين..

2 ـ إنه يحدث معاوية بالرخص، ليهون عليه وعلى سائر من معه الإيغال في القتل والظلم، والسلب والنهب، وليوهموا الناس أنهم إنما يرتكبون هذه الجرائم بحجة الدفاع عن النفس، أو بحجة الإضطرار إلى ذلك، أو الحاجة إليه، أو لأن فلاناً قد فعل نظير هذا، أو ما إلى ذلك..

3 ـ إن نفس وجود من يسمى عالماً في خدمة الحاكم المعتدي والظالم، والضال.. وظهور الإلفة والإنسجام بينهما كاف لتضليل الناس، واطمئنانهم إلى سلامة مسيرة ذلك الحاكم، وتبرير أعماله بنظر الناس.

وهذا يشجعهم على مساعدته ونصرته، وتنفيذ أوامره، وحفظ سلطانه، ولو أمرهم بقتل الأبرار، من الإنبياء والأوصياء، وأدى ذلك إلى محق الدين، وسحق المستضعفين، ولو احتاج الأمر إلى بذل

أرواحهم في سبيله..

وهذا ما كان معاوية بصدده، ويسعى إليه في تلك الحرب.

ثانياً: إن هذا الرجل لو كان عند علي «عليه السلام»، وفعل ما يخالف الشرع، فسوف يجد نفسه أمام العقوبة الصارمة، وستطبق عليه أحكام الشريعة بلا هوادة..

وإن ثبت فسقه، وكان يعدُّ من العلماء، فسيجد نفسه في السجن، لأن علياً «عليه السلام» هو القائل: يجب على الإمام أن يحبس الفساق من العلماء، والجهال من الأطباء..[1].

وسيجد نفسه مطالباً بالقيام بواجباته الشرعية على أتم وجه، تماماً كما كان غيره مطالباً بذلك. فلماذا إذن لا يختار معاوية، ولا يقويه، ويشد من أزره؟!

حرب يعرف مقام الفارس البطل:

قال ابن أعثم:

وخرج رجل من أصحاب معاوية، يقال له: المخارق بن عبد

---

(1) من لا يحضره الفقيه ج3 ص20 و (ط جماعة المدرسين سنة 1404هـ) ج3 ص31 وتهذيب الأحكام ج6 ص319 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج27 ص301 و (ط الإسلامية) ج18 ص221 وميزان الحكمة ج1 ص524 ومجمع البحرين ج4 ص39 والنهاية للطوسي ص62 وتحرير الأحكام للعلامة الحلي ج5 ص238.

الرحمن، وكان فارساً بطلاً، حتى وقف بين الجمعين، ثم سأل النزال.

فخرج إليه المؤمل بن عبيد المرادي، فقتله الشامي.

ثم نزل إليه فاحتز رأسه، وحك وجهه الأرض، وكب الرأس على وجهه. ثم دنا منه، فكشف عورته، ونادى: هل من مبارز؟!

فخرج إليه مسلم بن عبد ربه الأزدي، فقتله الشامي، ثم فعل به كما فعل بالأول.

ثم نادى: هل من مبارز؟!

فلم يزل كذلك حتى قتل أربعة نفر، واحتز رؤوسهم، وكشف عوراتهم.

قال: فتحاماه الناس خوفاً منه.

قال: ونظر إليه علي «عليه السلام»، وقد فعل ما فعل، فخرج إليه متنكراً، وحمل عليه الشامي، وهو لم يعرفه، فبدره علي «عليه السلام» بضربة على حبل عاتقه، فرمى بشقه، ثم نزل إليه فاحتز رأسه، وقلب وجهه إلى السماء، ولم يكشف عورته.

ثم نادى: هل من مبارز؟!

فخرج إلى آخر، فقتله علي «عليه السلام»، وفعل به كما فعل بالأول، فلم يزل كذلك، حتى قتل منهم سبعة، أم ثمانية، وهو يفعل بهم كما يفعل بالأول، ولا يكشف عوراتهم.

فأحجم الناس عنه، وتحامته الأبطال من أصحاب معاوية.

وردها عن(1) معاوية عبد له يقال له حرب، فكان فارساً لا يصطلى بناره، فقال له معاوية: ويحك يا حرب! أخرج إلى هذا الفارس، فاكفني أمره، فإنه قد قتل من أصحابي من قد علمت.

قال: فقال حرب: جعلت فداك؟! إني والله أرى مقام فارس بطل! لو برز إليه أهل عسكرك، لافناهم من آخرهم، فإن شئت برزت إليه، وأنا أعلم أنه قاتلي، وإن شئت فابقني لغيره.

فقال معاوية: لا والله ما أحب أن تقتل! فقف مكانك حتى يخرج إليه غيرك.

قال: وجعل يناديهم، ولا يخرج إليه واحد منهم، فرفع المغفر عن رأسه ثم قال: أنا أبو الحسن! ثم رجع إلى عسكره.

فقال حرب لمعاوية: جعلت فداك! ألم أقل لك إني أعرف مقام الفارس البطل(2).

ونقول:

لا بأس بالنظر إلى الأمور التالية:

الصواب والخطأ في القضية:

في هذه القضية ما هو صحيح، وهو ما فعله ذلك الشامي، وفيها

---

(1) لعل الصحيح: وكان عند.

(2) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص111 و 112.

ما هو مزيف ومحرف، وهو ما نسبته الرواية إلى أمير المؤمنين «عليه السلام». ونحن نشيرإلى كلا الأمرين هنا، كما يلي:

الإناء ينضح بما فيه:

ذكرت الرواية ما فعله مخارق بالذين قتلهم من جيش علي «عليه السلام»، مع أنه كان يدعي الإسلام، ويعرف أنه يحارب إمامه، ويقتل المدافعين عن هذا الإمام.

وهذا الذي فعله ذلك الشامي بمن قتلهم إن دل على شيء، فإنه يدل على أنه هو وفريقه قد فقدوا القدرة على فهم الأمور بصورة سليمة، وأصبح المهيمن على عقولهم وتصرفاتهم الأمور التالية:

1 - الحقد.

2 - البغي والعنجهية.

3 - المفاهيم الجاهلية.

4 - الرعونة والطيش، والهوى.

5 - إنهم فقدوا الإحساس بالخجل.

كما أن عدم وجود من يردع، أو من يعترض، ويناقش بين أهل الشام. يدل على أن هذه الحالة قد فرضت نفسها عليهم جميعاً..

فهم:

1 - قد فقدوا الخجل من العيب.. ولم يعد لديهم شهامة، أو شعور

بالنبل والكرامة حيث كشفوا عورات القتلى، ولم يعترض أحد منهم على ذلك، ولا نهى عنه..

2 - إنهم لم يهتموا، أو يلتفتوا إلى حقيقة أن من الممكن أن يعاملهم الطرف الآخر بالمثل..

3 - إن الدافع لقطع الرؤوس، وكشف العورات، هو الحقد الأعمى، الذي لا مبرر له، لأنه لم يكن بين القاتل والمقتول أية مشاكل، أو ثارات شخصية..

4 - إن قطع الرؤوس، وكشف العورات، ليس له أثر على صعيد حسم المعركة، كما أنه لا ربط له بثارات عثمان، ولا بغيره..

5 - إن هذا الفعل، والسكوت عنه، والقبول به هو مظهر من مظاهر عدم الإهتمام بأحكام الشريعة، فقد علم الناس أن النبي «صلى الله عليه وآله»، قد نهى عن المثلة، وعن كشف العورات..

الإفتراء على علي ×:

وقد زعمت الرواية أن علياً «عليه السلام» قد فعل بقتلاه نظير ما فعله ذلك الشامي، لكنه خالفه في أمرين:

الأول: إنه لم يكب الرأس على وجهه، ولكنه قلبه إلى السماء.

الثاني: إنه لم يكشف عورات قتلاه..

ونحن نجزم بأن هذا مكذوب على أمير المؤمنين «عليه السلام». وذلك لما يلي:

أولاً: إنه «عليه السلام» قد أوصى جيشه في كل موطن يلقو فيه عدوهم في صفين، قائلاً: «فإذا قاتلتموهم وهزمتموهم، فلا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة، ولا تمثِّلوا بقتيل..»(1) وقطع الراس لا مبرر له، إلا التشفي والتمثيل به.

ونفس هذه الوصية أوصى «عليه السلام» بها جيشه في حرب الجمل أيضاً(2). فكيف يوصي أصحابه بذلك، ثم يخالف ما أوصاهم به؟!

ثانياً: كأن الرواية تريد أن تقول: إنه «عليه السلام» قد جارى ذلك الشامي في فعله، وأراد المقابلة بالمثل.

ولا تصح المقابلة بالمثل هنا، لأنه يكون أخذاً للحق من غير صاحبه.

كما لا يعد فعله هذا من قبيل العقوبة، لأن الذين يفعل علي «عليه

---

(1) صفين للمنقري ص203 و 204 وراجع: الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص32 والجمل للمفيد ص182 والبحار ج32 ص213 وج33 ص458 و 459 و 461 و 449 وج32 ص448 و 449 والكافي ج5 ص41 وتاريخ الأمم والملوك ج 5 ص11 والكامل في التاريخ ج3 ص293 وتاريخ ابن خلدون ج2 ق2 ص171 والفصول المهمة لابن الصباغ ج1 ص408 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج4 ص26 وج6 ص220.

(2) بحار الأنوار ج 32 ص213 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج6 ص228.

السلام» بهم ذلك، لم يفعلوا شيئاً من هذا، بل الفاعل هو مخارق، فلا تصح عقوبة البريء..

ثالثاً: إن العقوبة والمقابلة بالمثل لا تكون فيما نهى الله عنه، أو فيما هو حرام.. فكيف إذا كانت تجري على من لم يذنب؟!

رابعاً: روي أنه «عليه السلام»، قال لابنه الإمام الحسن «عليه السلام»: لا تدعون إلى مبارزة، وإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعي باغ، والباغي مصروع[1].

فكيف يفعل «عليه السلام» ما نهى عنه غيره؟!

لكي لا يتوهم أحد:

ولعلك تعترض وتقول: قد روي عن أبي عبد الله «عليه السلام»: إن الحسين بن علي «عليه السلام» دعا رجلاً إلى المبارزة، فعلم أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقال: لئن عدت إلى مثل هذا لأعاقبنك، ولئن دعاك أحد إلى مثلها، فلم تجبه

(1) نهج البلاغة (بشرح عبده) ج4 ص52 قسم الحكم، الحكمة رقم 232 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص90 و (الإسلامية) ج11 ص68 وعيون الحكم والمواعظ للواسطي ص527 وبحار الأنوار ج33 ص454 وج97 ص39 ومستدرك سفينة البحار ج1 ص383 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج19 ص60 وصلح الحسن للسيد شرف الدين ص90 والإمام علي بن أبي طالب للهمداني ص604 وميزان الحكمة ج1 ص564.

لأعاقبنك. أما علمت أنه بغي[1].

فالجواب:

أولاً: إن سند هذه الرواية ضعيف، فلا يعتد بها.

ثانياً: إن هذه الرواية تظهر الإمام الحسين «عليه السلام» وكأنه قد ارتكب مخالفة يستحق العقوبة عليها، فإن كان جاهلاً بالحكم الشرعي، فهو «عليه السلام» يجل عن ذلك، فإنه كان إماماً بنص الرسول «صلى الله عليه وآله»، والإمام لا يجهل الأحكام، كما أنه ـ كما دلت عليه النصوص ـ كان ممن زقُّوا العلم زقاً..

وإن كان عالماً بالحكم، ويتعمد مخالفته، فآية التطهير تنفي عنه ذلك.

ولو فرض أنه كان جاهلاً بالحكم، (وهو ليس كذلك) فلماذا يقدم على ما لا علم له به؟!..

ثالثاً: إذا كان «عليه السلام» إماماً، بنص الرسول «صلى الله عليه وآله»، فإن المبارزة تجوز بإذن الإمام[2]..

---

(1) الكافي ج5 ص34 و 35 وتهذيب الأحكام ج6 ص169 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص90 و (الإسلامية) ج11 ص68 وبحار الأنوار ج33 ص446.

(2) الكافي ج5 ص34 ووسائل الشيعة (آل البيت) ج15 ص89 و (الإسلامية) ج11 ص67.

إلا إن قيل: إن المعتبر هو إذن الإمام القائم بالأمر فعلاً، وهو علي «عليه السلام»، وهو لم يكن قد أذن له بذلك!!

بقي سؤالان:

وبعد.. فإن لنا هنا سؤالين:

الأول: لماذا لم يجار «عليه السلام» مخارقاً في كب الرأس على وجهه، بل جعل الوجه نحو السماء؟!

وما الفرق بين هذه وتلك، وأية نكاية في العدو في توجيه وجهة قتيله إلى السماء؟!

الثاني: لماذا تحامت الأبطال الذين في جانب علي «عليه السلام» مخارقاً حين بلغ عدد المقتولين أربعة.. ولكن أهل الشام واصلوا الخروج لمبارزة علي «عليه السلام» حتى بلغ عدد المقتولين سبعة، أو ثمانية؟!

هل المقصود إظهار مدى شجاعة أهل الشام، والتأكيد على تفانيهم في الحرب، وإقدامهم على الموت في مقابل جبن أهل العراق، وتخاذلهم وخوفهم، الذي ظهر في إحجامهم عن مبارزة مخارق؟!

والظاهر هو: أن علياً «عليه السلام» لم يكن هو الذي يطلب المبارزة. بل كان يستجيب لطلب المبارزين، فيكون حتفهم على يده..

فلما رأى حرب ما فعل بتلك الجماعة أدرك أنه ليس من رجاله. فأحجم عن مبارزته..

حرب يقتله قنبر:

وأقبل معاوية على غلام له، يقال له حرب، فقال يا حرب، إني ما عرفتك إلا مقداماً بطلاً، فاحمل بين يدي حملة على أصحاب علي «عليه السلام»، فإن أرضيتني، فأنت حر.

قال: فتقدم حرب غلام معاوية، وهو يرتجز، ويقول:

إني أنا الحرب وما بي من خور لكنني قرم أبي مشتهر
ذو صولة في المصميات الكفر مولى ابن صخر وبه قد انتصر

قال: ثم حمل وقاتل أشد قتال، فحمل عليه قنبر غلام علي «عليه السلام»، فطعنه طعنة قتله.

ابن أبي أرطأة يشجع معاوية:

قالوا:

فاغتم معاوية لقتل حرب غماً شديداً.

فقال له بسر بن [أبي] أرطاة: ما لي أراك منكسر القلب على حرب! عليك بالتسلي عن حرب، واستعمل الشجاعة والصبر، فإنك كاتب النبي «صلى الله عليه وآله», وعامل عمر بن الخطاب، وولي الخليفة المظلوم عثمان بن عفان.

فقال معاوية: صدقت ولكن علياً «عليه السلام» يطول علي بخصال شتى: بقرابته من الرسول «صلى الله عليه وآله»، وقدمته في

الإسلام، وبأسه في الحرب.

فقال عمرو بن العاص: إنك إذا نظرت في هذا، فإن له من الفضائل ما لا تحصى، أبوه سيد في بني هاشم، وأمه سيدة في بني هاشم، وهو فقيه في حجر قريش، وقد بايعه المهاجرون والأنصار.

ولكن والله لنقاتلنه، أو نرده على عقبيه صاغراً.

قال: فلما سمع معاوية ذلك اشتد ظهره، واجترى على الحرب.

فبلغ ذلك أصحاب علي «عليه السلام».

فقال(1) قيس بن سعد بن عبادة إلى علي «عليه السلام»، فقال: يا أمير المؤمنين! لا يهُولَنَّكَ أمر ابن آكلة الأكباد، ومن معه من أصحابه، فوالله إنا لو قتلنا عن آخرنا، حتى لا يبقى منا أحد لعلمنا أننا على بصيرة من ديننا، ويقين من أمرنا، فلا ترتفع(2) بقول بسر بن [أبي] أرطاة، فقبح الله بسراً، وأصلاه نار جهنم.

قال: فأثنى عليه علي «عليه السلام»، وعلى قومه من الأنصار ثناء حسناً.

فأنشأ قيس بن سعد، يقول:

نبئت بسراً أطال الله شقوته قال المحال وعمرا دعوة العاص

(1) كذا في المصدر، ولعل الصحيح: فقام.

(2) كذا في المصدر، ولعل الصحيح: تغتم.

في عصبة الشام منهم كل ذي جيف عــاتي المقالــة عنــد الحــرب حيــــــــــــــــــــــــــــــاص

روا طليقـــا لامر ليس رغبتهم إلا الفجــور علــى ذي رغبــة حاصـــــــــــــــــــــــــــــــــــي

الراقصـــات بأشياخ مــحــلقة صــلع الــرؤوس كبــيض الــرأل جريـــــــــــــــــــــــــــــــاص

مـــا في علي لأهل الشام من طمع ليث العرين وأفعى بين أعياص

كم من قتيل لأهل الشام قد سلبت عنـه الثيـاب كزق سائل شـاص

قــد كان يؤمل أن هاب العراق له عـــرس ســميط تراهـــا ذات إخـــــــــــــــــــــــــــــــــلاص

لا تـحسبن يا بن هند في عداوتكم كـــالمرء ســعد أبـــي الزهــري وقــــــــــــــــــــــــــــــــاص

أو تــحسبـني كــعبد الله في نفر بــاعوا عليــا بــودان ومقــلاص

أو كــابـن مسلمة الراضي بشبهته لله فيمــا يمــاري ربــه عاصــي

فـالحرب توقدها الأنصار مشعلة والطيـــبون رجـــال غيـــر أنكاص

قال: ثم صاح قيس بن سعد بالأنصار، فحمل وحملوا معه على أهل الشام، فقاتلوا قتالاً شديداً، ورجعوا إلى مواضعهم(1).

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص126 - 128 وقد ذكرنا الأبيات كما وجدناها في المصدر، ولعلها لم تسلم من التحريف والتصرف.

ونقول:

إيضاحات:

قوله في الشعر: دعوة العاص: فيه إشارة إلى أن عمرواً كان دعياً لأبيه، ولم يكن ابنه على الحقيقة.

حياص: منهزم.

حاصي: يقال: حاص حوله: حام.

الرأل: النعام.

جرياص: فسروا كلمة: «الجراصية» بـ: العظيم من الرجال.

أعياص: جمع عيص. وهو الأصل. والشجر الكثير الملتف.

سميط: ساكتة.

مقلاص: إسم شخص.

أنكاص: حمع ناكص. وهو الراجع على عقبيه.

حرب جبان:

لقد ادعت الرواية المتقدمة: أن حرباً مولى معاوية كان فارساً لا يصطلى بناره.. ثم ظهر أنه قد جبن ونكل عن مواجهة علي «عليه السلام» في الميدان، وهو يرى ما يجري على أصحاب الدعاوى العريضة.. ثم تأكد ضعفه حين برز إلى الميدان، حيث قيض الله له قنبراً غلام علي «عليه السلام»، ليكون هو الذي يقتله بطعنة منه..

معاوية المحبط:

وكانت غصة معاوية بقتله كبيرة، وغمه شديداً، لأنه كان يظن أن حرباً سيُفَرِّج كربته، ويشفي غيظه، ويثلج صدره بحملته على أصحاب علي «عليه السلام»، وإذ به يقتل على يد مولى لم يكن يخطر على بال معاوية أنه يحسن شيئاً من فنون الحرب، أو يجيد الطعن والضرب..

وكأن معاوية قد تلقى صفعة موجعة من يد أضعف خلق الله بنظره، فطال حزنه، وزاد كربه، واسودت الدنيا في عينيه.. وشعر بالفشل والإحباط، حتى احتاج إلى من يسلِّيه ويقوِّيه، ويصبِّره ويشجِّعه.

فكان بسر بن أبي ارطاة، هو الذي تولى هذا الأمر، فإنه قد ذاق طعم المذلة، ورضي بالخزي، حين اشترى حياته بوصمة العار تظهر على جبينه مدى الدهر في صورة عورته المكشوفة أمام عشرات الألوف في صفين..

فلا نملك إلا أن نقول: ويل لمن يشجعه بسر بن أبي أرطأة.

وهذا على حدِّ قولهم: ويل لمن كفره نمرود.

فضائل معاوية على طريقة أشعب:

لا يكاد يجهل أحد النادرة التي ينسبها الناس إلى أشعب، الذي أراد أن يدفع أذى الصبيان عن نفسه، فقال لهم: إذهبوا إلى بيت فلان،

فقد عمل وليمة. فتوجهوا إلى بيت ذلك الرجل.. فما لبث أشعب أن لحق بهم، لأن طمعه ، أو همه بأن من المحتمل أن يجد عند ذلك الرجل وليمة فعلاً..

وبنفس هذا المنطق صار الضالون المضلون يتعاملون مع أكاذيب هم صنعوها، وأباطيل هم اخترعوها، وأموراً أوهموا الناس أنها من الكرامات والإمتيازات، وليست هي منها.

فهذا بسر بن أبي أرطأة يشجع معاوية بمكذوبات من هذا القبيل، فقد زعم له:

1 - أنه ولي دم عثمان..

2 - أنه كاتب النبي «صلى الله عليه وآله»..

3 - أن عثمان مظلوم..

4 - وقال له: إنه عامل عمر بن الخطاب..

مع أن معاوية وبسراً وسائر الناس يعلمون:

أولاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يتخذ معاوية كاتباً.. بل غاية ما هناك أنه «صلى الله عليه وآله» قد كتب الكثير من الرسائل للملوك، والقبائل، وكتب القرآن.. وكان يكتب للناس الديون، ويكتب خرص النخل.. والمعاهدات.. غير ذلك.

فكان «صلى الله عليه وآله» إذا احتاج إلى كتابة شيء، يقول لمن حضره ممن يعرف الكتابة: اكتب كذا وكذا.. وكان هذا يتفق لكثير من الناس.. فلعل معاوية ساقته الصدف فكتب لبعض

القبائل ـ مرة أو أكثر ـ في شأن من الشؤون.. فهل هذه فضيلة له يعتد بها على الآخرين.

على أن الذين حصل لهم ذلك، ربما كانوا يعدون بالعشرات، إن لم يكن أكثر من ذلك..

ثانياً: قد ذكرنا: أن معاوية لم يكن ولي دم عثمان.. بل أولياء دم عثمان هم أبناؤه..

ثالثاً: لنفترض أنه كان ولي الدم، فهل يعد هذا فضيلة له؟! والحال أن ولي الدم قد يكون فاسقاً ومنحرفاً، وجاهلاً..

رابعاً: لنفترض أن عثمان كان مظلوماً، ولم نقل: إنه استأثر، فأساء الأثرة، وجزعوا، فأساؤوا الجزع.. فإن ذلك يبقى أمراً بينه وبين الذين قتلوه.. ولا ينفع معاوية بشيء.

خامساً: بالنسبة لكون معاوية عاملاً لعمر بن الخطاب، نقول: ما أكثر عمال عمر بن الخطاب، فما الذي ميَّز معاوية عن غيره من سائر عمال عمر بن الخطاب.

سادساً: لماذا أصبح العمل لعمر بن الخطاب فضيلة، ولم يكن العمل لغيره كذلك، فهناك كثيرون كانوا عمالاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله» على البلاد، فلماذا لا يميزونهم عن غيرهم بسبب ذلك.. كما أن الكثيرين كانوا يجاهدون بين يدي الرسول، ويكافحون وينافحون عنه، في حين كان معاوية في صفوف أعدائه، ومحاربيه «صلى الله عليه وآله».

معاوية يعترف بفضائل علي ×:

ويلاحظ: أن معاوية قد أقرَّ لعلي «عليه السلام» في هذا المورد بالذات بفضائل قد صاغ لها قوالب تخفِّف من وهجها، وهي:

1 ـ قدمه «عليه السلام» في الإسلام، فلم يقل: إنه أول الأمة إسلاماً وإيماناً..

2 ـ قرابته من الرسول «صلى الله عليه وآله». ولم يذكر فضيلته في أنه نفس الرسول «صلى الله عليه وآله» بنص القرآن، ولا أشار إلى أخوَّته له «صلى الله عليه وآله».

3 ـ بأسه في الحرب.. ولم يشر إلى جهاده وتضحياته «عليه السلام» في سبيل الله..

وأضاف عمرو بن العاص إلى ذلك:

4 ـ سيادة أبيه وأمه «عليه السلام» في بني هاشم..

5 ـ إنه فقيه في حجر قريش..

6 ـ إن المهاجرين والأنصار قد بايعوه..

ولم يكن من فضائله «عليه السلام» ـ التي لا تكاد تحصى ـ إلا هذا.

وعلى كل حال، فإن علياً «عليه السلام» لا يحتاج إلى شهادة معاوية، ولا ابن العاص، ولكن ذلك يذكرنا بقول الشاعر:

وفضائل شهد العدو بفضلها والفضل ما شهدت به

الأعداء

جزع معاوية على حرب لماذا؟!:

هذا.. ونحن نعلم أن معاوية كان يكره الموالي، وقد أراد أن يقتل شطراً منهم لمجرد أنه رآهم قد كثروا، فنهاه الأحنف وخوفه عواقب ذلك، فارتدع.. وكانت سياسته فيهم بالغة السوء.. وقد ذكرنا بعضاً من ذلك حين الحديث عن سياسة عمر بن الخطاب فيهم في هذا الكتاب، وفي كتابنا: «سلمان الفارسي في مواجهة التحدي»، فراجع.

وإذا كان معاوية يكره الموالي، فلماذا جزع على حرب، وهو منهم؟!

ولماذا منعه من مبارزة على «عليه السلام» حين خاف عليه القتل؟! مع أنه فرح بقتل عدد من كبار أعوانه وقواده لكلمة سمعها منهم، أو لتوهمه في حقهم أمراً مَّا، بل قد اتهم بقتل بعض هؤلاء أيضاً سراً.. فراجع ما ذكرناه عن فرحه بقتل ذي الكلاع، والنعمان بن جبر القضاعي، وعقيل بن مالك..

بل لقد كان من الموطئين لقتل عثمان، حيث منع من وصول النجدة إليه..

فلماذا يحزن على حرب، وهو مجرد خادم عنده، ولم يكن قريباً له، ولم يكن قرشياً، بل ولا عربياً؟!

ونجيب:

بأن معاوية لم يغتم لمقتل حرب حباً به، بل لأنه شعر بأنه فقد سنداً، كان يظن أنه سيسهم هو وأمثاله في إبعاد الخطر عنه، فكلما قتل أحد من هؤلاء شعر باقتراب الخطر منه.. ودليلنا على ذلك نفس هذه الشواهد التي ذكرناها آنفاً..

بل ويشهد على أن معاوية إنما اغتم بسبب تعاظم شعوره بالخوف، وهيمنة حالة الجبن عليه: أن بسراً وعمرواً قد عالجا نفس هذه الحالة لديه، فقد قال له بسر: «واستعمل الشجاعة والصبر» ثم تقول الرواية: «فلما سمع معاوية ذلك اشتد ظهره، واجترى على الحرب».

ويبدو: أن عمرو بن العاص، قد شعر بالإحباط الذي أصيب به معاوية، وأنه قد أسقط في يده، وبدأ يفكر في التملص والتخلص من الحرب، بأي ثمن كان، ولذلك قال له بعد أن ذكر بعض فضائل علي «عليه السلام»: «..ولكن والله، لنقاتلنَّه، أو نرده على عقبه صاغراً».

قيس بن سعد البصير والواعي:

ويبدو: أن قيس بن سعد، قد أدرك أيضاً: أن بسراً وعمرواً كانا بصدد تشجيع معاوية على مواصلة الحرب، وأنهما قد نجحا في ذلك.. وأن معاوية كان قد استوحش وهو يرى أن من كان يحتمي بهم، ويعتمد عليهم، يقتلون واحداً تلو الآخر.

ولذلك قال قيس لأمير المؤمنين «عليه السلام»: لا يهولنَّك أمر ابن آكلة الأكباد، فوالله، إنا لو قُتلنا عن آخرنا، حتى لا يبقى منا أحد

لعلمنا أننا على بصيرة من ديننا إلخ..

فإنه «رحمه الله» قد عرف أن معاوية أصبح يشعر بالخطر، ويخشى من قتل فرسانه على نفسه، وعلم بأن من يبقى بعدهم، سوف يتفرقون عنه.. فأراد قيس أن يقول لأمير المؤمنين «عليه السلام»، ليسمع معاوية ومن معه: أن أصحاب علي «عليه السلام» لن يتفرقوا عنه، لأنهم لو قتلوا عن آخرهم، حتى لا يبقى منهم أحد، لعلموا بأنهم على حق..

ولأن معاوية يعلم بأنه مبطل فيما يدعيه، وبأنه ليس معه أحد على بصيرة من دينه، أو يقين من أمره، فلا يستطيع أن يضمن صمودهم معه، بعد قتل أكثر شجعانهم..

ولأن للشعر أثره الكبير في النفوس، ولأنه سريع الإنتشار في البلاد وبين العباد، ولأنه يبقى في ذاكرة الناس، فإن قيساً قد سجل هذه المضامين في الشعر، لكي يتداوله الناس بسرعة، ويصل إلى معاوية وزمرته، وخصوصاً الذين يشجعونه ويقوُّونه ويعينونه.

الفصل الثامن:

لك العراق.. ولنا الشام..

بداية:

يبدو: أن معاوية وفريقه أصبحوا يشعرون بالخطورة أكثر من ذي قبل، فتحركوا لبذل المحاولة للفتنة بين أصحاب علي «عليه السلام» الخاوية من المضمون، والمؤدية إلى بلوغ أغراض القاسطين تارة أخرى، ونذكر في هذا الفصل بعض تلك المحاولات، فنقول:

مأزق عمرو بن العاص:

قال ابن أعثم:

وعبى «عليه السلام» أصحابه، فقال عمرو بن العاص لمعاوية: إئذن لي أن آتي ميسرة علي «عليه السلام»، فإنهم قوم من ربيعة، وهم أخوالي، فلعلي أرد عنك بعضهم إذا أنا شككتهم في الذي هم فيه.

قال: فقال معاوية: أبا عبد الله! أنا و أنت كما قال الأول: كبر عمرو عن الطوق، أما أنا فإني لا أحب لك أن تصير إليهم، فإن أحببت ذلك وأتيتهم فكن منهم على حذر.

قال: فأقبل عمرو على بغلة له شهباء، حتى دنا من ميسرة علي

«عليه السلام»، ثم نادى بأعلى صوته: يا أهل أمي! أنا عمرو بن العاص، فليخرج إلي رجل منكم!

قال: فخرج إليه رجل بن عبد القيس، يقال له عقيل بن ثويرة، فقال له عمرو: من أنت يا بن أخ؟!

فقال: أنا رجل من عبد القيس، شهدت يوم الجمل، فأبلاني الله بلاء حسناً، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس، وو الله إن لو كان بعدي رجل هو أعدى لك مني لما خرجت إليك.

ويلك! أما تستحي وأنت شيخ قريش؟! أنت تؤثر معاوية على علي «عليه السلام»، وتبيع دينك بمصر، وتنصر رجالاً من الطلقاء على رجل من سادات المهاجرين والأنصار؟!

قال: فتبسم عمرو، ثم قال: يا بن أخ! أحب أن يخرج إلي غيرك.

فقال الرجل: والله لا يخرج إليك إلا من هو مثلي في عداوتك.

ثم رجع إلى أصحابه. وخرج إلى عمرو رجل من بني تيم، يقال له طحل بن الأسود بن ردلج.

فقال له عمرو : من أنت يا بن أخ؟!

فقال: أنا من لا يقيلك عثرتك، ولا يقبل معذرتك، ولا يرحم عبرتك، ولا يبلعك ريقك، أما والله لقد أخذت دنيا دنية فانية بآخرة عند الله باقية، ولقد خالفت علياً «عليه السلام» وإنك لتعلم أنه خير من معاوية.

فقال عمرو: ليس لهذا دعوتك يا بن أخ! ولكن هل فيكم رجل من

عنزة؟!

قال: نعم.

قال عمرو: فادعه إلي.

قال: فرجع الرجل، وخرج إلى عمرو رجل من عنزة، فانتسب له، فرحب به عمرو.

فقال له العنزي: أما الترحيب، فإني أرده عليك.

وأما السلام، فإني لا أبالي به، فلا تظن أني دون صاحبي اللذين خرجا إليك من قبلي، فوالله ما خرجت إليك إلا وأنا أريد أن أجيبك بما يسوءك، وأنا الذي أقول:

يضرب الشام يا أمامة بالحق وأهل العراق بالتمحيص
وابن هند يدعو إلى النار وكعب يدعو إلى الترخيص
باعه القوم دينهم بمناه عرض بيع من البيوع رخيص
وعلي يدعو العباد إلى الله وفيما يقول عمرو(1) نكوص
وعزيز عليه ما عنت القوم حريص وذاك غير حريص
يا حماة العراق لا تسأموا اليوم في الضرب والطعان القريص
أطلقوا هذه النفوس عن الفرش وقرب النسا ولبس القميص
واحملوها على مباشرة الموت فما عن لقائه من محيص

(1) لعل الصحيح: غير.

تغلبوهم والراقصات على الشام بحكم الوصي للتمحيص

فقال له عمرو: يا هذا! إنه ما أتاني أحد أشد علي منك، فأخرج إلي رجلاً من بني هظيم.

قال: فرجع العنزي، وخرج إلى عمرو رجل من بني هظيم، فانتسب لعمرو، فإذا هو من أخواله.

فقال له عمرو: إنه لم يلقني أحد أحب إلي منك، لأنك من أخوالي، فالقني بالجميل حتى أفارقك.

فقال: قل ما تشاء!

فقال عمرو: إني إنما أتيتكم حميَّة مني لكم، فلا تفضحوني، واعلموا أن العرب لا بد لها من ذكر صفين بعد هذا اليوم، فلا تنكسوا رأسي، واكفوني أمركم ودعونا وعلياً وأصحابه.

قال: فقال له الرجل: يا عدو الله! أتخطب إلينا عقولنا؟!

فقال عمرو: لا، لعمرو الله، ما أخطب إليكم عقولكم، ولكن شرحبيل بن ذي الكلاع الحميري يزعم بأنكم لستم بأكفاء في الحروب، فلهذا جئتكم.

قال: فقال له الهظيمي: اغرب! قبَّحك الله، وقبَّح كلاعاً كلها، وقُبْحٌ لما جئت به(1).

فانصرف عمرو إلى عسكره، وأنشأ يقول:

---

(1) لعل الصحيح: ما جئت به.

نبذت إلى أهل العراق رسالة وصلت بها أرحام بكر بن وائل
وقلت لهم إن اليماني ناصب بها قومه الأدنين دون القبائل
أنفت لكم إذ قال ما قال جاهلا وما ذاك في قحطان أول جاهل
كرهت(1) ضرابا للعداة فإنما أراد بذاك القول قطع الوسائل
وإنكم لستم بأكفاء قومه وإن كفاة القوم أهل الفضائل
فقولوا إذا لاقيتم القول قوله ألا ليس منا القوم من لا يقاتل
وإلا فأنتم بالذي قال نفعه يتيهان للجرعاء أو شحم آكل

قال: فطمعت ربيعة في ود عمرو بن العاص، وجعل بعضهم يقول لبعض: إن ابن أختنا غضب لنا لما كان من كلام ابن ذي الكلاع الحميري،

قال: فوثب نعيم بن هبيرة الشيباني، فقال: يا معشر ربيعة! لا تغترُّوا بمقالة عمرو بن العاص لكم، فكما حرَّضكم على أصحاب معاوية، فكذلك قد حرَّض أصحاب معاوية عليكم، فاعلموا ذلك.

ثم أنشأ يقول في ذلك:

تمنت رجال ود عمرو سفاهة وفي وده والراقصات لنا الفنا
أراد ورب البيت حقا فناءنا وقال لهم مثل الذي قاله لنا
يقول له دين ودنيا قليلة وفي الدين يا بن العاص فيه لنا

(1) لعل الصحيح: كرهتم.

غنـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

فـإن تـك دنـيـا لا تـدوم أخـذتـها بدينك فاصبر عند مختلف القنـا

فـلا تـقـبـلوا منه الذي جاءكم به فــإن ابــن عاصــي الله مــا زال مفتنـــــــــــــــــــــــــــــــــــــا

إلى الله إلا أن صــدرك واغـــر وإن ابــن هنــد واغـر الصــدر بالقنـا(1)

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

لا أحب المصير إليهم:

تقدم: أن معاوية لم يكن يحب لعمرو بن العاص أن يذهب إلى أخواله من ربيعة، ليشككهم في موقفهم.. ولم يصرح لنا معاوية بسبب هذا الموقف..

غير أننا نستطيع أن نورد بعض الإحتمالات حول سبب ذلك، كأن نقول:

إن معاوية كان قد رأى بأم عينيه صلابة موقف ربيعة بمختلف فروعها وقبائلها، من خلال ما أظهرته من بطولات، وقدمته من تضحيات في صفين وسواها.. فكان يرى أن هذه المحاولة سوف تبوء بالفشل..

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص138 - 142.

وعدا ذلك، فإن من يذوق طعم عدل علي «عليه السلام»، ويرى طرفاً من أخلاقه، ويعيش في كنفه، لا يمكن أن يقنعه أي إنسان آخر سواه، إلا إذا كان من طينة علي «عليه السلام»، ومن صنع يديه، ونسب نفسه إليه، وتتلمذ عليه..

فهل يقنعه معاوية، وعمرو بن العاص، ومروان، والوليد بن عقبة، وغيرهم من بني أمية، الذين رأى الناس طرفاً من بغيهم وظلمهم، وعاينوا بعض أفاعيلهم؟!.

وقد كان معاوية يعرف هذا جيداً، ويسمع الناس يجهرون به، على سبيل الثناء على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وأهل بيته «عليهم السلام»، وأصحابه «رضوان الله عليهم»، والإنتقاص من أعدائه ومناوئيه..

بل ربما كانت محاولة عمرو بن العاص هذه مثالاً للسخرية بعقول الفريق الأموي. إن لم نقل: إنها سوف تفهم على أنها من مظاهر الضعف، والفشل الذي كان يهيمن على معاوية وأهل الشام.. الأمر الذي سوف يزيد من خطر مضاعفة جيش أمير المؤمنين «عليه السلام» إصراره على مواصلة مواجهته للأعداء، فيكون ذلك سبباً في تعقيد الأمور، ومضاعفة المشكلات أمام معاوية وحزبه.

ابن العاص شيخ قريش:

وقد وصف الرجل الذي كان من عبد القيس عمرواً بأنه شيخ قريش.. وقد كذب، أو بالغ في وصفه هذا على الأقل. إلا إن كان

يقصد أنه شيخ في الفريق المناوئ للحق وأهله، وهم أهل الدنيا من قريش.. لا كل قريش، حتى بني هاشم رضوان الله تعالى عليهم..

وربما وصفه بذلك بملاحظة كبر سن عمرو بالنسبة لغيره من رجال هذا الفريق من قريش.. ولم يقصد أنه شيخ قريش في الكرامة والسؤدد والمقام..

أصحاب علي × يرصدون الأحداث:

وقد دل الشعر الذي قاله ذلك الرجل العنزي على أنه كان راصداً لما يجري متفهماً لمغازيه ومراميه، مدركاً لكثير من دلالاته.. فلاحظ على سبيل المثال ما يلي:

1 ـ ذكر «رحمه الله» أن أهل الشام قد تركوا الحق، واتبعوا الهوى، فهم بحاجة إلى أن يواجهوا بالحق، ويدمغوا به.

أما أهل العراق، فقد التزموا بالحق، وقبلوه، ولكن لا بد من ابتلائهم وتمحيصهم، بالبلاء إلى الحد الذي تتبلور فيه شخصيتهم، وتصفو نفوسهم، وتترسخ علاقتهم بالحق، ويمتاز الضعيف من القوي، والصابر الراضي من غيره، وما إلى ذلك.

وهذا هو ما أشار إليه بقوله:

يضرب الشام يا أمامة بالحق ... واهل العراق بالتمحيص

2 ـ ثم قال:

وابن هند يدعو إلى النا ... ر وكعب يدعو إلى

الترخيص

ليدل على أن من سوء طالع معاوية: أن يصبح مقصداً لعلماء السوء، ليزينوا له باطله، ويعينوه على اقتحام أطباق جهنم، بخروجه على إمامه، وقتله الأبرياء، وإطلاقه الإتهامات الكاذبة ضد الحق، وأهل الحق. فهم ليس فقط لا ينهونه عن هذه المنكرات وسواها، بل هم يروون له ما يبرر له مواصلة ارتكابها، ويحسنونها بعينه، ويقدمون له مما يروونه الرخص بارتكابها..

وبالرغم من أن أهل الشام يرون هذا وذاك بأم أعينهم، وبالرغم من شدة وضوح الأمور لهم، فإن حبهم للدنيا يجعلهم يتقبلون ذلك بكل رضا، ويندفعون إلى مساعدة أولئك الحكام على باطلهم، بل هم يحمونهم، ويحاربون تحت لوائهم الحق والدين، ويقتلون المسلمين.. فهم قد باعوه دينهم مقابل أماني يزجيها لهم، فما أرخص الدين الذي باعوه، وما أحقر وأخزى ما اشتروه، فقد قال هذا العنزي:

باعه القوم دينهم بمناه عرض بيع من البيوع رخيص

3 ـ وفي مقابل ذلك فإن علياً «عليه السلام» يدعو العباد إلى الله، ولا يريد منهم أن يبيعوه دينهم، ولا أن يضحُّوا في سبيله بأي شيء.. لأنه أشبه الناس برسول الله «صلى الله عليه وآله» في محبته للمؤمنين، فهو من أنفسهم ـ يعني المؤمنين ـ عزيز عليه أدنى عنت يصيبهم، حريص عليهم، بالمؤمنين رؤوف رحيم.

ولذلك قال هذا العنزي:

وعلي يـدعـوا العبـاد إلى اللـ ـه وفيمـا يقـول عمـرو نكـوص
وعزيـز عليـه مـا عنت القو م حريـــص، وذاك غيـــر حـريص

في إشارة منه إلى قوله تعالى: (**لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**)(1).

4 ـ ومما يدل على رقي وعي هذا العنزي قوله لأهل العراق:

يـا حمـاة العراق لا تسأموا اليو م في الضرب والطعان القريص
اطـلـقوا هذه النفوس عن الفُرْ شِ وقـــرب النســا ولــبس القميص

حيث أشار إلى أن على المحارب أن يبتعد عن الملذات، التي تجعله يتعلق بالدنيا، وتحجزه عن بذل النفس في سبيل الله، وتحمُّل آلام الجراح.. ومن هذه الملذات معاشرة النساء، والإستفادة من الفرش الوثيرة، والألبسة اللينة والناعمة. وما إلى ذلك..

5 ـ ثم إن هذا العنزي لم ينس وصف أمير المؤمنين «عليه السلام» بالوصي، وهو الوصف الذي لم نجد أحداً يعترض عليه، أو ينازع فيه، أو يبدي فيه أي ريب، أو يثير حوله أية شبهة..

السموم التي نفثها عمرو:

أما السموم التي نفثها عمرو في أوهام أخواله من ربيعة، فكان

(1) الآية 128 من سورة التوبة.

سببها أنه قد تظاهر بالحمية لهم، وبالحرص عليهم، وعلى سمعتهم، لأن حرب صفين سوف يخلدها الدهر، ويتداول أخبارها الناس، ولا يريد لهم أن يذكرهم التاريخ بالجبن والضعف. مدعياً لهم: أن شرحبيل ابن ذي الكلاع أخبره: بأنهم ليسوا من أهل الحرب، وأنهم ليسوا أكفاء لأهل اليمن، زاعماً أن هذا الأمر قد أغضبه، فجاء يخبرهم بما سمع، لينصحهم، وليحرضهم على اليمانيين، الذين يعادونهم، والذين يتزعمهم شرحبيل.

فتراه قد وضع إصبعه على الموضع الحساس والمؤلم لهم، ثم نصحهم باعتزال الحرب.

فظن بعض أخواله أنه صادق فيما ادعاه من الغضب لهم، ونصحهم، بالرغم من أن الذين وشى بهم إليهم، هم أهل اليمن، وهم أنصاره، ويحاربون معه..

نعيم بن هبيرة أوضح لهم:

وقد أدرك نعيم بن هبيرة ما رمى إليه عمرو بن العاص، فأطلق صرخته التحذيرية لهم، لكي لا يقعوا في حبائل مكره، وأعلمهم أن عمرواً قد لعب على الوتر العشائري والعرقي، يريد أن يوقع العداوة بين اليمانين، وبين ربيعة، فقبول ما ادعاه معناه أن تتكرس هذه العداوة بين هذين الفريقين إلى ما شاء الله، وهذا معناه فناء الفريقين..

وقد قال نعيم لقومه: إن عمرواً كما قال لربيعة هذا على لسان شرحبيل بن ذي الكلاع، فإنه قد قال مثله لشرحبيل، ولقومه أيضاً..

ويبدو: أن هذا التوضيح قد حسم الأمر، وأفشل خطة عمرو بن العاص..

الوفد الفاشل، والمفاوضات الفاشلة:

قال ابن أعثم:

قال: وأصبح الناس عازمين على الحرب، فلم يعبِّ معاوية أصحابه كما كان يعبيهم من قبل، لكنه وجه إلى علي «عليه السلام» بجماعة من قريش وغيرهم من أهل الشام يكلمونه، منهم عمرو بن العاص، وعتبة بن أبي سفيان، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، وجماعة من عرب الشام.

فأقبلوا حتى وقفوا قريباً من عسكر علي «عليه السلام». ثم بعثوا إليه يسألونه أن يأذن لهم في كلامه.

فقال «عليه السلام»: ما أمنعهم من ذلك.

قال: فأقبلوا حتى دخلوا العسكر، ثم صاروا إلى علي «عليه السلام» وهو في خيمته، فسلموا، فرد عليهم السلام، ومجلسه يومئذ غاص بالمهاجرين والأنصار.

فقال: تكلموا بما أحببتم!

فقال عمرو بن العاص: بل أنت فتكلم يا أبا الحسن! فإنك أول من آمن بربنا، وبقي حقك العظيم على الناس، وأنت أول من صدق بنبينا محمد «صلى الله عليه وآله»، وصلى إلى قبلتنا، ووحَّد الله قبلنا.

فقال علي «عليه السلام»: إن أول كلامي أن أثني على الله ربي أحسن الثناء طول الحياة، وبعد الممات، وأحمده على طول العافية، وحسن البلاء، وفي كل حال من شدة ورخاء.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بعثه الله رحمة للعالمين، وخاتماً للنبيين، فأدى عن الله ما أمره، وعبد ربه حتى أتاه اليقين، فصلى الله عليه [وآله] وسلم كثيراً.

ثم إن الله تبارك وتعالى قد ابتلانا أيتها الأمة بما ترون، والمستعان بالله ولا قوة إلا بالله.

وبعد، فالله يعلم أني كنت كارهاً أن أتولى شيئاً من أمور أمة محمد «صلى الله عليه وآله»، ولكن قوماً أنكروا على عثمان، فاجتمعوا على قتله، فقتلوه وأنا جالس في منزلي لا آمِر ولا ناه، وإنما قتلوه وتذاكروا عني بالبيعة، فكرهت ذلك.

ثم إني توكلت على الله، وأحببت أن يكون بقية عمري في صلاح أمور الأمة، فبايعت القوم على العمل بكتاب الله، وسنة نبيه محمد «صلى الله عليه وآله».

ثم إن جماعة ممن بايعني غدر بي، ونكث بيعتي، فقد حكم الله بيني وبين بعضهم، والله للباقين بالمرصاد.

ألا! وإني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبي الله، فإن تجيبوا إلى

ذلك فالرشد أصبتم، وللخير وفقتم. وإن تأبوا ذلك لم تروا(1) من الله إلا بعداً ـ والسلام ـ.

قال: فلما فرغ علي «عليه السلام» من كلامه، تكلم عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما بعد، فإن عثمان ـ «رضي الله عنه»، وجعل ما أصابه كفارة لذنوبه ـ قد كان أفضل أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» حسباً ونسباً، وقدماً وصهراً، فالله حسيب قاتله وخاذله.

وأيم الله إننا لنعلم أن علياً «عليه السلام» ومن معه من المهاجرين والأنصار، قد كانت لهم سوابق قديمة عظيمة، وفضل لا يجهل، وقد رأينا رأيا نسأل الله تعالى فيه التوفيق لما يحب ويرضى، ولعل الله تبارك وتعالى يحقن دماءنا ويصلح ذات البين، وهؤلاء أشرافنا من أهل الشام قد اجتمعوا لذلك، وكذلك أشراف أهل العراق مجتمعون يا أبا الحسن، وأنتم يا معشر من حضر.

قال: فقال علي «عليه السلام»: تكلموا بما تريدون حتى ننظر ما الذي تطلبون.

قال: فتكلم شرحبيل بن السمط، فقال: أما بعد، فيا معشر أهل العراق! إن الله تبارك وتعالى، قد جعل بيننا حقوقاً عظاماً من الأرحام الماسة، والأنساب القريبة، والأصهار الشابكة.

---

(1) لعل الصحيح: لم تزدادوا.

وقد علمنا يا أبا الحسن! أن لك سابقة مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وصهراً، وقرابةً، وفقهاً في الدين، وبأساً، وتجربةً، وشرفاً قديماً، والله يعلم، وإنك لتعلم، أنا قد اقتتلنا لحمية الجاهلية بالسيوف الهندية، لأنها جارات القرب(1)، وحصون الحومات(2)، وأنها بيضة الروم.

وأما حرماتكم، فإنها بيضة فارس.

وقد رأينا أن تنصرف عنا يا أبا الحسن أنت ومن معك، فنخلي بينكم وبين عراقكم وحجازكم، وتخلونا بيننا وبين شامنا، ونحقن دماء المسلمين.

والله يعلم أنني قد أتيت بغاية النصيحة، وما توفيقي إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

قال: فقال علي «عليه السلام»: والله لقد نظرت في هذا الأمر، فضربت ظهره وبطنه، وأنفه وعينه، حتى لقد منعني النوم، فما وجدته يسعني إلا قتالكم، أو الكفر بما جاء به محمد «صلى الله عليه وآله»، وأيم الله لوددت أنني فديت حقن دماء المسلمين بمهجتي.

ولكن قولوا لصاحبكم هذا حتى يخرج إلى هذه الصحراء.

ثم إني أدعو الله، ويدعو هو أيضاً، أن يقتل المحق منا المبطل، ثم

(1) لعل المقصود: جارات العدو القريب.

(2) لعل الصحيح: الحرمات. أو المراد: حومات الوغى.

إني أبارزه، فأينا قتل صاحبه ملتم معه بأجمعكم، فوالله لا يقاتل مع معاوية أحد إلا أكبه الله غداً في نار جهنم.

قال: فالتفت الشامي إلى أصحابه، فقال: ما يقعدكم؟! انهضوا! فلا والله ما عند هذا الرجل إلا السيف.

قال : فوثب أهل الشام، وهم يقولون: هلكت العرب، ورب محمد.

ثم رجعوا إلى معاوية، فأخبروه بذلك، فعلم معاوية أن علياً «عليه السلام» لا يجيبه إلى شيء مما يريد.

قال: وبات الفريقان ليلتهم تلك، وليس فيهم أحد ينام لما قد عزموا عليه من مباكرة الحرب(1).

ونقول:

علينا أن نتدبر في الأمور التالية:

الوفد الشامي يستأذن:

تقدم: أن معاوية أرسل وفداً إلى أمير المؤمنين «عليه السلام» ليكلموه في شأن الحرب، فاستأذنونه في المجيء إليه.

فقال «عليه السلام»: «ما أمنعهم من ذلك»

واختياره «عليه السلام» لهذه الصيغة لم يكن عفوياً، فلعله «عليه السلام» اختارها:

---

(1) الفتوح لابن أعثم (ط دار الأضواء) ج3 ص168 - 170

أولاً: ليدل على أنه لم يعد لهؤلاء حق في أن يكلموه، أو حتى أن يجالسوه، لأنهم أصبحوا قتلة ومجرمين، وبغاة. وليسوا أهلاً للكرامة، ولا موضعاً للرفق، ولا يستحقون غير العقوبة، لأنهم قد أتوا ما أتوه بعد إقامة الحجة عليهم، فهم قد فعلوا ذلك عن سابق علم وتصميم، وليس لديهم أية شبهة.. ولم يعد لهم الحق في طرح أي اقتراح.

ثانياً: إن أي اقتراح يقدمونه سوى الاستسلام لحكم الشرع والدين، سيكون ظالماً وجائراً، وعدواناً على الحق وأهله، واستئثاراً به، لأنفسهم على سبيل الظلم والإستلاب.

ثالثاً: إن هذا المقدار من الرخصة المعطاة من شأنه أن يجعل المسؤولية عن كل ما يحصل لهم تقع على عاتقهم، فإن صدر منهم شيء يكون لغيرهم السبيل عليهم، ومن كانت له ثارات عندهم، وأراد أن يستوفيها منهم، فذلك لا يرتبط به، ولا يرتب عليه أية مسؤولية، ولا يهتم له، وليس لهم أن يتوقعوا دفع ذلك عنهم.. لأن غاية ما ضمنه لهم: هو أن لا يمنعهم من الوصول إليه، وأن يمنحهم حرية التكلم بما يريدون.. فإن تجاوزوا الحدود في كلامهم، فعليهم هم أن يدافعوا عن أنفسهم. وإن طلبهم بعض من له حق عندهم بحقه، فليس لأحد أن يطالبه بدفعه، وحمايتهم منه..

حشد المهاجرين والأنصار:

وقد تقدم: أن مجلسه حين ورد ذلك الوفد عليه كان غاصاً بالمهاجرين والأنصار.. ولا شك في أن هذا سوف يحرج هؤلاء

المجرمين، ويحد من قدرتهم على السفه والتجني والإفتراء، والتحريف للوقائع.

كما أن هذا المشهد الحافل بهذه الثلة من أهل الفضل والعقل، والدين والمعرفة، يصغرهم عند أنفسهم، ويهيء الفرصة لكل حاضر وناظر: أن يقوم بعملية مقاربة بين هذا الفريق الذي لا هم له إلا حفظ الذين، والدفاع عن أهله، وعن المستضعفين.. وبين ذلك الفريق الذي أوغل في دماء المسلمين، وطغى وبغى، وظلم واعتدى، ولا يزال يفعل ذلك، ويصر عليه إلى أبعد مدى..

أوليات علي ×:

وقد بادر عمرو بن العاص إلى التظاهر بالإنصاف، وتكلُّف التصرف بأدب بطلبه من أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يكون هو الذي يبدأ الكلام، ويطرح الحل الذي يراه..

فيكون عمرو بن العاص قد استفاد من ذلك ما يلي:

1 ـ الظهور بمظهر المتأدب والمنصف..

2 ـ تحاشي أن يأتي بحركة تغضب أمير المؤمنين «عليه السلام»، فيفاجئوه بما لا طاقة له به، ولم يكن في حسبانه.

3 ـ إنه يكون قد سمع وعرف توجهات ومنحى أمير المؤمنين «عليه السلام»، والمدى الذي يذهب إليه.

4 ـ إنه يكون ـ بزعمه ـ قد قدم بذلك رشوة له «عليه السلام»،

فلعلها تنفع في تليين عريكته، والتخفيف من صلابته «عليه السلام» في الحق..

والرشوة التي قدمها على شكل اعتراف وثناء، لم تكن من كيس عمرو، بل كانت من صنع أمير المؤمنين «عليه السلام» نفسه، لكن ما فعله عمرو هو التذكير والإعتراف مرغماً بها وحسب.. وهي تتمثل بالأوليات التالية:

ألف: إنه «عليه السلام» أول من آمن بالرب.

ب: إنه «عليه السلام» أول من صدق النبي «صلى الله عليه وآله»..

ج: إنه صلى إلى القبلة، ووحد الله قبلهم..

د: ولكنه أشار من طرف خفي إلى جهاد وتضحيات علي «عليه السلام»، بقوله: إنه «عليه السلام» قد بقي حقه العظيم على الناس. لكي لا يفهم أعراب أهل الشام المقصود، فلعل ذلك يغير من توجهاتهم..

ويلاحظ ما يلي:

أولاً: إن جميع ما ذكره عمرو بن العاص باستثناء هذا الأمر الأخير يرجع إلى أمر واحد، وهو أن علياً «عليه السلام» أول من آمن بهذ الدين وعمل به..

ثانياً: إن جميع ما ذكره يرجع إلى أمر شخصي صدر منه «عليه السلام»، وليس فيه أي تصريح بتضحيات وجهاد علي «عليه

السلام»، إلا على ذلك النحو المبهم الذي ألمحنا إليه. كما أنه لم يشر إلى ما أنزله الله تعالى فيه من آيات، ولا إلى كلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقه، وإشاداته بفضائله، وما له «عليه السلام» من صفات وسمات.. ولا إلى مواقفه الدالة على عظيم مقامه وفضله «عليه السلام»..

كما أنه لم يشر إلى ما حباه الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» له «عليه السلام» من كرامات ومقامات، ولا ذكر البيعة له في يوم الغدير، ولا أشار إلى بيعة الأمة له وعلى رأسها المهاجرون والأنصار، وصيرورته إماماً للمسلمين، وحاكماً مفترض الطاعة عليهم..

الإبتلاء الحسن:

أما ما قاله أمير المؤمنين «عليه السلام» فقد تضمن حمداً لله تعالى على حسن بلائه، وحمداً له تعالى في كل حال، في شدة، أو رخاء.. ثم عاد، فصرح بأن ما هم فيه، إنما هو ابتلاء لهم من الله سبحانه، والله المستعان، ولا قوة إلا بالله..

والسؤال هو: إن ما يجري لم يكن من عمل الله تعالى، بل كان بسوء اختيار معاوية وأعوانه. فما معنى أن ينسبه «عليه السلام» إلى الله تعالى، ويعتبره من ابتلاءاته؟!

فهل كان «عليه السلام» ممن ينسب أفعال العباد إلى الله تعالى، وأنه هو الذي يفعل ويتصرف، ولا خيار لهم في ذلك؟! إن ما نعرفه

هو أنه «عليه السلام» بريء من ذلك.. لاستلزامه نسبة القبائح إليه سبحانه، ولأن ذلك يبطل الثواب والعقاب.. وغير ذلك من محاذير..

ونجيب:

أولاً: قد ذكرنا أكثر من مرة: أن الله سبحانه هو الذي يفيض الوجود على الأشياء، ومنها أفعال العباد، ولكنه سبحانه جعل إفاضته الوجود على أفعالهم مشروطة ومرهونة بسبق شوقهم إليها، واختيارهم لتلك الأفعال، فاختيار الإنسان للفعل سابق على إرادة وإفاضة الله سبحانه، ومن أسبابها ومبادئ حصولها..

ثانياً: إن الله سبحانه قد اختار علياً «عليه السلام» إماماً وولياً، وحاكماً.. ولئن منعه الناس من ممارسة هذا الحق، واستأثروا به لأنفسهم، فقد تهيأت له الظروف بعد قتل عثمان بنحو أصبح «عليه السلام» حاكماً وخليفة بالفعل، وصار مكلفاً بإقامة الشريعة، وحفظ شؤون الأمة، ورد الظالمين عن ظلمهم، ودفع البغاة عن بغيهم، والمتلاعبين بالدين عن تلاعبهم.

فإذا ظهر ظالم، أو طاغ، أو باغ، أو محارب لله ورسوله، فإن علياً «عليه السلام» بحكم إمامته، ولكون حاكميته أصبحت فعلية ومنجزة ببيعة الناس له، وأصبح قادراً على دفع غائلة ذلك الباغي والظالم، فيجب عليه ردعه ومحاربته، وحفظ الأمة والدين من شره.

وهذا هو الإبتلاء الذي يجب عليه «عليه السلام» القبول به، وتحمل مسؤولياته، والعمل بموجباته، وفقاً لشرع الله سبحانه، وعملاً

بما اقتضته المسؤولية التي جعلها الله سبحانه على عاتقه..

علي × مع الحق:

وقد تعمد علي «عليه السلام» أن يروي أمام أئمة الكفر، وحملة لواء البغي، والتزوير والإفتراء عليه ـ يروي ـ ما جرى له، ويقرر الحقيقة التي طالما جهدوا لتزويرها، وشنوا هذه الحرب، بل وسائر الحروب عليه انطلاقاً من هذا التزوير، واعتماداً عليه.. ليكون قبولهم بالحق وإقرارهم به نقضاً لأكاذيبهم، وإبطالاً لافتراءاتهم عليه فيها.

فذكر لهم أنه كان كارهاً للبيعة، وإن قوماً قتلوا عثمان وعلي «عليه السلام» جالس في بيته، لا آمر ولا ناه، فلما قتل عثمان رأوا أن يبايعوه «عليه السلام»، فرفض البيعة، ثم رضي بها أملاً في صلاح أمور الأمة، فبايعهم على العمل بالكتاب وسنة النبي «صلى الله عليه وآله» ثم نكثوا بيعته إلخ..

من هم الناكثون بعد حرب الجمل؟!:

ثم ذكر «عليه السلام»: أن جماعة ممن بايعوه قد غدروا به، ونكثوا بيعته، وقد حكم الله سبحانه بينه وبين بعضهم، والله للباقين بالمرصاد.

والظاهر الذي لا لبس فيه: أنه «عليه السلام» يقصد بالناكثين الذين حكم الله تعالى بينه وبينهم: أصحاب الجمل.. ولكنه لم يبيِّن لنا من هم الباقون الذين قال «عليه السلام»: إن الله تعالى لهم بالمرصاد،

بل اعتمد في بيانهم على قرينة الحال، وكان واضحاً: أنه «عليه السلام» كان يقصد بالباقين من الناكثين معاوية وأصحابه.. وقد تقدم نظير هذا في بعض المباحث في هذا الكتاب، حيث أوضح «عليه السلام» أنه يعتبر معاوية ناكثاً أيضاً، بالإضافة إلى كونه قاسطاً..

وسبب ذلك: أنه بعد بيعة أهل بدر، والمهاجرين والأنصار له، فإن بيعته «عليه السلام» وهو في المدينة قد لزمت معاوية وهو بالشام، فليس للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد.. لأن البيعة قد انعقدت، فالغائب عنها ملزم بالوفاء بها، وليس له الحق في نقضها ونكثها، بل يكون بعمله هذا متمرداً على الله سبحانه، محارباً له، رافضاً لأحكامه..

هذا كله بغض النظر عن بيعة الغدير، وعن النص الإلهي على إمامته «عليه السلام»، فإنه «عليه السلام» يلزمهم بما ألزموا به أنفسهم.

ما عرضه علي × على القاسطين:

وقد رأينا أنه «عليه السلام» قد استعمل مع أعدائه في هذا الموقف أيضاً منتهى الحكمة، والزمهم بالحجة. حيث إنه بالرغم من أن حربهم له قد كلفت الأمة عشرات الألوف من الشهداء والقتلى والجرحى، وفيهم أمثال: عمار، والمرقال، وابن بديل، وجندب بن زهير، وذي الشهادتين، وأويس القرني، ونظرائهم.. فإنه لم يعنف

بهم، ولم يتهددهم، بل أعاد على مسامعهم ما كان قد عرضه عليهم، وعلى غيرهم من أول يوم، وهو أن يعملوا بما يجب عليهم، وهو الخضوع لله سبحانه وتعالى، والإلتزام بأحكامه، والتراجع عن بغيهم على إمامهم الذي ثبتت حاكميته، وصحة خلافته ببيعة أهل بدر والمهاجرين والأنصار له.. وليس لهم أن يردوها، أو أن يترددوا فيها.

فإن فعلوا ما يجب عليهم، فقد اصابوا رشدهم، وللخير وفقوا، وإن أبوا ذلك لم يزدادوا من الله إلا بعد.. ولم يذكر لهم أي شرط سوى أن يرضوا بكتاب الله وسنة نبيه..

البغي الذي لا يطاق:

ولكن عمرو بن العاص وفريقه قد قابلوا هذا الحلم الذي لا يجارى، ولا يكون إلا من علي «عليه السلام» الذي امتحن الله تعالى قلبه للتقوى ـ قابلوه ـ ببغي صلف، وافتراءات شديدة الوقاحة، وأكاذيب يندى لها الجبين، فلاحظ على سبيل المثال ما يلي:

عثمان أفضل الصحابة حسباً:

زعم عمرو بن العاص أن عثمان أفضل اصحاب محمد حسباً..

وهذا كلام ظاهر البطلان.

فأولاً: إن هذا الكلام لا يرضاه منه حتى من هم على شاكلته..

فهم يفضلون أبا بكر، وعمر على عثمان.. ونريد أن لا نذكر أمير المؤمنين «عليه السلام» لأن الأمر لا يحتاج إلى ذلك.

ثانياً: لا أدري إن كان ينبغي أن نطلب من ابن العاص أن يدلنا أين كان عثمان في خيبر وحنين، والخندق؟!

بل أين كان في أُحد، وكم يوماً بقي تائهاً في هزيمته حتى عاد إلى المدينة؟!

ولمن قال النبي «صلى الله عليه وآله» حين عاد بعد ثلاثة أيام من الهزيمة: لقد ذهبت فيها عريضة(1).

---

(1) الإرشاد للمفيد ص50 و (ط دار المفيد) ج1 ص84 والمستجاد من الإرشاد (المجموعة) ص65 وعين العبرة في غبن العترة ص35 و 36 وبحار الأنوار ج20 ص84 و 139 و 144 وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج15 ص21 والنص والإجتهاد للسيد شرف الدين ص326 وتفسير التبيان للطوسي ج3 ص26 ومجمع البيان ج2 ص423 وجامع البيان ج4 ص96 و (ط دار الفكر سنة 1415هـ) ج4 ص194 والتفسير الكبير للرازي ج9 ص50 و 61 والدر المنثور ج2 ص89 وأسد الغابة ج3 ص419 وتاريخ الأمم والملوك ج2 ص203 والكامل في التاريخ ج2 ص158 والبداية والنهاية ج4 ص28 و (ط دار إحياء التراث العربي) ج4 ص32 والسيرة النبوية لابن إسحاق ص332 و (بتحقيق محمد حميد الله) ج3 ص311 والدر النظيم ص159 وكشف الغمة ج1 ص193 والسيرة النبوية لابن كثير ج3 ص55 والسيرة الحلبية ج2 ص227 و (ط دار المعرفة) ج2 ص504 وراجع: تفسير المنار ج4 ص191 والجامع لاحكام القرآن ج4 ص244 وفتح القدير ج1 ص392 وتفسير القرآن العظيم ج1 ص414 وغرائب القرآن (مطبوع بهامش جامع البيان) ج4 ص113 وأنساب

وهل عرف لنا شيئاً عن تدبيرات وتخطيطات عثمان لما سيفعله بعد أن يفوز المشركون في حرب أحد، حسب توهماته؟!

وهل يتذكر عمرو بن العاص ما الذي جرى بين عمار وعثمان حين بناء المسجد في المرة الثانية، حتى انتصر النبي «صلى الله عليه وآله» لعمار، وغضب على الشخص الآخر؟!

وهل يسمي لنا عمرو الشخص الآخر الذي غضب عليه النبي «صلى الله عليه وآله»..

وهل يحكي لنا ابن العاص شيئاً عما جرى بين عثمان وبين زوجته حتى غضب النبي «صلى الله عليه وآله»، وأرسل علياً «عليه السلام» ليأتيه بها؟! ولماذا منع النبي «صلى الله عليه وآله» عثمان من دخول قبرها، حيث كان قد قارب الجارية ليلة وفاتها، وكان جنباً؟!

وهل؟! وهل؟!

وهل يمكن بعد هذا لعمرو أن يطلق قوله: إن عثمان كان أفضل أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» حسباً؟!

عثمان أفضل الناس نسباً:

وأما أفضلية نسب عثمان على سائر الصحابة، فلا ريب في أن

الأشراف ج 1 ص 326 .

نسب الرسول «صلى الله عليه وآله» أفضل وأشرف الأنساب، ولا يمكن أن يقاس به نسب أحد.. وإطلاق عمرو كلامه بهذه الطريقة جرأة على الرسول «صلى الله عليه وآله» تصل إلى حد الطعن في نسبه الشريف..

وإذا كان كذلك، فإن جميع بني هاشم كانوا الأفضل والأشرف نسباً من عثمان، ومن بني هاشم على «عليه السلام» والحسنان.. والعباس، والحمزة، وجعفر، وغيرهم.. وغيرهم..

ولا نريد أن ندخل في متاهات الطعن في الأنساب، وما قيل، وما يقال فيها.. فإننا لسنا ملزمين بتصديق كل ما جاء فيها..

قدم وصهر عثمان هو الأفضل:

وأما ادعاء أن عثمان أفضل الصحابة قدماً، وصهراً، فقد ظهر الكلام فيه مما سبق. على أننا قد ذكرنا في كتبنا حول بنات الرسول «صلى الله عليه وآله» أن زوجتي عثمان لسن بنات الرسول «صلى الله عليه وآله» من صلبه، بل هن بناته بالتربية والرعاية.. وقد ذكرنا شواهد كثيرة تدل على ذلك.. وقد مر معنا في نفس هذا الكتاب العديد من الشواهد على ذلك أيضاً..

الله حسيب خاذل عثمان:

وتقدم قول عمرو بن العاص عن عثمان: الله حسيب قاتله وخاذله. فإن كان يقصد بخاذله: أمير المؤمنين «عليه السلام»، فقد تقدم في هذا

الكتاب أنه «عليه السلام» قد حاول مساعدة عثمان على حل مشكلته مع الثائرين عليه، ولكن عثمان كان هو الذي يخلف وعوده في كل مرة..

يضاف إلى ذلك: أن علياً «عليه السلام» حين حصار عثمان أرسل ولديه إلى عثمان يعرضان عليه المساعدة، فردهما إلى أبيهما.

كما أنه هو الذي طلب من علي «عليه السلام» أخيراً أن لا يتدخل لحل الخلاف بينه وبين مناوئيه.

والأهم من ذلك: أن معاوية كان هو الآخر من خاذلي عثمان، حيث أرسل إلى الجيش الذي بعثه لنجدته يأمرهم بعدم الإقتراب من المدينة، وعدم دخولها..

هذا فضلاً عما هو معلوم من تحريض عائشة على عثمان، وأمرها الناس بقتله، وحكمها عليه بالكفر، ثم ما كان لطلحة من دور في قتله، والتحريض عليه، وكذلك الحال بالنسبة للزبير.. فضلاً عن سائر الصحابة.. وأهل المدينة وسواها..

مساواة علي × بسائر الصحابة:

ثم إن عمرو بن العاص بعد أن فضل عثمان على سائر الصحابة بالحسب والنسب، والقدم والصهر.. استدرك على كل ما قاله حول: أن علياً «عليه السلام» أول الناس إسلاماً، وإيماناً، وأول من صلى إلى القبلة. فأكذب نفسه بادعائه أنه «عليه السلام»، ومن معه من المهاجرين والأنصار لهم سوابق قديمة عظيمة، وفضل لا يجهل..

فساوى بينه «عليه السلام» وبين الصحابة الذين معه، بعد أن فضل عثمان على الجميع.

ثم أحال الكلام على شرحبيل بن السمط، ليكون هو المقترح للحل على أمير المؤمنين «عليه السلام»..

عراقكم لكم، وشامنا لنا:

1 - ثم حاول شرحبيل أن يثني على أمير المؤمنين «عليه السلام» في أمور هي أقرب إلى ذهنية أهل الجاهلية منها إلى أهل الإسلام، فلا تجد فيها اهتماماً بالإشارة إلى الآيات النازلة في فضله «عليه السلام»، ولا بأقوال النبي «صلى الله عليه وآله» في حقه، ولا إلى جهاده ومواقفه وتضحياته في سبيل الدين، ولا إلى المعاني الإنسانية والإيمانية، والإخلاقية النبيلة، بل هي تنضح بالفخر وبالعنفوان، والقوة والبأس، والإنساب والتجربة، والشرف ونحو ذلك..

2 - ثم عقب ذلك باقتراح يكرس الظلم والبغي، والعدوان.

ويتلخص اقتراح شرحبيل بكلمتين هما: إن عراقكم لكم، وشامنا لنا. ثم هو يمتن على أمير المؤمنين «عليه السلام» بإن اقتراحه هذا هو غاية النصيحة منه..

ويا ليته بين لنا مصير غير العراق والشام من سائر البلاد أيضاً، كالحجاز، واليمن، والبحرين، وسائر بلاد الخليج، فضلاً عن بلاد فارس.. ومصير مصر والأردن، وفلسطين وسائر البلاد..

كما أن شرحبيل لم يوضح لنا من أين، وكيف، وبماذا صارت الشام لمعاوية، وبني أمية مع أن هؤلاء من الطلقاء، الذين ليس لهم في هذا الأمر نصيب؟!

ولماذا لا تعطى الحجاز لأبي الأعور، أو الضحاك مثلاً؟!

ولماذا لا تعطى البحرين للأحنف، أو للأشعث؟!

ولماذا لا تعطى بلاد السودان ومصر لقنبر، ومصر وبلاد فارس لسلمان؟!

ولماذا؟! ولماذا؟!

وما الذي جعل لمعاوية الحق في هذا البلد دون ذاك؟!

ولماذا لم يجعل لمئات الألوف الآخرين حق في شيء منها؟!

ولماذا لم تجعل الشام، لأي كان من أهلها، أو من أي بلد آخر، وكذلك العراق؟!

الرعونة في اتخاذ القرار:

ثم جاء الكلام الأخير لأمير المؤمنين «عليه السلام» ليحسم الموقف، ويعيد الكرة إلى ملعبهم، وقد أشار «عليه السلام» إلى بعض الأمور التي توضح ما كان عليه حاله حين اتخاذه قرار الحرب، ولم يذكرها «عليه السلام» لمجرد تلميع الكلام، والتفنن في صياغته، بل لأنه كان يعلم أن قرار الحرب والسلم ليس سهلاً، كقرار القيام بنزهة في الهواء الطلق.. ولم يكن يرتبط به هو

شخصياً، بل هو قرار له مساس بأرواح الناس، وبمستقبلهم وبدينهم، وبالأمة كلها، ليس في تلك الفترة وحسب، بل في سابق التاريخ، ولاحقه، ويرتبط أيضاً بحفظ جهود الأنبياء، والشهداء وكل جهود وتضحيات الأمم والجماعات من لدن آدم «عليه السلام».

ويرتبط أيضاً بمصير ومستقبل الدين وأهله، وبالأجيال الآتية وعقائدها، وسياساتها، وكل وجودها، وبسعادة البشرية وشقائها في الدنيا والآخرة، فلا يمكن الاستسلام في هذا القرار لفورة غضب، أو الاستجابة لرغبة عارضة، أو لشهوة شخص طاغية، أو وسيلة لنيل مصلحة لابنٍ، أو أبناء عم، أو عشيرة، أو فئة من الناس، أو ما إلى ذلك..

بل لا بد من التفكير ملياً، واستجماع كافة العناصر المؤثرة، واستحضار المعايير الدينية والإنسانية، والأخلاقية وإعطائها دورها الطبيعي والطليعي، لتكون هي الحاكمة والمهيمنة في كل كبيرة وصغيرة..

ولأجل ذلك أقسم «عليه السلام» بالله أنه قد فكَّر، ودقق في هذا الأمر، وقلَّب فيه، ونظر في ظهره وبطنه، وأنفه وعينه، حتى لقد منعه النوم، فوجد نفسه أمام خيارين لا ثالث لهما:

أحدهما: قتال القاسطين.

والثاني: الكفر بما جاء به محمد «صلى الله عليه وآله».

لماذا القتال، أو الكفر؟!:

والسؤال الذي لا بد أن يراود الخواطر هو: كيف يكون ترك قتال القاسطين كفراً بما جاء به محمد «صلى الله عليه وآله»، فإن الكفر والإيمان من أفعال القلب، وترك الأمر الواجب، أو فعله إنما هو من شؤون الجوارح، فلماذا وكيف نشأ عنه الكفر، وهو فعل جوانحي قلبي؟! مع أن المفروض هو عدّ هذا الترك من المعاصي على أبعد تقدير.

إلا إن كان المقصود هو الكفر العملي، على حد كفر من ترك الحج، وهو مستطيع..

ونجيب:

أولاً: قال ابن ميثم: «المراد بالكفر: الكفر الحقيقي، فإنه صرح بمثله فيما قبل، حيث يقول: «وقد قلبت هذا الأمر: بطنه وظهره، حتى منعني القوم(1)، فما وجدتني يسعني إلا قتالهم، أو الجحود بما جاء به محمد «صلى الله عليه وآله»..».

إلى أن قال: «قال الشارحون: إن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان قد أمره بقتال من خالفه، لقوله: أمرت أن أقاتل الناكثين، والقاسطين، والمارقين. فلو ترك قتالهم مع ما عليه أمر الإسلام من الخطر لكان قد خالف أمر الرسول «صلى الله عليه وآله». وظاهر أن

---

(1) لعل الصحيح: النوم.

مخالفة مثله «عليه السلام» لأوامر الرسول «صلى الله عليه وآله» لا يتصور إلا عن عدم اعتقاد صحتها. وذلك جحد به وكفر»[1].

ثانياً: إن ما يفعله «عليه السلام» سوف يؤخذ على أنه دين وتشريع، فإذا كان قادراً على قتال البغاة والناكثين، ولم يفعل، فسوف يرى الناس أنه لا يوجد في الشريعة حكم يلزم بقتالهم، فتركه القتال يساوق التسبب بتحريف معاني الشريعة، وتبديل أحكامها في أذهان الناس..

ثالثاً: لقد أمر الله تعالى رسوله بجهاد الكفار والمنافقين، فقال: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ)**[2]، لأنه تعالى يعلم بأنهم سوف يحاربون هذا الدين.. ولم يعط المنافقون السبيل على انفسهم في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد علم «صلى الله عليه وآله»، أنهم سوف يحاربون دينه بعد وفاته، وهو نفس النبي «صلى الله عليه وآله» بنص آية المباهلة، ووصيه، والحافظ للدين بعده.

فأمرعلياً «عليه السلام» بمحاربتهم، حين يخرجون على هذا الدين وأهله.. فعدم امتثاله «عليه السلام» لأمر الله ورسوله «صلى الله عليه وآله» إما لأنه لا يصدق بصحة وصوابية ما أنزله الله تعالى

---

(1) شرح نهج البلاغة لابن ميثم ج2 ص113 و 114.

(2) الآية 73 من سورة التوبة.

على رسوله «صلى الله عليه وآله» من أوامر ونواهي، أو لا يرى أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» مصيب، فيما يأمره به من قتالهم بعده، وكلا هذين كفر بما جاء به محمد «صلى الله عليه وآله».

الأمر يدور بين محذورين:

هذا.. وقد تضمنت كلمات أمير المؤمنين «عليه السلام» موردين لقاعدة دوران الأمر بين محذورين:

الأول: إنه إذا دار الأمر بين بذل مهجته «عليه السلام»، وبين سفك دماء المسلمين، فإنه «عليه السلام» يبذل مهجته فداء لها، وسعياً لحقنها.

الثاني: إنه وجد أن الأمر دائر بين قتال القاسطين أو الكفر بما جاء به محمد «صلى الله عليه وآله»، ولا ريب في أن قتالهم أولى في هذه الحالة.. فاختار قتالهم.

والنتيجة على هذا: هي أن قتال القاسطين أمر لا بد منه، ولا محيص عنه، إلا أن ينيبوا إلى الله، ويتوبوا إليه. ويتخلوا عن مرامهم في هدم الدين، وسفك دماء المسلمين..

الإقتراح الفضيحة:

1 - ثم إن أمير المؤمنين «عليه السلام» لم يوصد الباب أمام أي حل، بل فتح نافذة على حل منصف، فاقترح على ذلك الوفد ما تحقن به دماء المسلمين، ويجمع به شملهم..

ومرتكزات هذا الإقتراح هي:

أولاً: إن معاوية ومن معه يزعمون أن الله تعالى هو الذي يتصرف في الأمور، ولا خيار للناس فيما يقولون ويفعلون.

ثانياً: إنه تعالى مع المحق على المبطل، ومع المظلوم على ظالمه، فيؤيد بنصره أهل الحق، ومن يرى نفسه أنه المحق.

ثالثاً: إن علياً قد جاء من العراق ليظلم أهل الشام ويقتلهم.

رابعاً: إن معاوية يزعم للناس حوله أنه يريد إحقاق الحق، وإجراء سنة العدل بالثأر لعثمان.

خامساً: إن معاوية يزعم لمن معه أنه لا يتاجر بدمائهم، ولا يريد أن تكون تلك الدماء وسيلته لأهوائه، وسلماً إلى الملك والسلطان..

سادساً: إن معاوية يزعم للناس أنه يود لو يتفادى قتلهم، ويحل مشكلتهم، ويدفع عنهم أعداءهم، ويضمن السعادة والخير لهم..

سابعاً: وهو يزعم أنه يعمل بما يحبه الله، وينفذ أوامره، وأنه قريب منه ومعه..

ثامناً: إنطلاقاً من ذلك كله، وإذا كان معاوية يدعي أنه أحق بالإمامة من أمير المؤمنين، وأولى بها منه.. فليبرز إلى الصحراء.. ويبرز علي «عليه السلام».. ويدعوان الله أن يقتل المحق منهما المبطل..

ثم يتبارزان، فأيهما قتل صاحبه، كان جميع الناس معه..

وبذلك يكون «عليه السلام» قد جمع بين المباهلة على الحق،

ليكون إثباتها بالتسديد، والتأييد الإلهي عملياً وحسياً، وبين إثبات الأقوال بالأفعال، حتى لا تبقى مجرد دعاوى، وشعارات تطلق في الهواء.

2 ـ ثم أقسم «عليه السلام»: أن كل من قاتل مع معاوية، سوف يكبه الله تعالى على منخريه في النار.. ليدل الناس كلهم على أنه «عليه السلام» على بصيرة من أمره. ولا يخبط خبط عشواء.

في مقابل ذلك، لن يستطيع معاوية، ولا أحد ممن معه أن يدعي أنه على يقين من صحة المسار الذي هو عليه، وسلامة المصير الذي سينتهي إليه..

هلكت العرب:

وأخيراً.. فإننا لا نستطيع أن نفهم قول وفد أهل الشام: «هلكت العرب» إلا أنه مظهر من مظاهر الإصرار على البغي، والخوض بالباطل عن علم وبصيرة.. وإلا فإن الأمر بيدهم، وهم الذين يقررون هلاك العرب، وهم الذين يكونون السبب في نجاتها.. فقولهم: «هلكت العرب» بمثابة إقرار منهم بإهلاكها.

الفـــهــــارس

1 - الفهرس الإجمالي
2 - الفهرس التفصيلي

1 - الفهرس الإجمالي

الفصل الثالث: وقفات مع الفصل السابق.. 7
الفصل الرابع: أحداث لها مغزاها.. 49
الفصل الخامس: تدابير قتالية.. 79

الباب التاسع: حرب.. وحبائل..

الفصل الأول: رسائل بين علي × ومعاوية.. 107
الفصل الثاني: عوراتهم سلاحهم.. أو عورة أشهر من صاحبها.. 131
الفصل الثالث: حبائل معاوية.. 173
الفصل الرابع: نهجان في اختيار القادة.. 209
الفصل الخامس: الأصبغ.. وابن أثال................................... 237
الفصل السادس: امرأة من هنا (أم سنان).. ورجل من هناك (ابن جبلة) 257
الفصل السابع: معاوية يحزن على غلامه: حرب.................... 287
الفصل الثامن: لك العراق.. ولنا الشام.. 311

2 - الفهرس التفصيلي

الفصل الثالث: وقفات مع الفصل السابق..

بداية: 9

الثقة بالقائد أساس القيادة: 9

لا دفاع في الحرب: 12

اللجاج المقيت: 14

سيف بعشرة آلاف:.. 15

يا عجباً.. لقد سمعت منكراً:... 15

الوصي والأبتر، واللعين:.. 16

أهل الشام في دهش وهم: 18

علي × ترك مركزه: 20

أبيات الشني، وأبيات الأشتر:.. 23

بل البغلة!! بل البغلة!!:.. 24

عمامة الرسول ’: 27
تضييع الفرصة سفه ورعونة:.. 28
دبوا دبيب النمل:.. 29
معاوية يهم بالفرار: 30
حديث زيد بن عدي: 33
عدي سيد الناس مع علي ×:.. 35
الإفك على عائشة:.. 35
جارية بن قدامة يصف علياً × : 38
ابن خالد لا يفرق بين الخير والشر:...................................... 39
أقحم يا بن سيف الله: 40
الشاني، الأبتر:.. 41
عظمة الأشتر وأثره في أهل العراق: 42
عدي ومعاوية:.. 43
حب عدي لأمير المؤمنين × : 44
قلوبنا ليست بيدك يا معاوية:... 45

الفصل الرابع: أحداث لها مغزاها..

الأسير.. الشاعر: 51
إيضاحات: 53
اقتله، وإن غضبنا فيه:.. 53

هو لك يا مالك!: 55
هل جهل الأشتر حكم الأسير؟!: 55
المعجزات والكرامات جزء من حياتنا:.. 56
علي × في بني محارب: 62
خنث السقاء:.. 62
توضيح:.. 63
فسالت أودية بقدرها:... 63
جواب معاوية أحب إليه: 64
علي × عالم، وعادل أيضاً: 66
علي × يبطل كيد معاوية:.. 68
الإنبهار بالعدو، والفشل في الحرب: 69
هذا هو الدواء لهذا الداء: 70
تكاتب علياً ×.. وزوجها عثماني: 73
الهيثم ناصبي:.. 75
الهيثم ليس مستضعفاً:... 76
تهديد معاوية وغضب الهيثم:... 77
امرأة الهيثم حجة على زوجها:.. 78

الفصل الخامس: تدابير قتالية..

تقدموا قبل أن يتقدموا: 81
انهدوا إليهم: 82
الذي يكسر حدة العدو: 83
توقع خروج المحلقين: 85
أغلى الأمنيات:... 85
تقدموا في موقع التقدم: 86
التكامل، لا التداول: 87
التأهيل الحربي الشامل: 88
تقدموا قبل أن يتقدموا إليكم: 89
الوقار وسيما الصالحين في الحرب: 89
أقرب قوم من الجهل بالله تعالى: 91
كيف تسقط مقاومة العدو؟!: 93
من هم المحلقون؟!: 99
استشهاد جندب بن زهير: 102

الباب التاسع: حرب.. وحبائل..

الفصل الأول: رسائل بين علي × ومعاوية..

معاوية يهدد علياً ×: 109

جواب الإمام:... 110

متى كانت الرسائل؟!: 112

تصف الحكمة ولست من أهلها:.. 113

لذّات الفتن: 113

مظاهر الكسروية الهرقلية: 114

معاوية يعهد ليزيد: 116

هل الضلالة تورث كلالة؟!:... 117

إرث الكلالة: 118

لا كلالة في إرث الضلالة:... 119

معاوية والرحم:... 120

أنا عبد الله علي!!:.. 121

قامت الحرب على ساق: 122

مراسلات بين علي × ومعاوية: 123

جواب معاوية: 124

كتاب آخر لأمير المؤمنين ×:... 124

جواب معاوية: 125

إيضاحات: 125

جسّ النبض:... 126

جواب معاوية: 127
جواب علي ×:... 128
الجواب الهزيل:.. 129

الفصل الثاني: عوراتهم سلاحهم.. أو عورة أشهر من صاحبها..

بداية: 133
أروني مكانه:.. 133
عورته خلَّدته: 134
إيضاحات: 143
عورة عمرو في شعر عمرو: 144
شجاعة عمرو: 146
عورة عمرو عروس شعرهم:.. 150
إيحاءات للتضليل: 154
ابن العاص اعتاد كشف عورته: 156
المحتمون بعوراتهم: 158
أنا الغلام القرشي المؤتمن: 159
الغلام القرشي:.. 161
عمرو الشجاع:.. 162
عمرو المؤتمن: 162
عمرو الماجد: 163

عمرو الأبلج!!: 165

عمرو غير مرضي، ولا مقبول:.................................... 165

لا أرى أبا حسن!!:... 166

لأبارزن علياً ×: 167

لماذا أعرض علي ×؟! 168

استدراج العدو: 170

أبو حسين وأبو الحسن:.. 171

الفصل الثالث: حبائل معاوية..

ابن حديج والأشعث بن قيس:... 175

الأشعث وعتبة بن أبي سفيان:.. 177

معاوية البائس اليائس: 179

الخطة الخبيثة: 181

رسالة ابن خديج: 182

جواب الأشعث:.. 183

ثناء عتبة على الأشعث:.. 183

حارب تكرماً تارة وحمية أخرى:.................................... 184

دقة الأشعث في أجوبته:... 184

ابن العاص.. وابن عباس:... 185

من هو رأس الناس بعد علي ×؟! : 194
رسالة عمرو بلا مضمون: 195
الجواب العتيد: 197
علي × لا يخدع: 197
علي × عند أهل الشام: 198
الوصي، والأخ، والوزير: 201
ابن عباس يجيب معاوية: 201
الخائفون من علي ×: 202
إيضاحات: 206
أهل بيتي أمان لأهل الأرض: 207

الفصل الرابع: نهجان في اختيار القادة..

قيادات يرتضيها اليمنيون: 211
إيضاحات: 214
نظام الإمارة والقيادة: 214
معاوية يهرب من همدان: 222
حسد مروان لابن العاص: 222
إيضاحات: 228
فرار معاوية: 228
طمع وحسد.. وأخوة وإيثار: 229

أفلت عمرو: 229

الأشتر لا يبارز غلاماً:.. 230

تولي علينا من لا يقاتل معنا: 231

ما قاله المزعف اليحصبي: 232

الوقائع تكره معاوية على الإنصياع: 234

علي × لا ينصرف حتى يبلغ حاجته: 234

الفصل الخامس: الأصبغ.. وابن أثال..

حتى متى ترجو البقا يا أصبغ؟!: 239

فريقان غير متشابهين:.. 241

النسك والجهاد: 241

لماذا تدخل الأصبغ في هذه اللحظة؟!:............................. 243

مبرِّر فقدان الصبر والنصر: 243

ما أبسط وما أعظم هذا الجواب: 244

كلام الأصبغ دقيق وعميق:.. 246

ضرورة الهجوم الصاعق:... 247

هلم إلى الدنيا! هلم إلى الآخرة!: 247

إيضاحات:... 251

الحياء من الإيمان: 252

رواية المنقري هي الأصح: 255

الفصل السادس: امرأة من هنا (أم سنان).. ورجل من هناك (ابن جبلة)

الأنصاريان الشهيدان: 259

أبو الأعور رجع جريحاً:... 261

الأشتر يهاجم عمرواً ومعاوية:... 262

أم سنان المذحجية مع معاوية:... 263

أنصر شيخاً غير ذي تلون: 266

نخوة قريش في رجز عمرو:... 267

حقد معاوية على أم سنان: 268

أخلاق بني عبد مناف:... 269

أنا أحب ممن؟!: 274

إن العدو لآل أحمد يقصد:... 275

أوصى إليك بنا:.. 276

مروان تَبَنَّكَ بالمدينة: 276

النعمان بن جبلة يعترف:... 277

بماذا يهدد معاوية قادته؟!: 281

آثرت ملكك على ديني:... 282

وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم: 283

النعمان يقاتل عن الغوطة: 285

فرحة معاوية بقتل النعمان: 285

الفصل السابع: معاوية يحزن على غلامه: حرب

وعاظ السلاطين: 289

حرب يعرف مقام الفارس البطل: 291

الصواب والخطأ في القضية:... 293

الإناء ينضح بما فيه:.. 294

الإفتراء على علي ×: 295

لكي لا يتوهم أحد:.. 297

بقي سؤالان:... 298

حرب يقتله قنبر:... 299

ابن أبي أرطأة يشجع معاوية: 300

إيضاحات: 302

حرب جبان:.. 303

معاوية المحبط: 303

فضائل معاوية على طريقة أشعب:...................................... 304

معاوية يعترف بفضائل علي ×:.. 306

جزع معاوية على حرب لماذا؟!:....................................... 307

قيس بن سعد البصير والواعي: 308

الفصل الثامن: لك العراق.. ولنا الشام..

بداية: 313
مأزق عمرو بن العاص: 313
لا أحب المصير إليهم:.. 318
ابن العاص شيخ قريش: 319
أصحاب علي × يرصدون الأحداث: 319
السموم التي نفثها عمرو:.. 322
نعيم بن هبيرة أوضح لهم: 323
الوفد الفاشل، والمفاوضات الفاشلة:.................................. 323
الوفد الشامي يستأذن: 327
حشد المهاجرين والأنصار: 328
أوليات علي × : 329
الإبتلاء الحسن:.. 331
علي × مع الحق:... 332
من هم الناكثون بعد حرب الجمل؟!: 333
ما عرضه علي × على القاسطين: 334
البغي الذي لا يطاق: 335
عثمان أفضل الصحابة حسباً: 335

عثمان أفضل الناس نسباً: 337

قدم وصهر عثمان هو الأفضل:.. 338

الله حسيب خاذل عثمان:.. 338

مساواة علي × بسائر الصحابة: 339

عراقكم لكم، وشامنا لنا: 339

الرعونة في اتخاذ القرار: 341

لماذا القتال، أو الكفر؟!: 342

الأمر يدور بين محذورين: 344

الإقتراح الفضيحة: 345

هلكت العرب: 346

الفهارس:.. 347

1 ـ الفهرس الإجمالي.. 349

2 ـ الفهرس التفصيلي 351